صفحات من حياتهم

محمد نصر

أبو سلمى
أحمد شوقي
أحمد كمال زكي
أمين يوسف غراب
أنيس منصور
توفيق الحكيم
ثروت أباظة
جاذبية صدقي
الشيخ حسن مأمون
حسين السيد
حسين مؤنس
خليل نامي
زكي طليمات
طه حسين
عاتكة الخزرجي
عباس العقاد
عبد الله شمس الدين
غادة السمان
محمد القصاص
محمد عبد الحليم عبد الله
محمد مظهر سعيد
محمود تيمور
محمود حسن إسماعيل
مراد كامل
نازك الملائكة
نجيب محفوظ

الغلاف بريشة الفنان بيكار

صفحات من حياتهم

تأليف
محمد نصير

ملتزمة الطبع والنشر
مكتبة الأنجلو المصرية
١٦٥ شارع محمد فريد - القاهرة

مقدمة

عزيزى القارئ . .

هذا الكتاب مجموعة صفحات من حياة بعض من عرفت من الأدباء فى مصر وشقيقاتها . . صفحات كتبتها فى مناسبات جعلت أسماءهم تتردد على ألسنة الجماهير ، وكان هدفى من كتابتها تقديم دراسة مركزة لمن تستهويهم سير هؤلاء الأدباء ، ولمن يجدون متعة فى التعرف — من الوجهة الصحفية — على أخبارهم ، متابعة للخطة التى سرت عليها من قبل فى كتابى « أدباء فى صور صحفية »[1] .

وسيجد فيها الذين يدرسون الأدب أو يعلمونه أو يحررون أبوابه فى الصحف والمجلات .. عوناً لهم عند تناول أصحاب هذه السير ، على الرغم من أن اهتمامى كان منصرفاً بصورة واضحة إلى الجوانب الشخصية من حياتهم لا إلى تناول مؤلفاتهم بالدراسة والبحث أو التأريخ لهم إلا بقدر ما تمليه المناسبة .

ومن المؤكد أن جمعهم فى كتاب واحد كان عملية شاقة استغرقت وقتاً طويلا لأهيئ لك الفرصة لتراهم من الداخل .. لتفاوت تكوينهم ، واختلاف نزعاتهم ونشأتهم ودرجة ثقافتهم ، فهناك أديب ما تزال رائحة الريف تنبعث من نتاجه ، وآخر ما تزال قسوة الحياة التى عاناها فى صغره تظلل تصرفاته وتطبعه بطابع خاص ، وبعضهم ولد — كما يقول المثل — وفى فمه ملعقة من الذهب !

---

(١) هذا الكتاب صدر عن المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والنشر بوزارة الثقافة والإرشاد القومى سنة ١٩٦٥ وهو يقدم خمسة وعشرين من قادة الفكر فى مصر والدول العربية والمهجر ، وقد قررته وزارة التربية والتعليم على مدارسها .

ثم هناك من كرمتهم الدولة ، ومنحتهم جوائزها التقديرية والتشجيعية لقاء ما قدموا لوطنهم ومواطنيهم . .

ومع اختلافهم من حيث النشأة ، ودرجة الثقافة ، والنوازع الشخصية . . فهم جميعاً عميقو الإحساس بالحياة والتعبير عنها وتصويرها بالكلمة ، يمتازون بشفافية الروح ويستلهمون الجمال فى مختلف ألوانه . يحبون ويكرهون ، ويمرحون ويبكون ويكافحون — مثلى ومثلك — من أجل لقمة العيش !

وقد يتفق أن يلتقى أحدهم مع الآخر فى مميزاته وخصائصه كالشعراء الذين هم أعمق إحساساً بإنسانية الأدب والثورة على كل ما يحد من حريتهم .

وعلى رأس هؤلاء يقف عباس العقاد شامخاً بتاريخه الأدبى المجيد ، ونسمعه يقول :

وأعظم بها حرية زيد قدرها لدن فقدت أو قيل فى السجن تفقد

عرفت بها الحبين فى النفس والحمى وكان لها حب — وإن جل — مفرد

* * *

وما أقعدت لى ظلمة السجن عزمة فما كل ليل حين يغشاك مرقد

وما غيبتنى ظلمة السجن عن سنى من الرأى يتلو فرقدا منه فرقد

* * *

أما كتاب القصة — وفى مقدمتهم يقف طه حسين ممثلا للقصة التقليدية — فمنهم من راح ضحية تقديسه للحرية ، وحجر على إنتاجه فاضطر إلى أن يرحل به إلى الخارج كما فعل طه حسين نفسه فى مجموعة قصصه (المعذبون فى الأرض) .

وإنى أدرك أننى لو كنت تجاهلت نشر صورهم لتسجيل اللحظات التى جمعتنى بهم لكان الكتاب جافاً غير مشوق ، ولذلك ستراني حرصت على نشر بعض اللقطات الطريفة لهم .

وإذا كان يبدو لك أننى عـدت إلى تقديم بعض من تحدثت عنهم من قبل مثل الدكتور طه حسين ، والمرحوم الأستاذ العقـاد ، والأستاذ توفيق الحـكيم .. فلأننى كشفت عن أسرار جديدة فى حياتهم بحكم علاقتى الطويلة بهم خلال عملى فى الأبواب الأدبية من المجلات الأسبوعية الـكبرى .

ويلاحظ أننى عرضت لبعض الأديبات باختصار شديد ، ولم أشر إلى مؤلفاتهن أو أتعرض لتقويمها .. لأننى لم ألتق بهن إلا فى فترات ضيقة دعت إليهـا ظروف العمل الصحفى أيضاً .

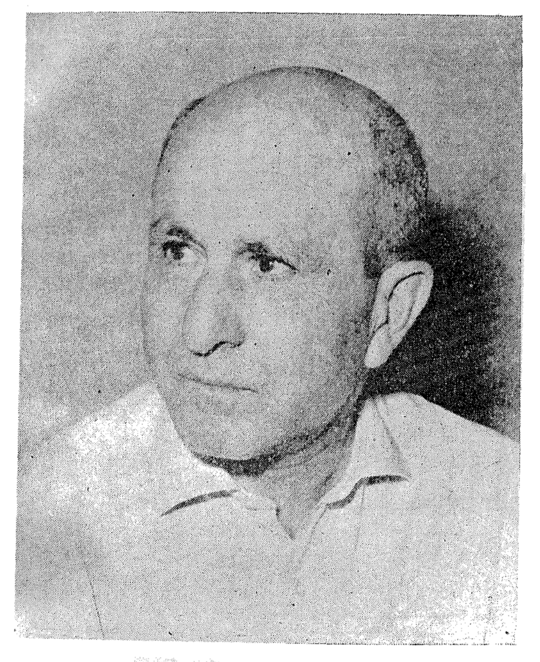
والفضل فى الصور المعبرة التى نشرت هنا راجع إلى بعض أصدقائى المصورين الصحفيين الذين شاركونى اللحظات السعيدة التى عشتها مع هؤلاء الأدباء .

ولقد آثرت تقديمهم مرتبين بحسب الحروف الأبجدية لا بحسب شهرة كل منهم والدور الذى لعبه فى ميـدان تخصصه ، وذلك لأعطى القارىء فرصة للتنقل من قمة .. إلى قمة . . .

وما أحوج أبناء هـذا الجيل من شباب الأدباء إلى أن يتعمقوا دراسة هؤلاء وغيرهم من الأدباء .. ومتابعة إنتاجهم ... وذوب عقولهم ..

محمد نصر

أبو سلمى



الشاعر الفلسطيني عبد الكريم الكرمي

وشهرته « أبو سلمى »

منذ بضعة أعوام – ولعله على وجه التحديد عام ١٩٥٩ قرأت فى مقال « بصراحة » للأستاذ محمد حسنين هيكل رئيس تحرير الأهرام أبياتاً من قصيدة لشاعر فلسطينى اسمه « أبو سلمى » أذكر منها :

انشر على لهب القصيــــد شــكوى العبيد إلى العبيـــد
شـــكوى يرددها الزما ن غدا إلى أبد الأبيـــد
قالوا : المـــلوك : وأنهم لا يملـــكون سوى الهبيـــد
دكـت عـــروش زينو ها بالســـلاسل والقيـــود
سحقـــاً لمن لا يعـــرفو ن سوى التملل بالوعـــود
وأذلهم وعـــد اليهـــو د ولا أذل من اليهـــود

وكانت تلك القصيدة بالنسبة إلى قصيدة يتيمة لا أعرف شيئاً عنها ، ولا عن صاحبها ، وتمنيت يومها أن أراه وأظفر بحديث معه .

ومضت الأيام وساقنى الحظ لزيارة سوريا[1] فى أوائل صيف ما قبل الانفصال . وشد ما كانت سعادتى عندما عرفت من الشاعر شفيق جبرى أن أبا سلمى يقيم فى بيت متواضع بأحد الأحياء فى دمشق .

وفى اليوم التالى ، أسرعت إليه ، ودار بيننا حديث طويل عرض فى أثنائه لمأساة فلسطين ، ولغيرها من قضايا الشعر والأدب .

---

(١) أغسطس ١٩٦٢

ومنذ ذلك الحين كتبت الكثير عن أدباء وشعراء الشام ولكن لم أكتب عن « أبو سلمى » حتى حمل إلى البريد أخيراً رسالة من صحفى دمشق طواها على بضع صور لأبى سلمى ولزوجته ، وكانت الرسالة تفيض بالعتاب لإهمالى الكتابة عنه ، وهو الذى يعتبر عن — جدارة واستحقاق — شاعر فلسطين الأول ، وابنها الوفى ، ومن حقه على الصحافة أن تقاسمه مشاعره لا أن تدير له ظهرها وتتركه نسياً منسياً ، وهو الذى كان ملء العيون والأسماع فى بلده .

وتضمنت رسالة الصحفى — إلى جانب هذا العتاب — عدة أسئلة جديرة بالمناقشة ، والبحث لها عن إجابات شافية :

— لماذا توقفت الأقلام التى ظلت تثير الحماسة ضد الصهاينة وتطالب بتطهير فلسطين من آثامهم ... وحتى تفتح الصحف أبوابها للدعوة لجيش التحرير الفلسطينى الذى بدأ يستعد لخوض غمار المعركة الفاصلة ، وبالذات بعد أن عادت أنظار العالم تتجه إلى أرض الميعاد ، وترقب ما ينتظر أن يحدث عقب تحويل روافد الأردن واستغلالها لصالح العرب .

والآن لنمض معاً إلى قلب الموضوع الذى من أجله كتبت لك هذه المقدمة الطويلة تعال إلى أبى سلمى لتعرف ماذا وراءه ؟ وماذا أمامه ؟ وما هو دوره فى المعركة ؟

— إن اسمه الحقيقى عبد الكريم الكرمى .

تفتحت عيناه على أجمل بقعة فى مدينة طولكرم فى عام ١٩٠٧ وامتدت أذناه لتسمعا جدل العلماء وحوار الشعراء فى بيت أبيه الشيخ سعيد الكرمى ، الذى كان من أعلام فلسطين ، ومن أعضاء المجمع العلمى العربى بدمشق .

هذا هو الاطار العام ، أما الصورة نفسها فتؤكد لكل من يراها أنه شاعر خلقته مأساة فلسطين ، وفى قيود الأحزان ،وصرخات الضحايا غنى هذا الشاعر وبكى

بمرارة ، فعرفه الوسط الأدبى لا يستلهم إلا الثأر ، ولا يطالب بغير العودة إلى حيفا ، وتطهير كل ركن من أركان بلده الحبيب .

بالزورق هاجرت :

إن قصة حياته تقول : إنه ما يكاد يبلغ العمر الذى يؤهله للالتحاق بالمرحلة الثانوية حتى يرحل إلى دمشق ليتم تعلمه فى إحدى مدارسها الثانوية ، ثم يعود إلى القدس ليتعلم القانون ويحصل على إجازة الحقوق ، ويعمل بعد ذلك محامياً فى مدينة حيفا قبل سقوطها فى أيدى الصهاينة عام ١٩٤٨ . ومن حيفا ينزح إلى عكا ، ومنها إلى دمشق ليختارها دار إقامة له إلى أن يأتى وقت العودة ، وما هو ببعيد .

ويستقر شاعرنا مع زوجته التى تصغره ببضع سنوات وابنهما الذى يتخصص فى دراسة الطب ، يستقر الثلاثة فى شقة يدفع لمالكها الأصلى سنوياً — كما قال لى — ١٤٠٠ ليرة وبعد فترة طويلة من إقامته فى دمشق تصدر وزارة التربية والتعليم قراراً بتعيينه مدرساً بإحدى المدارس الثانوية ، ومنها يخرج فى عام ١٩٦١ ليلتحق بوظيفة قضائية ما يزال يشغلها إلى الآن .

وأبو سلمى كشاعر وكمعلم انصرف إلى تلامذته فى السنوات الأخيرة فلم يؤلف كثيراً إلا أن ديوانيه « المشرد » و « أغنيات بلادى » يدل ما قدمه فيهما من قصائد على عقلية نادرة بين شعرائنا .

وحين يلتقى بأحد تراه يذوب رقة ، لأن فيه أصالة البيئة التى أنشأته ، وحين يعود بخياله إلى الوراء ، إلى الوقت الذى رأى فيه الأبرياء يقتلون بالجملة تراه ينفعل وتطفر الدموع من عينيه .

هذا هو أبو سلمى . . ابن فلسطين المتطلع إلى الأمام دائماً .. الرجل الذى يقرأ « شكسبير » ويحفظ طه حسين . والزيات ، ويحب شوقى وحافظ إبراهيم ،

وابن السابعة والخمسين الأبيض الوجه الأصلع الشعر ، الذكى العينين ، ما تزال حيوية الشباب تعمر قلبه .

سألته وكانت زوجته تجلس بجواره صامتة إلا من ابتسامة ذابلة تغلف شفتيها .

— وماذا قلت فى ابنة بلادك ؟

قال بابتسامة حلوة ، ونظرة هادئة يرسلها إلى زوجته :

أين الشذى والحلم المزهر أهكذا حبـــك يا أسمر

قلت : وكم أنجبت من البنين والبنات ؟

قال : ولداً واحداً يدرس الطب .

— وكيف نجوت وأسرتك من خطر الصهاينة ؟

فقال : يوم النكبة خرجت بحراً راكبا زورقا ، وطلعنا على عكا ، ومنها أتيت إلى دمشق ، وكان ذلك فى نهاية شهر نيسان من سنة ١٩٤٨ .

قلت له : وماذا حملت معك من مؤلفاتك ؟

قال والحزن يبدو فى صوته :

— كما ضعت أنا ضاع إنتاجى .

سألته : وماذا عن القصيدة التى نشرت الأهرام بعض أبياتها ؟

قال : لم أستطع بسبب التنديد بموقف ملوك العرب السابقين أن أزور أى بلد عربى .

قلت : وماذا قلت يومها عن إمام اليمن ؟

قال : قلت :

عرج على اليمن السعيد　　وليس باليمن السعيد
واذكر إماماً ما يـزا　　ل يعيش فى دنيا ثمود

— وفاروق ماذا قلت فيه ؟

قال :

يومذاك كانت لفاروق لحية يضلل بها شعبه وقد قلت فيه :

دع سبحة التضليل واخـ　　لع عنك كاذبة البرود
أحسبت أن الملك بالتسـ　　بيح يطلب والورود

سألته : وماذا تريد أن تقول اليوم لمحبى شعرك ؟

فأجاب :

فمتى تلتقى مع الشام أرضى　　ومتى تلثم البطاح بطاحى

مع أغنيات بلادى :

وإذا رجعت معى إلى ديوان أغنيات بلادى تلمح فى كل قصيدة لأبى سلمى نقداً لاذعا ، وقسوة على من خانوا أمانة فلسطين . وأعانوا الصهاينة على تشريد أبنائها اسمعه وهو يقول :

قل للذين جنـوا على وطنى　　بيننـا الأيام والحقـب
من قبلكم مر الطغاة بنـا　　هل تشعرون بهم ؟ لقد ذهبوا
عصفت بهـم نار مقدسـة　　وإذا بهـم لجهنم حطب

ويثور أبو سلمى على من يتهم أبناء فلسطين بالتقصير فى الحرب وحماية الوطن بقوله :

قسما بالسموح أنا حملنـا　　يا فلسطين فى هواك العـذابا

وإذا ما سألت عنـــا انتسبنا وأبينـــا إلا إليـــك انتسابا

وما بعدنا عن طيب أرضك إلا زادنا البعـــد من ثراك اقترابا

وزرعنا الأشواق فى كل أرض ليتهـــا أنبتت قنـــا وحرابا

والتقينـــا على ملاعبك السم حة شيباً بعد النوى وشبـــاباً

وسجدنا نقبل الحجر الأســـ ود والرمل والحصى والترابا

هـــذه دارنا فيا وحشة الدا ر إذا لم تستقبل الغيـــابا

لاتسل أين أهلها ، فالخيام السـ ود شقت صدر الليالى انتحابا

حسبوا اللاجئين فى كل قطر وهم بين أهلهم — أغرابـــا

إلى أن يقول :

ظلموهم ، فـكيف يغفون يوماً وفلسطين تقرع الأبوابـــا

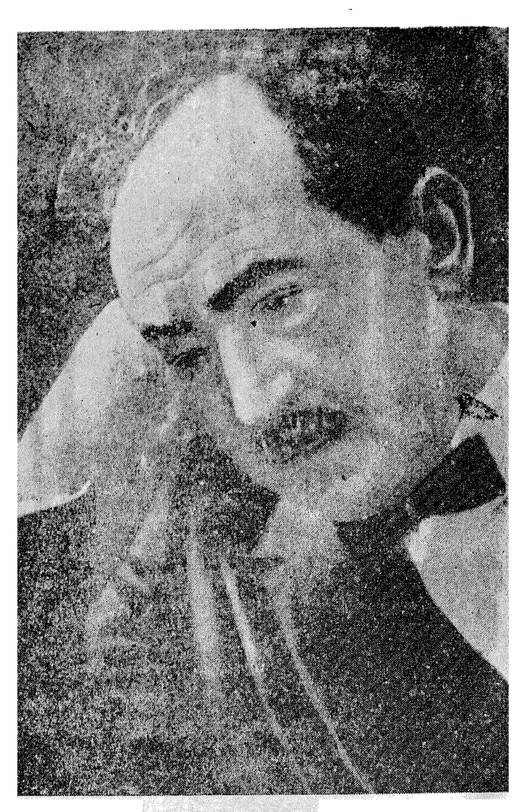
وفى صفحات أخرى من ديوان « أغنيات بلادى » نجده يلتهب عاطفة وأشواقا فهو يناجى أبناء وطنه نجوى محب ، وله معهم ذكريات غالية .

ثم ماذا ؟

لاأعتقد أننى أجاوز الحقيقة إذا قلت ان لقاء شاعرنا الـكبير بأبناء وطنه ، وعلى ثراه الطاهر ، أصبح قريب المنال بعد أن اجتمعت كلمة العرب على تحرير الأرض المقدسة وتطهيرها من عصابات الصهاينة .

أحمد شوقي

" والأخريات "



« أمير الشعراء »

ذلك الشاعر الفحل الذى صنع المعجزات لم يسعدنى الحظ بلقائه والتحدث إليه كما سعدت بلقاء الكثيرين من أدباء هذا الجيل ، ولكنى عرفته من روائعه . ومن شعره الجزل الخالد . إنه أمير الشعراء أحمد شوقى ، وفى هذا الحيز الضيق اقدم لك صفحة من قصة حياته العاطفية المشبوبة التى لم يستطع أحد كشف الستار عن فصولها قبل اليوم .

كم مرة أحب شوقى ؟

كيف كان الرجل الهادىء الخجول يحب ؟

هل كان حبه كحب الشعراء ينتهى بطلوع النهار مثل كلام الليل ؟

ما أول شعر عاطفى له ؟

ومن هن سعيدات الحظ اللائى وقعن فى شباكه ، وسحرتهن عبقريته ؟

وأيهن كانت تلهمه روائع القصيد أكثر من صاحباتها ؟

لقد عشت أسبوعا كاملا أبحث عن إجابة لهذه الأسئلة .. من أفواه الشعراء الذين عاصروه ، وكان كل شاعر يحكى قصة حب مثيرة ، ويحاول اقناعى بأنه الوحيد الذى يعرف كل فصولها .. وأسرارها .. ونهايتها !

ولكن .. هل ينبغى أن تنشر أسرار حبه فى أسبوع ذكراه[1] ؟

أو تبقى طى الكتمان ، كما بقيت فى قلب صاحبها الذى غاب عن الدنيا منذ ربع قرن ؟

---

(١) نوفمبر ١٩٥٨

وطوال أسبوع مهرجان أحمد شوقى ، وفى قاعة قصر المنيل الذهبية استمعت إلى ١٥ شاعراً وأديباً .. من الكبار والصغار تكلموا جميعاً فى كل شىء .

لقد تناولوا الحديث عنه كأول رائد للشعر العربى فى القرن العشرين .. له مدرسته الكبرى .

تناولوا ذكرياتهم معه .. نشأته .. أطوار حياته .. مسرحياته .. الفنون البلاغية فى شعره .. الوصف والغزل والنثر .. العروبة .. علاقاته بالقصر .. كيف تعرض لهجوم العقاد ومدرسته .

كل ذلك ناقشه فى المهرجان الكبير أدباء وشعراء من مصر والبلاد العربية

ولكن أحداً — كما قلت — لم يستطع أن يتناول الجانب الإنسانى من حياته وعلاقاته بالأخريات !

فلماذا غاب عن أولئك الشعراء كلهم أن يتناولوا هذا الجانب العاطفى من حياة أستاذهم الكبير ؟

هل كان الخجل يعقد ألسنتهم ؟

هل كانو ايخشون إذاعة أسرار حبه لأنها قد تمس بعض شخصيات ما تزال تعيش بيننا ؟

هل ينسون انه القائل :

بأبى وروحى الناعمات الغيدا	الباسمات عن اليتيم نضيدا
الرائيات بكل احور فاتر	يذر الخلى من القلوب عميدا
الراويات من السلاف محاجرا	الناهلات سوالفا وخدودا

وأنه قال على لسان قيس فى مسرحية « مجنون ليلى »

ليلى ! مناد دعا ليلى نخف له	نشوان فى جنبات الصدر عربيد

إن شاعراً كبيراً لا أشك فى صدق روايته أكد لى أن شوقى حينما كان فى أول الطريق وكان يومئذ شاباً فى شرخ صباه وميعة عمره ٠٠ التقى بفتاة حسناء رائعة الجمال ، وكان يعبر شارعا ينتهى إلى سجن المحافظة ، ولعله كان فى طريقه إلى دار الكتب ٠٠ فجرت على لسانه هذه الأبيات التى لم تنشر من قبل :

شاهدت أجناداً يسوقون الجناة إلى السجون
فسألتهم ماذا جنوا قالوا لصوص يسرقون
قلت اسجنوا هذه الفتا ة رشيقة القد المصون
سرقت نهاى ومهجتى حتى الرقاد من العيون

وأنه يومها لم يجد ورقا فأسعفته علبة السجاير ، وكتب عليها تلك الأبيات ، وأنه كان كلما تذكر هذه الأبيات — التى اعتبرت أول شعر له — تفيض عيناه بالدموع ويقول :

— فعلا أنا كنت بحب !

إذن كانت تلك بداية لا بأس بها ثم اعقبتها مواقف الغزل التى خصص لها بابا كاملا فى الجزء الثانى من ديوانه ومواقفه من تكريم المرأة فى المناسبات كالتى قال فيها :

قم حى هذى النيرات حى الحسان الخيرات
واخفض جبينك هيبة للخرد المتحفزات
زين المقاصر والحجال وزين محراب الصلاة

ولعل أعظم مناسبة أتيحت لأمير [1] شعراء الشرق فى حياته كلها ٠٠ عند ما التقى بمى !

---

(١) المعروف أن أحمد شوقى كان يلقب بأمير الشعراء ، وأنه ولد بالقاهرة عام ١٨٦٨ وحصل على البكالوريا من المدرسة الخديوية ، وأمضى عامين فى مدرسة الحقوق . وتوفى يوم ١٣ أكتوبر ١٩٣٢ عن أربع وستين عاماً .

مى :

ومى زيادة لها قصة مثيرة جـداً ، فقد أحبها أدباء وشعراء كثيرون . إن قصتها تحتاج إلى من يخرجها الآن على الشاشـة ، لأنها تسجل بداية الصراع بين التقاليد الشرقية التى كان يعمر بها قلب فتاة محافظة ذات جمـال طاغ وبين دعاة الاختلاط والسفور .

لقد كانت مصدر وحى وإلهام ...

ألهمت اسمـاعيل صبرى ، وألهمت الرافعى وألهمت جبران ، والعقاد وشوقى ...

وصفها منصور فهمى بقوله :

« إنها كانت فتاة بارعـة الظرف تشارك فى كل علم ، وفى كل حديث .. وتختصر للجليس سعادة العمر فى كل لفتة أو لمحة ، أو ابتسامة .. »

ورددت الألسنة ما قاله عنها اسماعيل صبرى :

روحى على دور بعض الحى هائمة   كظامئ الطير تواق إلى الماء

إن لم أمتع بمى ناظرى غـدا   أنكرت صبحك يا يوم الثلاثاء

ولقد كان شوقى يشفق عليها من تهافت الأدباء على ندوتها يوم الثلاثاء .. وكان حبه لها « فى السر » ولعل له بعض العذر فى ذلك للظروف التى كانت تحيط به بوصفه شاعر القصر .

ومما قاله فيها قصيدة لم تنشر من قبل وإنما يحفظها بعض الشعراء الذين عاصروه وعاصروها ، وتروى على لسان الشاعر مصطفى حمام ، ويرددها لزملائه فى المناسبات بالرغم من أنها قيلت فى عام ١٩٣١ ولو أننا نشك فى صحة روايتها .

إن هذه القصيدة لا تتجاوز عشرة أبيات ، وفيها يقول :

أسائل خاطرى عما سبانى   أحسن الخلق أم حسن البيان ؟

رأيت تنافس الحسنين فيها   كأنهـما لميـة عاشقان

إذا نطقت صبا عقلى إليهــا وإن بسمت إلى صبا جنــانى
وما أدرى أتبسم عن حنين إلى بقلبها أم عن حنان ؟
لعـــل شبابها راث لشيبى وما أو هى زمانى من كيـانى

ولنترك الحديث هنا للصحفى اللبنانى سعيد فريحة وصاحب دارالصياد ،

لقد قال لى بالحرف الواحد :

— شو بتريد عن شوقى ومى ؟

قلت : معلوماتك الخاصة !

قال : بداك عن مى ؟

ولما أجبت بنعم ، قال على الفور فى لهجة حبيبة لا تمل سماعها :

— اتصلت بى مى فى سنة ١٩٣٩ . . وكان ذلك فى لبنان يوم جاءت إليــه بدعوة من قريب لها اسمه الدكتور جوزيف زيادة ، وهو رجل وسيم لطيف قيل إنه كان من عشاق مى ، وإنها كانت تبادله الرسائل . . وكان منافساً لجــبران ، وكان سلاحه فى المنافسة قرابته لى ووسامته ، ومعظم عشاقها كانوا بعيدين عن هذه الصفات ، ولم يكن أديباً وأرادت أن تنصرف عن الأدباء — ولو إلى حـين — فجاءت إلى قريبها فى لبنان بعد أن أوشكت أن تستنفد جمالها ، فأكرمها وأكرم فنها ، وأنزلها فى بيته . . وفجأة اختفت منه ، وقيل إنها دخلت مستشفى المجانين .

ومرت عدة شهور ، وذات يوم التقى بى المحامى « بهيج تقى الدين » فسألنى :

هل تريد أن تقابل مى ؟

قلت : وهل مى هنا ؟

قال : إنها فى مستشفى الجامعة الأمريكية .

قلت : إذن غير صحيح أنها فى مستشفى المجانين .

وذهبت معه إلى مستشفى الجامعة الأمريكية .. ووقفت عند باب الغرفة ودخل هو ليستأذن مى ، وإذا بى أراها – من بعيد — تدخل معـه فى جدل عنيف فلاحظت أنها ترفض أن تقابلنى ، ولم أشأ أن أضيع الفرصة .. ورحت داخل .. وما أن اقتربت من سرير مى — وهى جالسة وقد وضعت وراء ظهرها وسادة — حتى رأيتها تهدأ وترد على تحيتى بمثلها .

ورأيت سعيد فريحة يسكت فجـأة عن الـكلام ، ثم يلتقط نفساً طويلا من سيجارته ويقول فى أسف بالغ :

— كان ذلك منذ عشرين عاما ...

قالت مى بعـد التحية : كنت أرفض أن أقابلك لأنك صحـفى ، ولأنى عاتبة على الصحافة .. وصحافة لبنان بنوع خاص ..

وفى ثورة عارمة مضت قائلة :

— لبنان موطنى الأصلى .. لبنان بلد آبائى وأجدادى ..

لبنان الذى جئته أنشد الراحة والاستجمام فوجدت نفسى أقيد وأساق إلى مستشفى المجانين ظلماً وبهتاناً فلا يرتفع صوت الصحافة اللبنانية من أجلى أنا الصحفية ومن بيت أركانه من الصحفيين .

ويومها بدأت مى تروى قصتها بأسلوب ساحر .. كانت أعظم محدثة تختار ألفاظاً فيها رنين موسيقى ، ورغم أنهـا كانت تصف مأساة .. فلم تستعمل كلمة نابية واحـدة فى حق الذين ظلمـوها ، فهى تعتقد أن الدكتور جوزيف اتهمهـا بالجنون بعد أن أخـذ منها توكيلا بالاستيلاء على كل ممتلـكاتها ، وتـكلمت مى ووصفت كيف ألبسوها قميص المجانين وكيف شهدها عشاقها فى لبنان وهى تسير باكية فى موكب رهيب ، فوجدت نفسى أشـترك فى مأساة وكنت يومئذ أعمـل فى جريدة « الحديث » وذهبت وسجلت كل ماحدث .

وكان دكتور زيادة قد أقام الدعوى مطالباً بإعادتها إلى المستشفى ، وكانت معارضتنا لإثبات سلامة عقلها أننا دعونا الناس يومها ليحضروا إلى المسرح الكبير للاستماع لمى ، وزحفت الخلائق من كل جهة ٠٠ وصعدت إلى المسرح ٠٠ وألقت خطابا رائعاً تكلمت فيه عن كل شىء إلا عن مأساتها .

وكان بين الحاضرين النائب العام الذى كان يرأس المحكمة التى ستنظر فى قضيتها وهو الأستاذ « راجى الراعى » وكان أديباً وشاعراً . فتقدم إلى المحكمة وألقى كلمة خرجت بعدها مى إلى الحرية .

وتساءل سعيد فريحة بعد ذلك قائلا :

— فهل كان جوزيف ظالماً ؟

وبسرعة عقب على نفسه بقوله :

— أهى إجت هون . . وأدباؤكم يعرفون بقية القصة .

فقلت :

— لو كان شوقى يومها حياً ، لجعل من قصتها هذه مسرحية رائعة ٠٠ تخلد خلود مسرحياته العظيمة .

أم كلثوم وملك :

وقال لى حسين الابن الثانى لشوقى : إن أخاه « على » حينما تزوج دعا أبوه أم كلثوم لتغنى فى الفرح ، وليلتها أبدعت فى الغناء بصورة أذهلت شوقى . . وكان يستمع إلى إنشادها وكأنه غائب عن وعيه ٠٠ وعن الدنيا كلها ٠٠ وان الفرح ما كاد ينتهى حتى كان شوقى قد أملى على سكرتيره الخاص القصيدة العاطفية الرقيقة التى مطلعها : سلوا كؤوس الطلا هل لامست فاها .

إلى آخر هذه القصيدة العاطفية التى ما تزال أم كلثوم تحتفظ بها فى مكان أمين بمكتبها الخاص .

ولقد حرص شوقى على أن ترسل إليها قصيدته فى مظروف خاص ، وألا تنشر فى أى جزء من أجزاء الشوقيات الأربعة ، ليظل سرها وقفاً عليه وعلى أم كلثوم .

ويضيف الأبن قائلا :

— إننى لا أزال أذكر كيف اتصلت بوالدى الفنانة ملك فى أحد أيام الصيف بالاسكندرية وكان سعيداً حينما طلبت منه أن يعد لها قصيدة تغنيها على مسرحها وأنه وعدها بعد عودته من مصيفه فى لبنان أن يعطيها القصيدة .

وفى لبنان تذكر وعده ، وبدأ طيف ملك يداعب خياله الذى ألهمه هذه القصيدة المشهورة :

بى مثــل ما بك يا قمــرية الوادى
ناديت ليلى ، فقومى فى الدجى نادى
وأرســلى الشجو أسجاعاً مفصــلة
أو رددى من وراء الأيك إنشــادى
لا تـكتمى الوجد ، فالجرحان من شجن
ولا الصــبابة فالدمعــان من واد
تذكــرى . . هل تلاقينــا على ظمأ
وكيف بل الصدى ذو الغلة الصــادى

* * *

وفى مجال علاقة شوقى بالفنانات يروى أنه لمــا شاهد حفلا راقصاً بقصر عابدين قال :

مال واحتجب وادعى الغضب
ليت هاجــرى يشرح السبب
عتبــه رضى ليتــه عتب

بقى حب واحد لشوقى لا يعلم من أمره أولاده ولا سكرتيره الخاص شيئاً . إنه حب الأديبة السويدية التي التقى بها فى باريس حينما مثل مصر فى مؤتمر المستشرقين

ويومها همس فى أذنها بأربعة أبيات بالفرنسية ،وكان يصف فيهـا جمالها الرائع ، ولم تتركه الأديبة إلا بعد أن نظم فيها أربعين بيتا ما تزال تتردد — فى همس — على ألسنة بعض شعراء مجمع الخالدين .

وأخيراً فإن الذين يتتبعون آثار شوقى يرون أنه قد تناول جميع فنون الشعر ، وعالج قضايا مجتمعه ، ووطنه الذى أحبه من كل قلبه :

وطنى لو شغلت بالخلد عنه

نازعتنى إليــه فى الخلد نفسى

أحمد كمال زكي



شاعر وناقد وقصاص
وأصغر فائز بجائزة الدولة التشجيعية فى الأدب حتى الآن

فاز بجائزة الدولة التشجيعية فى الأدب عن كتابه « الأصمعى » على أساس أنه قدم فيه منهجاً جديداً لأول مرة فى كتابه التراجم العربية .. إنه الدكتور أحمد كمال زكى الأستاذ المساعد للنقد والأدب المقارن بجامعة عين شمس ، أصله من المنصورة ولكن الاسكندرية شهدت مولده وجامعة القاهرة شهدت تخرجه ، وسنة ١٩٥٩ سجلت نجاحه فى الدكتوراه فى الآداب ، وسنة ١٩٦٤ سجلت فوزه بجائزة الدولة التشجيعية .

قدم حتى الآن ١٤ كتاباً بين تأليف وتحقيق ، وأكثر ما يعتز به منها ديوان شعر باسم « أناشيد صغيرة » ومجموعة قصصية باسم « ذات يوم » و « الأساطير » و « ابن المعتز » الخ(١) .

حوار فى الشعر :

قلت له :

— شاعر أنت ومدرس للنقد وأصوله ، فهل تستطيع بإيجاز أن تحدد الملامح البارزة فى القصيدة العربية بعد حافظ وشوقى ، وإلى أى حد تطورت من أيامها حتى اليوم ؟

قال : شوقى وحافظ حرصا فى شعرهما على العمود الشعرى المعروف ... على الأقل من ناحية الشكل ، ولكنهما حاولا أن يضمنا شعرهما معاً بعض قضايا عصرهما ومشكلاته ،

---

(١) بدأ حياته التأليفية بالكتابة فى الصحف والمجلات العربية وفى سنة ١٩٥٩ طلع بمؤلفه « محمد فى الأدب المعاصر » ثم تتابعت مؤلفاته وهى بالإضافة إلى التى ذكرناها : الحياة الأدبية فى البصرة — قصص من مصر — نقد ، ودراسة وتطبيق — الجاحظ — تحديدات عربية للجمال — تحقيق كتابين فى التراث العربى هما : « نهاية الأرب » ، «وديوان اسماعيل صبرى» .

ولا يزال كثير من شعرائنا الشيوخ اليوم يترسمون خطاهما. غير أن فريقاً من الشعراء حتى فى أيام شوقى كان يحاول أن يحطم « البناء التقليدى » ومن هؤلاء الشعراء من انتمى إلى مدرسة أبولو ، ومنهم من انتمى إلى مدرسة المهجريين وكان اتصال هؤلاء بالثقافة الأجنبية قد نبه إلى خصوبة التعبير الشعرى الحر ، فمالجوه على نطـاق ضيق أولا ثم توسعت فيه الأجيال التالية ، بخاصة جيل محمود حسن اسماعيل وعلى محمود طه . على أنه فى الخمسينات بصفة عامة ظهرت قصيدة الشعر المرسل وكان قد مهد لها لويس عوض وفريد أبو حديد ، وأساس التعبير فى هذه القصيدة ليس التخلى عن « الوزن » كما يظن الشيوخ وإنما التخلى عن « نظام » البيت القديم والاعتماد على التفعيلة .

ويمكن أن نجعل من أساس التعبير فى القصائد التفعيلية « الصورة » بعيدة عن أسلوب التقرير وقريبة جداً من حركات الأعماق التى تتصل بثقافة العصر اتصالا مباشراً .

وهذه الثقافة تتضمن الأساطير وسائر أنواع الفولكلور الإنسانى مع حرص على عرض نتائج أساتذة علم النفس التحليلى فى تجارب مجتمعية وانسانية صادقة .

— ومن فى رأيك يعتبر أحسن شعراء القصيدة التى تسميها مرسلة ؟

— ليس هناك أحسن ولا أردأ ، ولكن هناك تضافر جهود شابة على إعطاء القصيدة الجديدة أبعادها الإنسانية الأصيلة دون الكفر بقيم القديم .

— ومن هم أصحاب هذه الجهود الشابة ؟

— عندنا فى مصر على سبيل المثال عبد المعطى حجازى وصلاح عبد الصبور ، وأظن أننى قدمت شيئاً ما . وفى العراق السياب ، ونازك الملائكة ، وفى سوريا على أحمد سعيد ، وفى لبنان خليل حاوى ، كل واحد من هؤلاء خدم الشعر فى جانب مهم ، ويشترك الجميع فى العناية بالصورة التى تستمد كيانها وتجربة العصر .

ومع أن أحمد كمال زكى بكتابه الفائز بالجائزة يبدو أكاديميا ، وينهج فى تحقيقه

وتراجم منهج العلماء والمؤرخين المحققين فإنه معروف فى الأوساط الأدبية بأنه من شعراء الصف الأول الذين يعالجون الشعر بأسلوب المدرسة الجديدة ، وذلك بعد سنوات طويلة من النظم على طريقة القدماء التى لا تزال تظهر آثارها فى ديوانه الذى يستعد لإصداره :

استمع إليه معى وهو يقول فى قصيدة بعنوان «وهم قبله» :

فى طيب طيبك ياهواى تطول رحله

قلبى يسوح . . .

ومع العبير أهيم كالنغم الموله

ماذا هناك . . .

المنتهى أم بدء مجهول . . .

أم الحلم الذى جمعت فيه العمر كله

السحر فى عينيك . . .

والأسرار تغفو عند شعرك . . .

والدلال بك استراح فمن تراه على دله

ناديتنى . . .

فرفعت رأسى

يا لتكأى عليك بوهم قبله !

— وما ذا عن ديوانك الجديد ؟

— اسمه قصائد لها .

— من تكون هذه التى تعنيها وهل هى ملهمتك المفضلة وأنا أعلم أنك زوج وأب لعدة أولاد ؟

قال : أظن أن توجيهى ديوانى الأخير للملهمة لا يتعارض مع حياتى الخاصة ،

والشاعر على أى حال موكل بالجمال يتبعه كما يقال ، وقد تكون له أكثر من ملهمة ، ولكن من المؤكد أن صاحبة « قصائد لها » واحدة بعينها .

— كيف يوفق الشاعر بين الزوجة والملهمة ؟

— إذا كانت الزوجة هى الملهمة فلن تكون هناك مشكلة على الإطلاق ، وإذا كانت الملهمة غير الزوجة فنحن أمام أمرين : إما أن الزوج الشاعر يتمثل من خلال تجاربه واحدة ليس لها وجود بالفعل وفى هذه الحالة يكتب أروع أشعاره ، وإما أن يكون على اتصال بواحدة معينة فلا تكون هناك مشكلة ، إلا إذا اكتشفت الزوجة هذه الحقيقة فبددت أحلامه وأطارت النوم من عينيه .

— ومن هو شاعرك المفضل ؟

— الواقع ليس لى شاعر مفضل بهذا المعنى . . فكل شعر جميل أستفيد منه شيئاً ويؤثر فى على نحو ما ، لكنى أعجبت بأبى تمام وبشار وأبى العلاء فى الشعر القديم . . وفى الشعر العربى الحديث اقرأ فى شغف لعمر أبو ريشة وبدوى الجبل وابراهيم ناجى ، ومحمود حسن اسماعيل بصفة خاصة ، وأما فى الشعر الأجنبى فأعتقد أن أكثر من واحد تأثرت به ، وأذكر وليم بتلر ييتس وازرا باوند ، ووليم بليك ، واليوت، بالإضافة إلى أغلب الشعراء الرمانسين الانجليز مثل شيللى ، وبايرون .

— وما أحدث إنتاجك ؟

— أسامة بن منقذ وشعر الهذليين وأقوم حالياً بتحقيق كتاب بعنوان « نشوة الطرب » عن تاريخ العرب القديم .

هل نجح كقصاص ؟

ولكن الشاعر الذى يعيش ليله ونهاره يستجدى عرائس الإلهام وربات الشعر لعلها تلهمه روائع القصيد . . . هل ينجح إذا تحول إلى قصاص ؟ هل يستطيع أن

أن يترك أوهامه وأحلامه ، ويهجر مصادر إلهامه ، ليعيش مع الناس على الأرض يصور آلامهم وأفراحهم ؟

إن حكاية الشعراء الذين تحولوا إلى كتاب قصص ، أو جمعوا بين الشعر والقصة . . كانت وما تزال خرافة لا يؤمن بها أكثر الأدباء العرب ، كما آمن بها كتاب الغرب بعد أن أصبح الشاعر « سير وولتر سكوت » قمة الشعر والقصة معاً ، وكذلك « توماس هاردى » و « وإدجار الن بو » حينما عالجا الشعر ، وكتبا القصة بنجاح منقطع النظير فى نفس الوقت .

وإذا كان بعض عمالقة الشعر فى انجلترا قد تحولوا إلى قصاصين ونجحوا تماما ، فهل يكتب النجاح لبعض شعرائنا عندما يعالجون كتابة القصة ؟ وهل تتحقق النظرية التى تقول إن القصة القصيرة قصيدة شعرية من حيث هى وحدة شعورية عن موقف معين فى قطاع مستعرض للحياة .

إن عباس العقاد قد سجل فى ذلك الميدان انتصارات رائعة واستطاع بقدرته الخارقة أن يغزو ميدانى الشعر والقصة معاً . والذى أعرفه أن الشاعر أحمد كمال زكى — ونحن بصدد التأريخ له — قد غامر بإصدار مجموعة قصصه التى سماها «ذات يوم»[(١)] فهل نجح فى مغامرته ؟ وهل قام بهذه المغامرة كبرهان على أن الشاعر العربى باستطاعته أن يكتب القصة وينجح ؟

لا شك أن تداخل الفنون — على هذا النحو — ينتهى إلى إثارة قضية خطيرة . . هى التخصص ، إذ المعروف أن التخصص يؤدى إلى الإجادة ، ولكن يبدو أن هذا لم يمنع أحمد زكى من أن يجرب حظه فهل نجح ؟ إن الأيام كفيلة بأن تكشف لنا عن الحقيقة وأن تتولى الإجابة عن هذا السؤال وإن تكن تجاربه مع السير الأدبية تقرر أنه قصاص . والآن تعال لنكشف معاً الستار عن إنتاج هذا الشاعر

---

(١) أغطس سنة ١٩٦٢

والناقد المغامر ، ونقف على المزيد من المعلومات عنه . إنه بدأ حياته الفنية يكتب القصة .

ولعل قصته « نجمة الفجر » وهى من إنتاجه الأول نقطة البدء فى فهم أسلوبه الفنى العام .

إن الشاعر الذى عاد إلى ميدانه — بعد أن أصدر ديواناً أثار ضجة فى أوساط الشعراء — يتطلع فى مجموعته القصصية إلى ما حوله . . وبأسلوبه الانفعالى الرومانسى يحرك الواقع فى إيجابية حيــة ، ومن ثم نستطيع أن نقول إنه يتخذ الاطار الرومانسى لقصصه ، يساعده على ذلك أسلوبه الشاعرى ، ثم يتحرك خارجاً إلى الواقع الحى مشاركا فى قضايا عصره . . فى قضايا إنسان هذا العصر .

الدليل على هــذا قصته « شيشه » وقصته الثانية « شلن » وأثبت معهما قصة باسم « هــذا الشىء البغيض » . وأما قصة « شارع السد » فتعتبر يقظة واعية لجانب من جوانب مجتمعنا لا يمكن لرومانسى أن يقف عنده بسهولة .

والناحيــة الأخرى التى تبدو لنا فى مجموعته هى اعتماده على السرد المتدفق الذى يطعمه بسخرية لاذعة ، ويلونه بخفة الدم التى لا تظهر فى شعره الحزين الأسود .

وهــكذا يبدو أن الشاعر القصاص يعتقد أن سياق القصة يجب أن يعتمد على الروح المرح أكثر مما يعتمد على بلورة الموقف الأليم . وفى « ذات يوم » قصته الطويلة ، وفى آخر قصة بالمجموعــة « عود على بدء » وفى « صالح افندى » وفى « مسألة إصرار » تتضخم هذه الظاهرة ، ولــكنها لا تختفى فى سائر مجموعته باستثناء قصة « المدرج ١٨ » .

إن هذه المجموعة دليل على أن القصة القصيرة ينبغى أن تتخذ موقف قصيدة الشعر ، تطبيقاً للنظرية التى تقرر أن القصة القصيرة قصيدة شعر من حيث هى وحدة شعورية عن موقف معين يجب أن يتمثله بعمق وإيمان .

القصة فى التراجم :

وهنا نعنى بالتراجم السير أو تاريخ الأشخاص . وقدم أحمد كمال زكى فى هذا الفن ثلاثة كتب هى : الأصمعى ، الفائز بالجائزة وابن المعتز الذى اختير خليفة ليوم واحد وفشل لمجونه وأخيراً الجاحظ «موليير العرب» وواضح أنه يعتمد فيها جميعاً على القصة مستعيناً فى الوقت نفسه بالأسلوب الشعرى . ومن السهل بعد ذلك أن نلاحظ أن نظرته النقدية جعلته قادراً على اختيار المواقف الصحيحة من التاريخ ويعرضها بأسلوب فنى لا تعرفه كتابة السير فى حياتنا الأدبية إلا عنده .

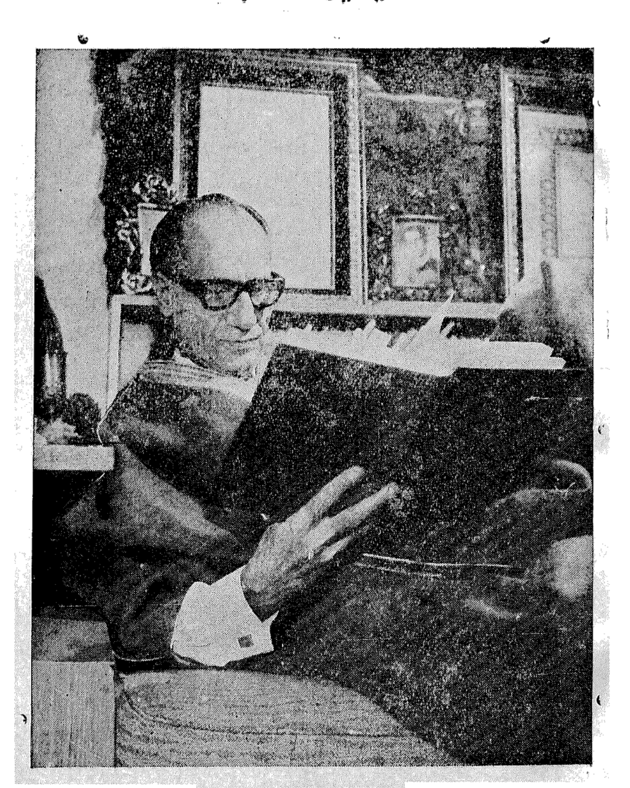
قلت له :

— بالسير كان مجالك الحقيقى بدليل نجاحك فيها ككاتب ذى منهج جديد .

قال :

— أستطيع أن أفرغ فيها من طاقاتى وعواطفى على نحو ما فعلت فى ابن المعتز بصفة أساسية . . ولكنى لا أدعى أنها كل شىء عندى ، ويبدو أننى لا أطمع فى أكثر من التعبير عن نفسى سواء أكان ذلك فى قصيدة شعر أم فى كتابة النقد أم فى تأليف السير .

أمين يوسف غراب



صاحب نساء وذئاب !

الشقة ذات الحجرات الخمس فى مصر الجديدة ، كل ما فيها لونه أحمر . . .
ما عدا الثلاجة إيديال ، وبعض صوره مع النجوم ، وطه حسين ، ويوسف السباعى .

الستائر حمراء ، والصور العاريات بالحجم الطبيعى حمراء . . المقاعد . . اللمبات . . حتى أغلفة الكتب والمجلدات كلها بلون حبة الطماطم التى احتفظ بها فى مكتبه .

وحمرة الخجل تكسو وجه الأديب أمين يوسف غراب[1] عندما أسأله عن زوجته لتجلس بجانبه لتلتقط لهما صورة عائلية مع ابنته سامية (١٤ سنة) وولده ابراهيم (١٧ سنة) .

— لا يا عم . . احنا فلاحين .

وأتطلع إلى وجه أمين الذى يقف على أبواب الخمسين[2] ... إنه ما يزال لامعاً حلو التقاطيع ، وأراه يمط شفتيه هربا من محاولة تصوير زوجته التى فرض عليها الحجاب منذ ثمانيه عشر عاما .

— طيب فلاحين . . وعرفنا . . وماذا عن اللون الأحمر ؟

---

(١) فاز بجائزة الدولة التشجيعية فى « القصة » ١٩٦٤ ، بمجموعة قصصه التى بعنوان « أشياء لا تشترى » التى يصور فيها قطاعات مختلفة من الحياة توضح أن السعادة لا تشترى بالمال ، ولأمين ١٨ مؤلفا صدرت قبل تلك المجموعة أهمها الضباب ، وزينة الخلخال ، وطريق الخطايا ، وآثار على الشفاة ، وأهم قصصه — فى رأيه — قصة « نساء فى حياتى » التى ظهرت سنة ١٩٤٧ ، « وشباب امرأة » التى قدمت للسينما ، وهو فنان عصامى نشأ فى الريف ، وعلم نفسه بنفسه ، ويعتبر من أحب كتاب القصة إلى الشباب .

(٢) شتاء سنة ١٩٦٢ .

— أحبه . . ترتاح له أعصابى وعينى . ولا أرى أية صورة فنية يغلب عليها اللون الأحمر إلا اشتريتها مهما بلغ ثمنها .. وبهذه المناسبة أنا اشتريت تمثالا صغيراً .

وقطع غراب حديثه فجأة ، ورأيته يطير إلى حجرة المكتب ثم يعود وبين يديه تمثال من النحاس دقيق الصنع لامرأة نائمة فى حراسة كلب .

— أنا دفعت فى هذا التمثال ١٥٠ جنيها .. مع ملاحظة أننى لست إقطاعيا سابقاً ولا من أصحاب الأرصدة فى البنوك ، وأصارحك القول بأنى ما زلت أسدد ديون بعض الصور .. وهذا التمثال حتى الآن .

وأعود مرة أخرى أتابع حركات فجر شبابه فى قرية « محلة مالك » من أعماق محافظة كفر دسوق وفى مدينة دمنهور ، حيث استطاع بموهبته فى كتابة القصة أن يسبق أبناء المدن الكبرى ، وأن يحتل مكانا مرموقا فى دنيا الأدباء ، ثم يكتب عشرات القصص التى تصعد باسمه من المجال المحلى الفقير فى دمنهور إلى المجال الكبير فى السينما .. والمسرح .. والصحافة [1].

أتطلع إلى عينيه الدقيقتين اللتين تنمان عن حرص بالغ ، وإلى شعره الذى عبث به الشيب وأقول له :

— كيف أصبحت مديونا ؟ وأين ثروتك من قصصك التى مثلت على المسرح وعلى الشاشة ؟

— لم أدخر منها مليما واحداً .

ويمضى بعد لحظة صمت فيقول :

— ولكنها مكنتنى من أن أحيا .. وأن أعيش وهذه هى غاية الفنان .

— وكم كان أكبر مبلغ وصلك من قصصك فى السينما ؟

— المسألة ليست أكبر وأصغر مبلغ ، وإنما الذكرى التى ما زلت أعتز بها

---

(١) ان أمين قدم من الريف إلى القاهرة فى سنة ١٩٤٩ ، وفيها بدأ حياته الجديده كاتبا فى مطابع السكة الحديد ، ثم نقل سكرتيرا لأحد وكلاء وزارة المواصلات ، ولما أنشىء مجلس الفنون والآداب نقل إليه ليعمل رئيسا لقسم التحرير والنشر وقد ألف حتى الآن ٢٥ قصة طويلة .

إلى اليوم وأحتفظ بها دائما هى الجنيهات الثلاثة ، التى حصلت عليها من أول قصة كتبتها ، وأعطاها لى الأستاذ محمد التابعى بيده .

وطار غراب بخياله عبر الماضى الأليم الذى عاشه فى أول عهده بالقاهرة يوم قدم إليها من دمنهور قبل أكثر من عشرين عاماً ، وهو يتحسس شعرات رأسه البيضاء . . . وكأنه يستوحيها ذكرياته الغابرة :

— لماذا تسكت ؟

— أحب أن أقول شيئا . . أحب أن أذكر فضل الرجل الأول على فى شق طريقى فى حياتى الأدبية وهو الأستاذ التابعى . . لأنه الوحيد الذى قدر قصصى ، وقدر مستقبلى ومد لى يد العون والرعاية وأنا مازلت أعيش فى الريف ، وفتح لى صدر مجلة « آخر ساعة » فى ذلك الحين . وكانت هى المجلة الأولى فى مصر وظللت أكتب فيها خمس سنوات كاملة قصة كل أسبوع ، وأظن أن هذا الفضل من الرجل لا ينسى أبدا .

— وأول قصة نشرت لك . . نشرت تحت أى عنوان ؟

كان اسمها « فى البيت » .

وخلع أمين نظارته ولبس النظارة الأخرى التى يستعملها فى القراءة ، ومد يده إلى رف قريب وأعادها بمجلة آخر ساعة سنة ١٩٤٢ . .

وقال لى

— أول مرة كتبت فيها فى الصحف كانت سنة ١٩٤٠ ، ونشرت أولى قصصى فى هذا العدد .

وأخذ يبحث بين صفحات العدد «٤٠٢» من آخر ساعة الصادر فى ١٢ أبريل سنة ١٩٤٢ عن أولى قصصه . . إلى أن وجدها وقدمها لى وهو يقرأ .

هذه القصة قدم لها الأستاذ التابعى بقوله :

— محرر المجلة يوصى كل رجل متزوج بقراءة هذه القصة التى أهداها كاتبها إلى الرجل صاحب الفضل الأول فى إلغاء البغاء ٠٠

* * *

ودخل ابنه ابراهيم ، وهو نسخة طبق الأصل من أبيه ٠٠ قوامه ٠٠ أناقته ، حرصه على أن يعرف تفاصيل ما يقال ، وسمعت الأب يقول لولده وهو يلتفت إلى :

— فنجان آخر من القهوة يا ابراهيم .

— سيكون من نصيبك لأنى لا أريد السهر طول الليل ٠٠ ويبدو أنك تريد الخروج مبكرا ٠

— صحيح نريد الخروج لشراء كحك العيد ٠

— إذن نؤجل الحديث إلى ما بعد العيد .

— لا . أبداً نكمل ٠٠ عندنا وقت كثير .

امرأتى فى قصصى :

واتجه تيار الحديث نحو المجتمع الداخلى لأمين ٠٠ نحو بيته ٠ زوجته أولاده ، وعرفت من حديثه :

* أنه متزوج من بطلة إحدى قصصه ٠

* وأنه ما يزال أسعد إنسان مع البطلة التى صورها فى خياله ثم قدر له أن يعيش معها هذا العمر ٠

* وأنها ريفية مثله كانت — وما تزال — تعيش فى نفس الإطار الذى صورها ، أو وضعها فيه ٠

* وأنها تتابع إنتاجه القصصى . ولها الرأى الأول فى كل ما يكتب .

* ولولا أنها تتذوق الأدب والفن ما تزوجها .

— هل ما تزال تلهمك وتغريك بالكتابة ؟

قال :

— إنها تهىء لى الجو الصالح للكتابة وهى ميزة كثيراً ما يحتاج إليها الفنان .

— هل تصورها فى بعض قصصك ؟

— فى أكثر قصصى .. وفى بعض أفلامى أصورها ، وأكون سعيداً بذلك .

— ما هى هذه الأفلام .. وهذه القصص ؟

وبصوت القروى الذى يعيش فى الحقل أجاب :

— هذا من غير شك سؤال لا جواب عليه .

قلت :

— وما مدى المسافة التى تعشش فيها العفاريت بينك وبين زوجتك على حد قول أنيس منصور فى مسرحيته « الأحياء المجاورة » المسافة اللى بين الراجل ومراته هى دى اللى بتعشش فيها العفاريت ؟

قال غراب :

— من حسن حظى كفنان أن المسافة بينى وبينها كلما طالت قصرت ، وكلما قصرت طالت ... وبهذا ليس هناك أى مجال للعفاريت لكى تعشش !

— وأبطال قصصك من أين تستوحيها ؟

— أكثر ما كتبته قد عشته ، ولذلك إذا قدر أن ينجح عمل فنى لى فأنا لا أرجع نجاحه إلى مقدرتى الفنية .. وإنما إلى الواقعية التى عشتها .

وبهذه المناسبة أذكر مثلا « شباب امرأة» عشت طرفا منه ، «ورنة الخلخال » كان بطلها خال لى ، وكان — رحمه الله — يشبه عبد الوارث عسر شبها كبيراً ،

وكذلك رواية «نساء وذئاب» رأيت بطلتها بنفسي، وعشت معها بعض مأساتها في الحياة .

وكيف تصور مشاعرك كزوج ؟

— مشاعري كزوج أعيش فيها دائما مع مشاعر الذين أكتب عنهم . وما كتبت عن امرأة ، ولاسيما إذا كانت زوجة ، إلا تمثلت مشاعر زوجها ، كما أتمثل مشاعري كزوج ، وأكبر دليل على ذلك هو كتابي المسمى «بزوجات الآخرين» الذي صدر من عامين .

- وما هو نبعك المفضل الذي تستقي منه قصصك ؟

- تقديري للمرأة ، وحبي لها ، إذ أني أعتقد في قرارة نفسي أنها إن صلحت صلح مجتمعنا ، ولهذا فأنا أحبها وأكتب عنها ، وأعتبرها مصدر حبي وإلهامي بل هي النبع الذي أعيش عليه حياتي الفنية جميعها .

— وهل عندك أماكن معينة أوحت إليك ببعض قصصك ؟

هناك مكان واحد وهو نفسي فأنا أعيش في الفكرة زمنا دون أن أدري عنها شيئا .. وفجأة تدفعني دفعا إلى الكتابة في هذه الحالة أكتب في الشارع ، أو في المقهى أو المكتب ، أو في أي مكان .

قلت له :

— الأديب دائما يصور حاله .. السعيد يصور سعادته ، والشقي يصور شقاءه فما الذي تصوره أنت ؟

قال :

— إن الذي أصوره أنا لا هذا ولا ذاك ، وإنما هو ما أنفعل به في البيئة التي أعيش فيها فلذا أصور الشقاء كما أصور السعادة وأشقى بالاثنين . وأسعد بالاثنين وأعيش حياتي دائما في الصور التي أنفعل بها .

وأنا مازلت أذكر حياتي في قريتي وفي دمنهور ، وأذكر قصصي التي كتبتها

من نبع هـذا البلد ، وإلى الآن ــ وإن كنت أعيش فى القاهرة ــ فأنا أعيش بخيالى وقلبى فى الريف الذى أحبه .

وسألته :

ــ ومتى تشعر بالقلق يجتاح نفسك ؟

عندما أجلس إلى أولادى وأنظر بخيالى البعيد إلى المستقبل الغامض . . أما ماعدا ذلك من قلق ، وفقر ، وثراء ، وسعادة فلا أهتم به أبداً لأنى عشته وفهمته وأنتظر الشقاء كما أنتظر السعادة سواء بسواء .

وأنتقل بحديثى مع أمين غراب إلى علاقاته الخاصة بالأدباء ، وإلى ماتردده بعض الألسنة حول فضل طه حسين عليه . . وما هى العلاقة بينهما الآن ؟
فقال أمين :

ــ أنا أعتبر طـه حسين رغم أنه قمة الأستاذية لى والدا لى ، وبهذه المناسبة أذكر أننى تثقفت وتعلمت الأدب فى كتبه ؛ وأنا أقيم فى الريف ، ولم ألتق به إلا بعد أن كتب عنى وذهبت لكى أشكره وكان ذلك قبل اثنى عشر عاما تقريباً .

ــ وعلاقاتك بنجوم السينما بطلات قصصك ؟

ــ علاقات عمل فقط ، وليس لى من بينهن ملهمة ، والحمد لله .

ــ وقراءاتك الأدبية لمن الآن ؟

ــ أقرأ كل الكتب المترجمة تقريبا . . والكتب العربية التى تستحق القراءة .

آخر السطور :

ومن الحديث معه عن آخر إنتاجه ورحلاته عرفت :

* أنه عاد قبل أسبوعين من الكويت . . وكان قد زار الكويت بدعوة من وزارة الشئون الاجتماعية ليشهد تمثيل إحدى رواياته ، وأنه رأى هناك مظاهر النهضة

فنية قوية تتمثل فى إنتـاج فرقتى الفنون الشعبية ، وفرقة المسرح العربى التى ألفها زكى طليمات والتى تبذل الآن جهوداً موفقة رغم بعض الصعاب التى تقف فى طريقها وأهمها اللغة والحوار .

والطريف أن الفتاة الكويتية ماتزال ترفض الاشتراك فى التمثيل على المسرح فى الوقت الذى قررت فيـه حكومة الكويت إنشاء معهد للتمثيل ، ومنح ٥٠ ديناراً فى الشهر لكل فتاة تلتحق به ، و ١٥٠ دينار عند التخرج .

وقد استجابت أخيراً بعض الفتيات للالتحاق بمعهد التمثيل الذى سيفتح أبوابه قريبا ، وأن التليفزيون قد بدأ نشاطه هناك وبدأ يجذب إليه أكثر العناصر الفنية الجديدة .

سألته :

— وأهم شىء لفت نظرك فى الكويت غير الحياة الفنية ماهو ؟

— لفت نظرى جداً حب الشعب الكويتى للرئيس جمال عبد الناصر فما من بيت أو متجر دخلته إلا وشاهدت صور الرئيس هناك ، وبهذه المناسبة أذكر حادثة لطيفة فقد دخلت متجراً كبيراً للصينى فى أضخم شوارع الكويت ، فرأيت فـازة من الكريستال .. تزينها صورة الرئيس جمـال فى أوضاع كثيرة ، ولما أعجبت بالفازة سألت عن ثمنها فاذا بى أسمع مبلغاً ضخما جداً ذهلت لسماعه وهو ٢٥٠٠ جنيه .

فلما سألت البائع لماذا وضع عليها هـذا السعر ؟ أجاب ضاحـكا ... حتى أعجز المشترى وأبقيها عندى .

فقلت له :

— لنفرض أن أحد الأثرياء هنا دفع لك الثمن ، فـماذا أنت فاعل ؟

فقال :

— إذا كان ثريا فإنه يستطيع أن يصنع فازة للرئيس عبـد الناصر ، بأكثر من هذا الثمن ، وفى هذه الحالة أعجز الشارى عن شرائها . والطريف أيضا أننى ذهبت إلى قلب الصحراء فوجدت — عندما طلبت بعض المياه للشرب — أن الأعراب البسطاء جدا يأتون إلى بأباريق الفخار ، وهى مزينة بصور الرئيس .

أنيس منصور



صحفي ، وكاتب ، وناقد ،
وهوايته الطواف حول العالم !

الكتاب رقم ١٦ الذى صدر أخيراً للأستاذ أنيس منصور يحمل هذا العنوان « وداعا . . أيها الملل[1] » . ويبدو أن المؤلف قد حدد أيام شهر العسل موعداً لظهور كتابه الجديد فلقد صدر الكتاب فى نفس الوقت الذى كان فيه أنيس لا يزال يتلقى التهانى بزواجه الموفق السعيد . وبانضمامه إلى زمرة « العرسان » الذين هربوا من دنيا العزوبة والملل . . إلى دنيا جديدة مملوءة بالسعادة والأمل . !

وعنوان الكتاب خطير . . ومعناه بالقياس إلى ناقد أدبى ، مثل أنيس منصور يكون أشد خطورة لأن أحكامه — كناقد مرموق متخصص — لا بد أن تصدر بحكمة بالغة ، وحرص شديد . وهو — بعنوان كتابه هذا — يعلن بكل صراحة أنه خرج من دائرة الملل وودع السرحان ، الذى كان يجعله غير قادر على التركيز . . غير قادر على أن يحصر كل ما حوله بعينيه وبأذنيه . أو بيديه معناه أنه قدخرج من الغيبوبة التى عاش فيها زمناً طويلا لا يقل عن أربعين عاماً . . إلى دائرة الشعور بالوزن ، والإحساس بالنفس وبالآخرين من الناس ..

فهل حقيقة ودع أنيس الملل إلى غير رجعة ؟

وكيف ودعه وهو القائل فى مقدمته « الفرار من الملل هو أن نفكر فى الملل » .

---

(١) صاحب هذا الكتاب فاز بجائزة الدولة التشجيعية فى أدب الرحلات عن كتابه حول العالم فى ٢٠٠ يوم ، وهو أديب قاسى مرارة الحرمان فى طفولته وعوض عن فقره بالامتياز فى دراسته إلى أن تخرج فى الجامعة . ثم عمل بالصحافة ، وفيها اتسع نطاق أعماله الفنية . وقد ألف حتى الآن تسعه وعشرين كتابا بالاضافة إلىعدد من المسرحيات التى ترجمها عن الآداب العالمية ، وهو مولود فى ١٨ أغسطس ١٩٢٥ .

وإلى أى حد شفى من القلق والأوهام — وما أكثرها — وأوجاع المصران الغليظ والحساسية والأرق الطويل الذى حير الأطباء !

أغلب الظن أن النقاد والصحفيين الذين تناولوا « وداعا . . أيها الملل » بالنقد والتحليل لم يحسنوا هضم مقدمة الكتاب ولم يتعمقوا فى دراستها كما ينبغى ، بل يخيل لى أنهم كتبوا أى كلام ، مقالاتهم .. كلماتهم .. كانت مجرد تحية .. أو بطاقة تهنئة .. أو رد لجميل سابق .. أو ترحيب بمولد كتاب جديد لمؤلف محبوب جداً عند هؤلاء الكتاب والنقاد .

إنهم لو عاشوا قليلا مع المؤلف .. لو هضموا مقدمته جيداً ، وفهموا ما بين سطورها .. لو تابعوا ما كتبه من مقالات بعد صدور كتابه هذا ، لطالبوا جميعاً بأن يكون الاسم الصحيح للكتاب هو « لبيك أيها الملل » لا « وداعاً .. أيها الملل » .

والآن تعال معى نتناول بالنقد والدراسة الموضوعية مضمون الكتاب وصاحبه لنعرف إلى أى حد ودع الملل ؟

تعال فى جولة سريعة ندخل قلبه .. نفتش عن اللون الغالب فى كل إنتاجه ، وهل وفق فيما حاول جاهداً أن يعبر ؟ وكيف شق طريقه فى الحياة ؟ ثم نحاول أن نصدر حكماً لا أحد يستطيع أن يطعن فيه !

إن قصة حياة المؤلف كما رواها بنفسه فى كثير من المناسبات وكما سجلها فى مقال له بعنوان « نحن أولاد الغجر » تؤكد :

* أن طفولته لم تكن مستقرة . . كان ينتقل من قرية إلى قرية ومن مدينة إلى مدينة . . كل يوم فى بلد . . كل يوم تحمل أسرته متاعها الخفيف وتسافر .. أو على حد قوله :

« لم يكن متاعنا كثيراً ، لم يكن لى أصدقاء ، لم يكن لى أصحاب ، لم تكن هناك بلدة عزيزة على . ولم يكن هناك أحد عزيز على . كل يوم أرى وجوهاً جديدة . لا أعرف كيف أتعلق منها أوفيها . كنا جماعة منعزلة يفاجأ الناس بنا ويسألوننا عن بلادنا وكنا نقول ، كان الناس يصدقوننا أو لا يصدقون . لم يكن زملائى فى المدرسة يرحبون بى ولا يحبوننى . فهذا أبوه فلان ، وهذا أخوه فلان ، كلهم من أبناء المدينة ، أما أنا فمن بلاد أخرى لا يعرفها أحد . ولا يعرف من أين جئت ولا يعرف أهلى ولا أقاربى . وكنت غريباً ، وكنت أعوض غربتى بالتفوق فى دروسى ، وكان هذا يضاعف متاعبى ، وكثيراً ما كان الطلبة يضربوننى لأننى أنفرد بالمذاكرة وبالتفوق . مع أننى أريد أن أرتفع بدروسى إلى مستواهم النفسى ، إلى مستوى استقرارهم وقدرتهم وأسرهم » .

وفى مكان آخر يقول « لم أقتنع بعد أن البيت الذى أسكنه ليس فى مهب الرياح .. ولم أر الذئب أبداً ولكن عواءه لم يفارق أذنى ، والخوف منه لم يختف من أحلامى »

وإذا طالعت عناوين مقالات الكتاب ، أو رحت تحصى ما تكرر فى هذه المقالات من كلمات الملل ، أو المعانى التى تشير إليه — وهى كثيرة جدا — تلمح هذه العناوين على الترتيب فى صفحات ١٩٧ ، ١٧٣ ، ١٨٧ « صرخة ملل » و « الحياة هى الملل » و « الحرية والسرعة والملل » وفى صفحة « ٩٣ » يقابلك هذا العنوان « فى عزلة » وفى صفحة ١٧ « لماذا لا تشرق الشمس من الغرب » .

وتمضى تقلب الصفحات فتجده يكتب فى صفحة ٨٠ هذا العنوان « كرهت حبى » .. إلى آخر هذه العناوين التى تؤكد كيف استبد الملل بالمؤلف وطالت صداقته له .. ووقوفه ببابه !

والآن إلى صفحة ١٢٣ حيث يقول المؤلف « الأدباء الساخطون يرون أنهم لا يمشون وإنما أقدامهم تسعى .. ولا ينامون ، وإنما ترتمى رءوسهم على المخدات .. لا يحبون ولا يكرهون ولكن قلوبهم تنقبض وتنبسط .. وأنهم لا يفكرون وإنما ينزلقون على المشاكل .. إن بطاقتك الشخصية لاتحددك ، وإنما تحدد موقفك الجغرافى والتاريخى بالنسبة للآخرين .. وأن هناك خانة ناقصة فى هذه البطاقة يجب أن تكتب فيها : إنك أنت الذى ضاع فى الزحام .. فى زحام الروس والأقدام » وفى مقال آخر بالكتاب بعنوان « مشكلة الغير المنتمى » يقول أنيس منصور :

« واللامنتمى هو البطل المفضل فى كل التيارات الأدبية العالمية فى أوربا وأمريكا إنه بطل مسرحيات وقصص الفلسفة الوجودية كلها .. إنه ذلك الرجل الذى يضيق بحريته .. بقدرته على أن يفعل أى شىء وعلى أن يمتنع عن عمل أى شىء .. إنه حر .. إنه ينام بلا طعام ويأكل بلا نوم .. ويمشى ويقعد .. ويفعل كل شىء فلا أحد يقاومه ، ولا شىء يوقفه .. إنه بطل « الجحيم » للكاتب الفرنسى باربيس إنه بطل « الغريب » للكاتب الفرنسى كامى إنه بطل الغثيان للفيلسوف سارتر .

وهو الذى يرتاد قصص ومسرحيات الأدباء الساخطين ، فى انجلترا وفى أمريكا وهو بطل « الملل » للأديب « البرتومورافيا » وهو بطل قصص الأديب الإنجليزى كولن ويلسون .. بل إنه كولن ويلسون نفسه وهو الشاويش كربس فى قصص هيمنجواى . فهذا البطل اللامنتمى مشكلة تنبع من ذاته .. من غناه الفاحش .. من حريته السفيهة .. من الحياة فى قلب البنوك .. من أنه لا توجد سدود ولا قيود فى حياته إلا سدود العالم الواسع الموحش .. فهو فقير من المشاكل وهو غنى بالملل !

إن القلق الذى لم يفارق أنيس منصور ولن يفارقه جعله يقودنا معه فى رحلة شاقة عبر مقالات كتابه . . فى رحلة أورثنا خلالها شيئاً كثيراً من ملله وقلقه ، شأنه فى ذلك شأن جميع فلاسفة الوجودية التى يمثلها سارتر وهايدجر .

ومن المؤكد أن معتنق الوجودية كثيراً ما يرددون كلمات الضيق أو القلق واليأس والهجران وأن الوجودية تقول بكل صراحة « إن الإنسان قلق دائم » . لأن الوجودى الذى يلتزم وهو على بينة من أنه لا يختار لنفسه فقط بل للإنسانية قاطبة ، وأنه يشرع للناس جميعاً لا يستطيع الفرار من شعوره بالمسئولية ، وبالتالى لا بد أن يكون فى حال من القلق الدائم .

نعم ، نرى بعض الناس لا يبدو عليهم أى قلق ، ولكن الفيلسوف سارتر يقول : إن هؤلاء يسترون قلقهم عن أنفسهم ويفرون منه . ونرى آخرين يزعمون أنهم لا يلزمون إلا أنفسهم حينما يسيرون فى طريق معين وإذا سألتهم قائلا :

— وإذا فعل الناس مثل ما تفعلون ؟ أشاحوا بوجوههم هرباً أو أجابوا مغالطة : ولكن الناس لا يفعلون مثل ما نفعل . والحقيقة أنه على كل إنسان أن يكف عن سؤال نفسه : ماذا يكون الحال لو أن كل إنسان سلك طريقى هذا ؟ ولا يستطيع الفرار من هذه الفكرة المشحونة بالقلق إلا من يغالط نفسه عن سوء قصد . فالذى يكذب مدعياً أن الناس لن يفعلوا مثل فعله لا يكون فى وئام مع نفسه لأنه لما كذب فقد خلع على الكذب قيمة مطلقة ترشحه لأن يكون من فضائل الإنسان ، وكل شخص يفعل ما يفعل ، وكأن أعين الناس مركزة عليه ليحذو حذوه ، لذلك كان من الضرورى عليه أن يسأل نفسه دائماً :

« أأنا ذلك الذى من حقه أن يسلك طريقاً من شأنه أن يكون مثالا يحتذيه كل الناس؟ » ولا يغفل عن ذلك إلا من يخفى عن نفسه ما يعتريها من قلق .

وتبلغ قمة ملل المؤلف فى مقدمة كتابه . . تلك المقدمة التى تصرخ فى أذنيه قائلة :

— أنت أنيس القلق . . وجليس الملل . . ولا أحد غيرك يدين بمذهب القلق !

إن تاريخ المؤلف القريب قبل أن يزعم أنه ودع الملل يقول :

إنه كان يحارب فى معركة الملل بوسائل تدعو للإشفاق أحياناً ، والرثاء أحياناً أخرى .

لقد رأيته فى سنين طويلة وهو يجرب أسلحة لمحاربة الأرق .. مثلا وهو يتردد على عيادات الأطباء بأمراض عجيبة كانت تضحك الأطباء ! وكان من بين وسائله — قبل وداع القلق — أن يخرج بسيارته فى رحلة على كورنيش النيل بعد الساعة الواحدة صباحاً إلى أن يصل إلى مشارف مدينة قليوب ثم يعود إلى شقته المتواضعة فى بولاق على أمل أن ينام نوماً عميقاً . . ولكن شد ما تكون آلامه فى اليوم التالى وهو يشكو لكل من يلتقى به بأنه لم ير النوم .

وإذا سألت المؤلف اليوم :

« وكيف رأيت حياتك الجديدة بلا ملل وأرق؟ » تسمع عجباً .

— من المكتب إلى البيت . . إلى لجان التحكيم . . ثم إلى البيت . . و « على ودنه » كما يقول المثل الدارج لا تترك له زوجته الحسناء وقتاً يقضيه فى الخارج . . عند الأصدقاء . . أو فى النادى الثقافى ، أو فى أى ناد ، أو فى التسكع على النيل كما كان يفعل . . لم يعد لديه وقت للمقالب . . للنكتة اللاذعة . . وإنما الذى حدث فعلا — أو على حد قوله — أنه ودع الملل ، واستقبل العمل ، واستغل أسلحته المعطلة !

في ملل ظاهر يقول :

— أهو كلام !

وعند ما تقول له :

— طيب عقبال البكارى . .

تعاوده الابتسامة القديمة فى كلال وضعف :

— لا بكارى . . ولا درارى . . مستحيل . . أعوذ بالله !

فهل هذه هى علامات استئصال الملل من قاب أديب الملل ؟ إنه يجيب بصراحة عن كل ذلك فى مقدمة الكتاب بقوله :

— الملل يشبه حالتنا عند ما ينطفىء النور . . إن الملل ليس هو الظلام الذى يبتلع كل مافى الغرفة ، ولكنه الشعور باختفاء كل ما فى الغرفة . .

الملل ليس هو الاختفاء نفسه ، ولكنه شعورنا باختفاء شىء ! وعلى حد قول الشاعر الألمانى « ريلكة » :

— أنا أحب . . وأنت تحب . . وشهريار الملك يحب ! إذن : لا أنا ولا أنت ولا هو سنعرف الملل !

ولكن هل الحب وحده يكفى؟

اسألوا معى المؤلف الذى لم يودع الملل ، ولم ينتصر عليه بعد !

---

(١) اغسطس ١٩٦٤ .

توفيق الحكيم



هجر الأرض ولم يبلغ السماء !

منذ شهرين وتوفيق الحكيم يقضى الصيف فى الاسكندرية يقضيه — كعادته — بعيداً عن الأضواء والصحفيين ، وزملائه أعضاء مجمع الخالدين ، ومجلس الفنون والآداب .

ذهب إلى الأسكندرية ينشد الراحة والهدوء ، ويشحن — على حد قوله — بطارية عقله ويجدد شبابه !

وأردت أن أسترد بعض مافاتنى من زيارته فى مطلع الصيف لأعرف كيف يقضى يومه هناك ، هل يقضيه بلا عمل ولا تفكير ، أو يقضيه فى السباحة ، وبين أحضان الموج مع ولده الشاب اسماعيل ؟

وشد ما كانت دهشتى فى طريقى إليه ، رأيته قادما من بعيد وهو يتوكأ على عصاه ويغطى رأسه بالبيريه ، وصدره بصديرى من الصوف ، ومن فوق الصديرى جاكتته « ووتر بروف » فى زرقة مياه البحر .

لم تصدق عيناى أن أديبنا العملاق يختبىء داخل كل هذه الملابس وهو يسير على الشاطىء فى عز الحر[1]، ومن حوله الدنيا عارية إلا من المايوه .

وفى هذه اللحظة لم يكن ممكنا أن يدور بيننا أى حديث أكثر من :

— كل سنة وأنت طيب .. وربنا يديم عليك نعمة الشباب ..

وفعلا لولا هذه « الزحمة » والملابس التى يتغطى بها ، والعصا التى لا تفارقه ، وعلى فكرة ، الآن عمرها فى صحبته يبلغ ثلث قرن كما قال لى .

أقول لك : لولا هذه الملابس ما كان أحد يظن أن توفيق الحكيم يعبر مرحلة

---

(١) أغسطس ١٩٦٥ .

الشيخوخة ، فهو يمشى بخطى ثابتة مرفوع الرأس • • نضير الوجه • • حليق الذقن • • و «امسكوا الخشب» لأنه يخشى الحسد من كل قلبه ! هكذا قال لى أيضاً •

وفى ابتسامة مشرقة يرد معقباً على تمنياتى له بالشباب الدائم :

— يسمع منك ربنا !

— وما رأيك فى جو الاسكندرية والشباب والمرح بعيداً عن الأدب ومتاعبه ؟

وبسرعة • • وكأنه قد تذكر شيئاً هاماً يقول :

— إنى مسافر الليلة ومستعجل • • وعندك الموسم القادم ، وجوائز الدولة ، وفى القاهرة سنجد كلاما كثيرا • • هه • • أليس هذا أفضل ؟

— الحقيقة أن الكلام هنا فى الإسكندرية أفضل •

وفى ابتسامة هادئة يعتذر عن الكلام ، ويبدو عليه شىء من الاضطراب ، فهو يريد أن يهرب قبل أن يتورط فى كلمة لم يزنها ، أو فى فنجان قهوة لم يسبقه استعداد !

وينصرف كلانا على غير موعد • • هو يسرع فى مشيته ليعبر الطريق ثم يختفى ، أما أنا فأسرع فى طلب أحمد سالم مصور « آخرساعة » قبل أن ألحق بتوفيق الحكيم على المقهى دون أن يعلم •

وكنت أعرف من مدير مكتبه محمود يوسف أن الحكيم فى الاسكندرية — كما فى القاهرة — يلتزم سياسة الفرار من كل من يطلب لقاءه بكل وسيلة ومن جارسون المقهى عرفت أنه لا يشرب سوى فنجان واحد من القهوة ، ولم يتعود أن يطلب غيره !

ومن دراستى له مدة طويلة أعرف أنه لا يدخن ولا يتناول أى نوع من الخمور ، أو المكيفات ورغم ذلك فهو يعانى من تصلب الشرايين • ويحاول

أن يحقق نصائح طبيبه الخاص الدكتور أحمد عبد العزيز الذى يعتقد أنه من أكفأ أطبائنا .

وعلى الرغم من انه يشدد عليه فى رجيم الطعام تشديداً قاسيا ، وأنه يخشى عليه من ارتكابه بعض المخالفات من وقت لآخر ، وأنه دائما يحاول اقناع طبيبه بأن المخالفات فى أضيق الحدود .. لا تتعدى وجبة من المقليات مرة واحده كل أسبوع ، وأفضلها عنده وجبة السمان فى شهر سبتمبر حيث تكون المخالفات كثيرة جداً .

هذا هو الاطار العام لتوفيق الحكيم أما الصورة من الداخل فهى شىء مثير حقا . فهو على الرغم من شيخوخته ما يزال — فى إنتاجه — شاباً فى ربيع العمر ، رائداً لم يجف له قلم يتخذ مادته من واقعنا ومجتمعنا المتطور إلى أفضل . ويتعرض لمشاكلنا بالتحليل العميق فى قصصه ، كأنه يعيش مع الناس . ويدرس قضاياهم عن قرب ويضع الحيثيات ويصدر الأحكام كما كان يفعل فى مطلع شبابه يوم أن كان يعمل فى القضاء !

الخريف والسمان :

إن تقديم توفيق الحكيم للقراء عن طريق السؤال والجواب .. أو قلت له ، وقال لى ، مشكلة خطيرة بالنسبة له . إن هذه المشكلة تؤرقه ، إنها ليست موجودة إلا عنده وحده دون سائر أدبائنا الكبار .. هكذا أعرف عنه تماما .. وهكذا اشترط على بعد أن فاجأته فى المقهى الذى يفضله دائما على غيره ، والذى يتردد عليه منذ أكثر من أربعين عاما كلما ذهب إلى الاسكندرية فى الصيف ، لأنه يقع على ربوة مرتفعة تحجب عنه عيون المارة على الكورنيش ولأن زبائنه ممن تجاوزا سن الشباب ، أو أحيلوا إلى المعاش !

ها هو ذا عصفور الشرق القديم وإلى يمينه الدكاترة أحمد بدوى مدير الجامعة السابق والدكتور الشيال الأستاذ بجامعة الاسكندرية ، وحسن عمر سفيرنا السابق

فى اسبانيا ومحمود الدسوقى أستاذ اللغة الألمانية ، والشاب الوحيــد بين هؤلاء هو ثروت أباظه • ومن وقت لآخر يتردد عليه مدير مكتبه ليحاول أن يباشر مهمته فى الذود عن أستاذه وحراسته من المتأدبين وغيرهم •

أما سادس من يتردد على مجلس الحكيم فهو نجيب محفوظ ، وله مكانة خاصة فى قلبه ، ويقول الحكيم : إنه يحب شهر سبتمبر لأنه يأتى فيـــه السمان ونجيب محفوظ •

متى يستريح الفنان ؟

ولقد شغلنى التفكير فى طريقة حياة هذا الرجل سواء فى القاهرة أو فى الإسكندرية • قبل لحظات قال لى : إنه عائد إلى القاهرة فى المساء بعد أن شبع من الاسكندرية ، وها هو ذا يقول لصديق له ممن يجلسون معنا إنه باق فى الاسكندرية إلى أوائل أكتوبر •• وانتابتنى الحيرة بماذا أسمى هذا الذى حدث ، وما معناه ؟

هل الشائعات التى يطلقها عليه الأدباء حقيقة لا مراء فيها ؟ هل هو يريد أن يحيط نفسه دائما بجو من الغموض •• وفى هذا نوع من الدعاية ؟

ولماذا يخشى البلاج والبحر ويلجأ إلى المقهى فى كل هذه الملابس ، وهو كما يبدو يتمتع بصحة جيدة ؟

والسؤال الأخير : هل هو مستريح لحياته هذه ؟ وإذا كان مستريحاً جسمياً ، فهل عقله هو الآخر فى راحة ؟

يجيب الحكيم عن هذا السؤال الأخير بأنه الآن فى حالة راحة تامة ، غير أن كلمة راحة فعلا لا تنطبق على أى رجل يفكر ، لأن العقل لا يستريح ولا توجد أجازة للعقل •• ولكن معنى راحة من حمل القلم هو أن يتيح الفرصة لتعبئة جديدة للذهن كما يتاح للبطارية الفارغة أن تمتلىء وتشحن من نفسها لتعود إلى العمل من جديد !

ولذلك فراحة الفنان أو المفكر أو الأديب هي راحة من هذا القبيل • هي

نوع من العمل غير الواعى ، وتلك هى مشكلة الأديب أو الفنان إن عقله لا يأخذ راحة • ولطالما تمنيت أن يوجد دواء للأديب أو المفكر أو الفنان له قدرة على تفريغ الذهن لمدة محددة فإذا كان لا بد للقلب أن يعمل باستمرار طول العمر فإن هذا يحدث دون أن نحس بوطأة ذلك . وكون العقل يعمل أيضا طول الحياة باستمرار دون هوادة فذلك أمر شاق جداً لحياة بشرية !

ولذلك كانت الراحة التامة لهذا العقل لمدة محدودة كل عام أمراً ضرورياً بدونه يتعرض الإنسان لآلام فعلية تكاد تصيبه بشبه صداع لا يستطيع منه التخلص إلا بجهد .

ولذلك حبذا لو استطاعت إرادة الإنسان التحكم فى أوقات العمل العقلى ، وأوقات الراحة التامة لهذا العقل ، والويل لمن لا يستطيع التحكم فى عقله !

ولست أدرى لماذا تكفلت الطبيعة بعمل القلب ، وتركت عمل العقل لإرادة الإنسان ؟

ويتعرض الحكيم لما يدور فى مجلسه من مناقشات حول تفسير جديد لسورة الكهف أعده أحد رواد المقهى ، وللجدل الذى يحتدم فجأة بينهم حول هذا التفسير ويكون من رأيه أن هذه المناقشات كثيرا ما تكون طريفة ، وتروح عن العقل لأنها كثيراً ما تكون سطحية ولهذا فهى لا تتعب العقل .

مرة فى العمر :

وكيف يمضى الحكيم بقية يومه فى المساء هل مع الكتب أو فى المسارح والسينما ، وما نصيب التأليف من وقته ؟

الواقع أنه يحضر معه إلى الاسكندرية فى كل صيف حقيبة من الكتب التى لم يستطع قراءتها فى الشتاء • وهى كتب تتناول كافة الموضوعات ، والكتاب الذى اقرأه هو الذى يعجبنى ويهمنى أمره .

ولكن أين هواياته الخاصة التى يمارسها فى أوقات فراغه ؟

إنه يقول : أهم شيء للانسان الهـواية لأنها تريحـه وتحمل عنه الـكثير من هموم الحياة ، الهواية تهون عليك عملية الانتقال من جهد إلى راحة .

وتعاوده ذكريات زمان حينما كان وكيلا للنيابة ، وبنفس طريقة اعـداده للحيثيات يمضى قائلا :

— لما كان الفن والأدب من أنواع الهواية كان هو راحتنا .. فلمـا وجدناه الشغل الشاغل أصبحنا نبحث عن الهواية فلم نجدها .. فالمسألة الآن أننا بلا هواية حقا ، وهذا مايضايقنى !

ويضحك وهو يقول :

— زمان كانت هواية المحالين إلى المعاش فى شارع الخليج المصرى تتركز فى رش الطريق أمام أبواب بيوتهم بخراطيم المياه ، وبعضهم كانت هوايتهم تربية الديوك المحاربة ؟

— وأين البحر؟ لماذا لم تجعل من سباحتك فيه هواية مفضلة مع ابنك اسماعيل ؟

ويسكت الحـكيم قليلا ثم يتطلع إلى البحر الممتد أمامنا على مـدى البصر فى شوق ، ويتحسس مكان البيريه من رأسه أكثر من مرة ، ويشده الى الأمام ليحكم غطاءه ثم يضع أصبعه السبابة اليمنى على صدغه وكأنه يحاول أن يفتح صفحة من كتاب قديم فى رأسه .. ويلتفت الى قائلا .

— أنا لم أنزل البحر الا مرة واحدة عندما كان عمرى عشر سنوات .. ويومها خفت من الموج وطلعت أجرى من الميه !

أما إسماعيل ابنى فهو يمضى أجازته الآن فى القرية .

العصا كما هى :

إذن لقد مضى الزمن الذى كان يمـكنه أن يجعل فيه من السباحة هواية مفضلة ولـكن هناك هوايات متعددة الألوان يحبها الناس مثل جمع العصى ، والأقلام وتربية النحل والخيل . وأعرف جراحا كبيرا وأستاذا بالجامعة يهوى تربية الخيول العربية ، وهو الدكتور رياض مصطفى فوزى أستاذ الجراحة بطب القاهرة ، وغيره يهوى الشطرنج .

فلعل الحكيم من هواة جمع العصى ، أو المشى وهو لا يدرى؟ بدليل أن عصاه التى لا تفارقه قد ألف عنها كتاباً ، وبدليل أنه يفضل المشى مسافات طويلة مع أنه يمتلك سيارة .

كيف احتفظ بالشباب ؟

— السيارة لا أركبها . . ركوب السيارة يعجل بقدوم الشيخوخة ، والمرض والمشى على الأقدام يعيد الشباب ، ويحول دون الشيخوخة !

ويعود ليضع إصبعه على صدغه بعد أن يشد البيريه إلى الأمام .

— المشى وعدم أكل الدهنيات ، وبعد ذلك لا تستعمل اى دواء ، لكن إذا قدرنا على المشى لا نقدر على تفريغ العقل ؟



الحكيم والمؤلف

أما عصا الحكيم فقد رأيته يداعبها فى اعجاب ونحن معا فى المقهى ، ولا عجب فلقد عاصرته ثلاثين عاما .

ولما أمشى بدونها أشعر بأنى أهتز ولا يمكن أن أسير بغيرها !

وأشار إلى أثر إصابة مباشرة فى إحدى عقلاتها ورباط حولها من الكاوتش ، قائلا : كانت عملية ونجحت ، زى ما انت شايف أنا اشتريتها حينما كنت وكيلا للنيابة طنطا .

حول جوائز الدولة :

ويحاول الحكيم فى اليوم الثالث الذى التقينا فيه أن يسلط الأضواء على النظام المنشود لجوائز الدولة ، وأحاول أن أعرف رأيه فأقول :

— إنه يلاحظ أن بعد عام أو عامين لن يكون هناك شخصيات عظيمة بلغت من السن والمكانة ما يجعلها متمشية ومنطقية مع روح قانون الجائزة التقديرية التى قصد بها أن تكون تتويجا لحياة حافلة بخدمات تدعو الدولة إلى تكريم صاحبها وهو فى أواخر مراحل انتاجه ولذلك ستنقلب الجائزة إلى عملية روتينية تعطى حسب الدور لمن يأتى عليه الدور من كبار الموظفين أو شباب الأدباء البارزين ممن لا يزالون فى منتصف العمر ، ولم يبلغوا حتى سن المعاش !

وفى حماسة أسمعه يقول :

— فى الواقع أنها مشكلة استرعت بالفعل انتباه الكثيرين مما جعل التفكير يتجه إلى ايجاد علاج لها ، وكان من رأيى أن تعدل جوائز الدولة على أساس أن تكون الجائزة التقديرية جائزة واحدة فقط ، كل عام تعطى لشخصية بلغت من السن والمكانة ما يرشحها لتكريم الدولة لها فى أواخر مراحلها ، وذلك بدلا من ثلاث جوائز لا تجد أحياناً من تنطبق عليه صفة الترشيح لها .

وهذه الجائزة التقديرية الواحدة تكون غير مرتبطة بالفرع أو النوع أى لا علاقة لها بنوع النشاط أدبا كان أو فناً أو علوما اجتماعية . المهم فيها أن تكون الشخصية المتقدمة بارزة بروزاً لا تملك الدولة إزاءه الا تكريمها ، وعندئذ سيتبقى من الجوائز الثلاث جائزتان قيمتهما خمسة آلاف جنيه يمكن بها إنشاء ثلاث جوائز للتفوق كل جائزة منها نحــو ألف جنيه تعطى للممتازين ممن برزت أسماؤهم ، ولمعت فى الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، وبلغوا مرحــلة من السن والمكانة اللامعة ، ولكنها لم تبلغ بعد نهاية المرحلة .

وسيتبقى أيضاً بعد ذلك مبلغ ٢٠٠٠ جنيه تنشأ بها أربع جوائز تشجيعية قيمة كل جائزة ٥٠٠ جنيه للناشئين تضاف إلى بقية الجوائز التشجيعية مما يكفل توسيع القاعدة وإعطاء الفرص لأكبر عدد ممكن من الشبان المجيدين .

أنا والأدباء الشبان :

إن من حق الأدباء الناشئين على توفيق الحكيم أن يفتح لهم صدره ، ويبذل غاية جهده لمحو ماعلق بأذهان الكثيرين من الكتاب والفنانين من شائعات تردد أنه ما يزال يعيش في برجه العاجى . ويرفض الاشتراك فى ندوة أدبية أو حتى اجتماع يعقد لتكريمه . وأنا لاأفهم لماذا اختار لنفسه هذا الأسلوب والتزم هذه السياسة ؟ ولماذا لايعقد لمريديه ومحبي أدبه ندوة أسبوعية أو شهرية يلتقى فيها بهم ويدرس معهم مشاكلنا الأدبية وفى ذلك نفع للأدب والمتأدبين ؟

ومن رأى توفيق الحكيم أن شائعة البرج العاجى لانصيب لها من الصحة فلم يعد هناك برج عاجى ولا خشبى وأنه يسره جداً أن يلتقى بالأدباء الشبان الذين يسعون إلى الاتصال به روحيا ولتبادل الأفكار . (ولكن الكثير منهم يطلبون المساعدة على النشر أو فى كتابة مقدمات لقصصهم ، وأنا ليس عندى إمكانيات وهذه أشياء لها أجهزة فى المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب . ولكن الخوف من الاتصال بالأدباء النفعيين هو الذى جعلنى أوصد دونهم الباب فعلا ويتكفل بهم مدير مكتبي ، ويحاول ممارسة مهمته فى منعهم من الاقتراب منى) .

عندك اسبرينة :

ويقطع حديثنا فجأة واحد من شيوخ مجلسه وقد بدأ عليه الإرهاق والقلق ، ليسأله عن قرص اسبرين ، وفى الحال يخرج الحكيم من جيبه علبة من الصفيح اختفت معالم وجهها بحكم السن . ثم يفتحها فإذا بها قرصان من الاسكين يمد بأحدهما يده اليه وهو ينصحه بتناول قرص قبل النوم !

ولكن ما للأستاذ الحكيم وهذه الفئة من جلسائه الذين نال منهم الزمن هكذا وجعلهم يشكون آلامهم وأوجاعهم طول النهار ، بدلا من تبادل النكت أو الترويح عن أنفسهم بأحاديث مفرحة على الشاطىء ؟

ويبتسم قائلا : لا . . هناك أحاديث مفرحة ومسلية فعلا .

انتظروا عام ألفين :

وعن ماضى الأدب ومستقبله فى بلادنا يدور الحديث ، فيذكر أن عبد العزيز البشرى أخذ مرة جنيهين عن مقال كتبه سنة ١٩٣٤ ففرح وجاء يقول :

— ياجماعة الأدب بيجيب فلوس ! وفى مصايف أوربا كنا نعيش بخمسين قرشا فى اليوم ، يعنى خمسين جنيه يخلونا نصيف شهر ونصف .

ويمضى قائلا :

كان عندنا زمان قناعة والقرش كان له قيمته . . دى الوقت الكاتب تقدره الدولة والصحف تدفع الكثير لمحرريها . .

إن بلادنا الآن فيها عدد طيب من الممتازين فى ميادين الأدب والقصة والمسرح يمثلون نهضة حقيقية نستطيع أن نفخر بها وأن نرى أملا لمستقبل بلادنا الفكرى مما يجعلنا نعتقد أنه لن يأتى عام ألفين إلا ويكون لنا وجود حقيقى مشرف فى حضارة العالم .

وودعنى توفيق الحكيم بعد لقائى به للمرة الرابعة .

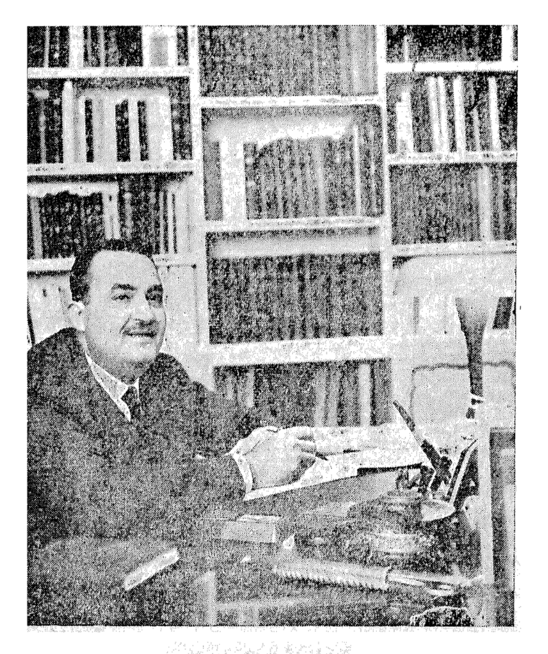
ودعنى وهو يقول :

— اختار الصور الحلوة مع الكلام وبلاش حكاية الأسئلة والأجوبة .

فهل حققت مطلب الأستاذ الكبير ؟

وهل بلغت آراءه فى قواعد منح جوائز الدولة ؟

ثروت أباظه



الهارب من الأيام
الذى جنى عليه حب القصة

يسكن فى الزمالك ويرتدى البدلة ويقرأ بالإنجليزية ، ولكنه ما يزال فلاحاً ريفياً جداً !

وكثيرون مثله قدمتهم الأسرة الأباظية للحيـــاة الأدبية والفنية من بينهم الشاعر والصحفى . . والممثل . . وهـذا الأديب .

وإذا كانت تقاليـــد الأسر تشكل أفرادها وتطبعهم بطابعها ، فثروت أباظة صورة من أبناء البيوتات العريقـة . على أنه يمتـــاز بريفية تحببه إلى قلبـك من أول لقاء .

هذه الريفية التى جعلته يفرض الحجـــاب على زوجته ويمنعها من أن تقف أمام آلة التصوير ، بالرغم من أنها أباظية مثقفة تركت التعليم الجامعى بعد أن ظهر فى حياتها هذا الزوج الجمش !

وقبل أن ألقاه[1] استعنت بأبيها — وعمه فى نفس الوقت — عزيز أباظه نقيب الشعراء .. ليتدخـل بينى وبينـه لعله يسمح للمصور أن يلتقط لها صورة عائلية مع زوجها ثروت ، ولكن عـزيز أباظة اعتـــذر بلباقة شاعر ، وحنان أب .

— والله هذه الحكاية لا شأن لى بها ، زوجها حر !

وهـكذا لم تفلح الجهود التى بذلت مع الزوج الجمش الذى يعـالج فى قصصه مشاكل الناس وقضاياهم ، ويكشف عن أسرارهم ، لتظهر زوجتـه مع أطفالها فى أى صورة .

---

(١) فبراير ١٩٦٣

حب مطمئن :

قلت لثروت أباظه ، ما حكايتك بالضبط ؟

قال :

— الحكاية أن فى نفس كل إنسان رواسب طبيعية من أصله وبيئته يصعب عليه أن يتخلى عنها ... ولا تبرير له فيها من هذه الرواسب عدم تصوير زوجتى أو ظهورها أمام أقاربى .. أو أصدقائى ما لم تكن زوجاتهم فى صحبتهم .. أعمل إيه أصلى فلاح محافظ ...! (١)

— كم سنة وأنت تفرض عليها الحجاب ؟

— من يوم زواجنا ١٣ سنة !

— يبدو أن قصة حبك لها من نوع عفيف ؟

— الحقيقة أنى أعجبت بها ، ولم يكن هناك قصة حب عفيف . لأن مثل هذه القصة تنشأ إذا توقع أحد الطرفين الحرمان والرفض ، لقد كان حبى لابنة عمى حباً مطمئناً !

قلت :

— وهل تحب القصة مثلك ؟

— تميل إلى الشعر أكثر من القصة .. طالعة لأبوها !

---

(١) مولود فى ٢٨ يونيو ١٩٢٧ فى بلدة غزالة مركز الزقازيق ، وفى كلية الحقوق تخرج سنة ١٩٥٠ وهو متزوج من عفاف ابنة عمه الشاعر عزيز أباظه ، ويقول تاريخه الأدبى : إنه بدأ حياته الأدبية ١٩٤٣ ، وإنه فاز بجائزة الدولة التشجيعية عن قصة هارب من الأيام التى تصف جو القرية بكل مافيها من شر وخير وحب وطمع ، وهى ترسم حياة أهلها وقد سيطر عليهم الفزع من عصابات تتصارع من حولها فتفنى بعضها بعضا .

الأباظية لا تعمل :

وفجأة دخلت علينا — فى المكتبة التى تضم أكثر من ألف كتاب — ابنته أمينه الرقيقة ، وهى بيضاء الوجه .. ومن ورائها دسوقى الذى يحمل اسم جده نقيب الشعراء السابق دسوقى أباظة .

قلت له :

— وابنتك أمينة هل تفرض عليها الحجاب بعد أن تتخرج فى الجامعة وهل تمنعها من العمل ؟

واستغرق لحظة صامتا بعدها سمعته يقول :

— هى وبختها .. وإذا أراد زوجها — وأرجو من كل قلبى ألا تحتاج للعمل .

— هل أنت لا تعترف بحق المرأة فى العمل ؟

— أصبح اعترافى أو عدم اعترافى لا يفيد شيئاً ... فقد عملت المرأة ، ولكن الأباظية لا تعمل !

— ولماذا لا تشتغل الأباظية ؟

وبأسلوب عمدة إحدى القرى الضاربة فى أعماق الشرقية ، وفى استنكار ظاهر قال :

— لا .. لأن عملها فى البيت أكرم على الإنسانية من أى أعمال أخرى .

— يظهر أن الفلاح القديم ما يزال يعيش فى أعماق أبناء البيوتات حتى الآن !

— أعتقد أنه منطق الواقع بدليل أن أبناء الأسر الفقيرة أشد تمسكا به ومن جهة أخرى فإن وظيفة المرأة فى البيت لا يملؤها أحد بينما يستطيع أى انسان أن يملأ أى وظيفة أخرى تشغلها المرأة فى الخارج .

وأدرت عينى إلى اللوحات الجميلة والفازات الضخمة التى يزين بها شقته الأنيقة

المطلة على النيل فى الزمالك والتى هبط إيجارها أخيراً إلى ٣٩ جنيها ، ثم سألته : كم فداناً عندك الآن ؟

ـــ ١٠٠ فدان . أبى كان عنده ٣٧٠ فداناً باع منهـا ٧٠ فداناً تطبيقاً لقانون الإصلاح الزراعى ، والباقى وزع على الورثة أنا وأخواتى .

الشيح مليح :

وكنت أعرف أنه يستثمر عزبته التى تحيط بفيلته فى غزالة فى زراعـة الشيح ويصدره بعد أن تعاقد مع عـــدد من الخبراء الألمـان ، نقلوا إلى غزالة مجموعة من الآلات .. والأجهزة الحديثة لتعميم الشيح وتصديره إلى ألمـانيا .

قلت : وآخر أخبار الشيح ؟

قال : مش مليح

لمـاذا ؟

ـــ لأنى خسرت فيه ٨ جنيهات بخلاف ٢٠٠ إيجار الأرض ، وفى هذا العام أجرب زراعة البرتقال .. وإلى الآن صرفت عليها ٥ آلاف جنيه ، ومع ذلك فأنا لا أعتمد على الأرض فى معيشتى .

ـــ هل تعتمد على القصص والكتابة فى الصحف ؟

ـــ أبداً إيرادى منها بسيط و ، ولا أدرى ماذا عن المستقبل ؟

ـــ اعمل محامى .

ـــ كنت أريد ولـكن حب القصة جنى على !

وتعرف من حديثه أنه أصيب بحالة رعب .. وبسكتة لسان يوم أن دخـل قاعة المحـكمة لأول مرة عقب حصوله على ليسانس الحقوق .

يومها كان عمره ٢٣ سنة وكان عليه تنفيذاً لتعليمات قريبه الأستاذ ابراهيم عبد الله

أباظه المحامى ، أن يتمرن فى مكتبه ، وأن يذهب إلى القـاضى بعد أن يلبس الروب ويقول كلمة واحدة لا غير .

— أرجو التأجيل !

ولـكن الـكلمة تعـثرت فى حلقه واضطرب عند ما رأى نفسه وجهـاً لوجه أمام القاضى .

— ولمـا ذا كنت خائفا ؟

— كان جواً غريباً بالنسبة لى .. وشعورا بالمسئولية ، وخطورة الـكلمة فى المحـكمة ، وفى رأسى سؤال آخر : ماذا أصنع لو رفض التأجيل ؟ ولـكن التجربة الأولى مرت بخير .. وتأجلت القضية .

وعلى الحائط قريباً من مكتبه رأيت صورة تذكاوية لوالده مع بعض فطاحل المحامين العرب والأجانب ، حينما كان وزيراً للمواصـــلات ، وظهر بينهم كريشنا مينون الوزير الهندى المشهور .

قلت له :

— مثل ممتاز للمحامين أليس كذلك ؟

وقطع الحديث خادمه النوبى العملاق وهو يحمل أقداح الشاى

قلت :

— وكم خادما عندك ؟

— لاأحد غير الطباخ والسفرجى والدادة التى تراجع الواجب للعيال ، وفى العزبة طباخة فلاحة تجيد صنع العدس الأباظى .

وروى لى كيف أنه دعا بعض الأساتذة الأجانب لتناول العدس فى العزبة وكيف

أنه أحرج عنـــد ما طلبوا إليه أن يقدم لهم الطباخ ليشكروه ، وأنه لم يجد طريقة يتخلص بها من تقديم الطباخة الفلاحة — حافية القدمين — الا بدعوة أحد أقاربه ليمثل دور الطباخ أمام الضيوف وكيف أنهم أعجبوا بنظافته وبطـــلاقة لسانه وهو وهو يتكلم الانجليزية !

ومن الـكلام مع ثروت عرفت أنه بدأ يكتب فى الرسالة والثقافة وعمره ١٦ سنة ، وأن مقالاته لم تخجل بجانب مقالات العمالقة الذين كانوا يكتبون فى المجلتين .

قلت :

— هل جربت الشعر ؟

— فى قصيدة واحدة قدمتها لأبى ، وأذكر منها هذين البيتين :

وأنى لأنأى عقـــك حتى تهزنى
إلى فرحـــة اللقيـا جميع النوازع

فشوق وإيثـــار وحب وطـاعة
ونبـــع حنـــين كامن فى الأضالع

— وكم اكتسبت من الأدب لأول مرة ؟

— كان ٥ جنيهات عن ندوة أدبية اشتركت فيها من محطة اذاعة الشرق واشتريت بها يومها هدايا لاخواتى وخطيبتى .

— وأكبر مبلغ دخل جيبك من القصص ؟

— كان عن قصة «هارب من الأيام» التى دخلت بها مسابقة جوائز الدولة التشجيعية وخرجت وفى جيبى ٥٠٠ جنيه ، وبعدها قصة « ثم تشرق الشمس » التى مثلت على مسرح التلفزيون وحصلت منها على ٤٠٠ جنيه .

— وكم قصة ألفت حتى الآن ؟

— ٧ قصص ، ابن عمار ، الحياة لنـــا ، قصر على النيل ، والأيام الخضراء ، وفى مغيب القمر ، وعذراء اللورين ثم لقاء هناك .

— ومن أشهر الشعراء الأباظيين ؟

— سليمان أباظة الذى قال عنه حافظ ابراهيم :

— إننى أتنازل عن نصف ديوانى لينسب إلى بيته هـــذا

ولو كان إظلام الليالى من الأسى

ووقع الخطوب السود ماطلع الفجر

— وعن أول قصة تأثر بها . قال :

— كانت قنديل أمهاشم ليحيى حقى، ومع أن أبى امتدحها أمامى وحفزنى على قراءتها ، فإنه هددنى بالضرب لو أضعت وقتى فيها وانشغلت بهـــا عن الامتحان ، ولـــكن أغلقت الحجرة على نفسى ولم أخرج إلا بعد أن فرغت من قراءتها .

— ومثلك الأعلى بين الأدباء ، من يـكون ؟

— طه حسين .. لأنه فتح الآفاق لـكتابة القصة المصرية بعـد قصة الأيام التى تمثل تجربة الفرد فى صراعه مع المجتمع ، وشجرة البؤس التى تمثل صراع الأسرة .

— وما الفرق بينك وبين نجيب محفوظ ؟

— إن نجيب محفوظ استطاع أن ينتفع بكل الذين تقدموه ، ثم أضاف عليهم من فنه وموهبته ، وأنا لا أستطيع أن أقارن نفسى برجل أعتبره أستاذى .

ياناس حرام :

وتناول الحديث تلك الظاهرة المثيرة فى سوق الكتب عامة والقصة خاصة ، وكيف انتشر الإنتاج القصصى الرخيص بصورة لم تكن مألوفة من قبل ، وضرورة العمل على وضع حد للاسفاف فى سوق الأدب .

قال ثروت :

كنا إلى عهدقريب لا نجد فى الأسواق إلا ماهو جدير بالقراءة فعلا ٠٠ أما التوسع فى النشر مع التفاهة فإنه يخشى منه على الناشئة أن يظنوا أن هذا هوالأدب ، ولهذا فأنا أغلب الكيف على الكم . وأرى أنه يجب على الناشرين أن يراقبوا ماينشرون . . وأن يبحثوا ويتحروا أحسن البضاعة التى يقدمونها بدلا من أن يتحروا كثرة هذه البضاعة .

— وما ذا يضايقك أكثر من أى شىء آخر فى الإنتاج الذى يصدر عن المتأدبين وأدعياء الأدب ؟

— أول ما أضيق به من هؤلاء هو ضيقهم باللغة العربية ، ونحن بغير اللغة العربية لن نكون أدباء . . وأظن أن نجاح نجيب محفوظ خير برهان فى يدنا ، فهو لم يكتب حرفاً باللغة العامية رغم معالجته لموضوعات تدور فى كل الطبقات .

— وقصصك أنت ٠٠ إلى أى زاوية تهدف ؟

— تدور حول الشباب الذى التقى شبابه فى ظل الحرب ، ولماذا كفر بالقيم الروحية بعد أن رأى المادة تطغى على الأدباء وتسيطر على إنتاجهم ، ولعل آخر قصصى « لقاء هناك » أوضح عمل قدمته فى هذ المجال ٠

— وعبد الحليم عبد الله كيف تراه بالقياس إلى أمين يوسف غراب ؟

— عبد الحليم عبدالله كاتب قصة طويلة لا يحب الجنس ٠ اما غراب فكثيراً مايتجه إلى الجنس الله يسامحه هو وأمثاله .

وكان آخر سؤال يدورحول شعراء العدس الأباظى ، ولماذا تفرقوا واختفى نشاطهم فى الأيام الأخيرة ؟

قال ثروت :

— اسأل عمي عزيز !

جاذبية صدقي



أنشط قصاصة في مصر وتجربتها المثيرة مع الزواج ؟

من هى الأديبة التى تمنيت أن تتزوجها ؟

هل هى القصصية التى تلعب بعواطفك ، وتسحرك بأسلوبها ؟

هل هى الشاعرة التى تحلق بك — مع شيطانها — فوق السحاب ؟

ولو قدر لأحلامك أن تتحقق ، وتزوجت إحداهما فماذا تفعل ؟ وكيف تعيش ؟

لا شك أنك ستصبح مادة ممتعة للكتابة !

لقد عرفت عددا كبيرا من الأديبات الزوجات بعضهن يعالجن كتابة القصة منذ سنين والبعض يعشن بأرواحهن فى معبد أبولو اله الشعر .

وعبرت كل واحدة عن التجربة التى مرت بها بكل صراحة .

وبصراحة أيضا تكلم الأزواج عن حياتهم مع زوجاتهم ، وشعورهم الخاص عندما تخلو الواحدة منهن إلى نفسها ، لتكتب عن لهيب الحب ، وتباريح الغرام .

الليالى القمرية :

وفى سراى توفيق نسيم بشارع الهرم التقيت بجاذبية صدقى ، وزوجها يوسف زكى المراقب بوزارة التموين . وجاذبية التقت بيوسف وهو فى نهاية العمر — كما تقول — وكانت هى تريد أن تتزوج خوفا من أن يفوتها القطار . إن زوجها يقف الآن على أبواب الخمسين عاما ، أما هى فقد أنكرت عمرها .

وقالت :

— اسألنى عن عمر روحى .. هذا هو الأهم .

— ومتى تزوجتما ، وهل كان الزواج عن حب ؟

---

(١) يوليو ١٩٥٧ .

— منذ ٩ سنوات ، وكان خطبة أمهات ، ولم يتم عن حب مع أنه يجب أن يكون للحب نصيب الثلثين ، والثلث المتبقى لحب الحياة الزوجية ...

وألقى « أبو حجاج » زوجها نظرة طويلة إليها ثم قال لى بالحرف الواحد :

— حبى لها هو الذى جعل منها كاتبة ، حيث أنى عندما تزوجتها لم تكن كاتبة مشهورة !

وبعينين براقتين كعينى الصقر تطلعت إليه جاذبية قائلة :

— أنت لا تعرف الحب ... وليس لك أن تتكلم عنه ..

واستمرت تقول :

— فى أول زواجنا حاولت أن أجعله يتجاوب مع انفعالاتى فأنا أنفعل بالليالى القمرية ، ولدينا شرفة جميلة تطل على أشجار التمرحنة . فأسهر فى هذه الشرفة ، وأدعوه مرغما ليجلس إلى جوارى ثم أبسط يدى نحوه على أن يمسك بها ، ويتأمل جمال الليل وروعة القمر بجوارى ، وينشق عبير التمر حنة . ولكنه يتثاءب ، ويربت على كتفى ثم يذهب لينام ، ويتركنى وحدى أتغزل فى القمر ، وروعة الليل إلى شروق الفجر !

وشد ما كانت دهشتى حينما تأملت وجه يوسف فرأيته وكأنما غلبه النعاس فقلت له :

— هل يحدث ذلك حقاً يا أستاذ يوسف ؟

وبصوت هادىء قال :

— نعم حدث هذا .. وأنا أصدها دائماً كى لا تتمادى فى خيالاتها .. فزوجتى خيالية عاطفية ماذا أفعل ؟

قلت :

— ألا تحفظين شيئاً من شعر الغزل ؟

— لعائشة التيمورية أحفظ هذه الأبيات :

زارنى أحيا فؤادى

من أنا .. كلى فـــداه

قال لى : من ذا تنادى

فى بعادى ، قلت : آه

وسألت الزوج ، وكان يستمع – فى سرور – إلى زوجتـــه وهى تنشد الشعر وشفته السفلى ممطوطة إلى الأمام

– وأنت هل تحب الشعر ؟

– أنا لا أحب الشعر .

– وماذا تحب إذا ؟

– بنتى بهية .

– وماهى السعادة فى نظرك ؟

– أن أكون مرتاحاً فى حياتى المنزلية .

– وأنت يا جاذبية هل عرفت الطريق إلى راحة البال ؟

– لم أعرفها طول عمرى .

الغيرة :

قلت للزوج :

– ماهى عبارات الحب التى تثيرك فى قصص زوجتك ؟

– أنا لاأثور لقصصها التى يتناجى فيها المحبون .. لأنى أعتبر أنهـــا تتغزل فى دائمـاً .

وبسرعة صرخت قائلة :

— أنا لا أتغزل . . مع أنه مؤمن بي كفنانة ، وهو المعجب الأول بقصصي وأول قارىء لها . . هو يأخذها بنفسه لتطبع على الآلة الكاتبه .

— وكم قصة ألفتها حتى الآن ؟

— ألفت الكثير من القصص الطويلة والقصيرة ، والمسرحيات :

قلت له :

هل تغار عليها من المعجبين ؟

— لا ياسيدى . . أنا عامل دوسيهات لخطابات الغرام التى تتلقاها من المعجبين صحيح لها معجبون . . وأسمع بأذنى خصوصاً من بعض الأصدقاء والكتاب الكبار حينما يتغزلون فيها ، وهم يتغزلون فيها بصفة ضحك . . ولكننى أنا فاهم ، ومطمئن إلى نفسيتها .

وقلت لجاذبية :

— وما هى مشاعرك الخاصة حينما تتلقين كلمات الغزل والحب فى التليفون أو فى الرسائل من كبار الأدباء ؟

— عمرى ماسمعت كلمة حب هزت شعورى . . صحيح سمعت من كلام الحب كثيراً ولكنهم لا يقصدون ، وأنا أعتقد أن شكلى لايشجع على الحب ، وأن روحى هى السبب .

— ماذا يضايقك فى زوجك ؟

— هدوءه المميت . .

وبسرعة اتجهت إليه :

— كيف تسكت على هذه الإهانة ؟

وبكل بساطة قال :

— هذه طبيعتى .

— ومتى تثور جاذبية ؟

عندما أنفعل .. وأنا منفعلة على طول . . أتفاعل مع نبضات الحياة التى لا تهدأ .

— ومتى يثور زوجك ؟

— عندما يرانى سرحانه .. ومن الغريب أنه يريد أن يدخل فى مخى .. مع أنه كثيراً مايكلمنى فلا أكاد أشعر به ، وحين يثور أتنبه للاجابة عليه وكأننى أستيقظ من حلم .

— وماذا يعجبك فيها ؟

— خفة روحها .

— وأنت ماذا يعجبك فيه ؟

— عطفه ، وان لم يكفنى ، هكذا شعور الأديبة لا ترتوى أبداً .

— هل تتطارحان الهوى والغرام كما يفعل أبطال قصصك ؟

— هذا هو عيبه .. ولكن كلامه الهادىء هو الذى يجذبنى إليه ، ومع ذلك فهو لا يعترف بالغزل بين الزوجين وكأنما الزوجة ليست إنسانة . فى حين أن الغزل فى نظرى أهم من الأكل والشرب ، لأنه يجعل أى لقمة بسيطة هنيئة وقد كتبت قصة فى هذا المعنى كان بطلها زوجى وحصلت على الجائزة الأولى منها [1] .

— كيف لا تدافع عن نفسك ولا تثبت أنك محب ولهان ؟

— بصراحة أنا لم أتعود على هذا النوع من التعبير عن الحب لأنى أعتقد أن الحب المتبادل بيننا غير محتاج لشرارة تشعله بين وقت وآخر .

---

(١) القصة ٥٢ وقد ألفت حتى الآن ٢٠٠ قصة قصيرة وطويلة وآخر مسرحية لها صدرت باسم « ليت الشباب » .

— وماذا يضايقك فى زوجتك ؟

— ثرثرتها .. فى موضوع واحد فى كل لحظة ٧٠ مرة تكلمنى عن الخادمة .
وفى الحال قالت وهى تضرب المنضدة بيدها :

— أنا أكرر الموضوع ٧٠ مرة لعله يرد مرة .. ألم أقل إن من أبرز عيوبه هدوؤه القاتل ؟

متى يتوقف إنتاجك ؟

— عندما أشعر باجهاد جسمانى .. أو أكون مريضة ، أما الاجهاد النفسى فلم يعقنى قط ، بل لعل الدافع الأول لكتابة أروع ما كتبت ودموعى تمتزج بالحبر .

— متى تبكين ؟

— إذا ما بكى قلبى

— ومتى يبكى قلبك ؟

— لا تتدخل فيما لا يعنيك .

— كم ساعة تنامين فى اليوم ؟

— ٥ ساعات

— وزوجك ؟

وتنبه بسرعة قائلا :

— ٥ ساعات

— كم عدد أصدقائك يا أستاذة جاذبية ؟

— نساء العالم اللاتى لا أكتب إلا عنهن .

— وهل كتبت عن الحمل والولادة بين النساء ؟

— كتبت قصة الباحثة عن نفسها ، وصفت فيها شعور أم وهى حامل ، ثم وهى مرضع ، ثم حينما بدأ وليدها يحبو على الأرض ، ومشاعرها التى تنمو معه فى المراحل الثلاث .

— وما هى الساعات التى تهبط عليك فيها عرائس الإلهام ؟

— فى الليل .. وأحبها عندى وقت السحر ، وأحيانا أكتب بعد أن أشرف على طعام ابنتى وزوجى ويخلو كل منهما فى غرفته ثم أختلى بقلمى .

— وإذا استيقظ زوجك وأراد الدخول عليك ؟

— لا أسمح له بالدخول أثناء لحظات الكتابة .

والتفت إلى الزوج أسأله :



جاذبية أصدق من تصف مشاعر الأم

— ألا تذهب معها إلى السينما ؟

— أحيانا عندما أجدها متضايقة فأدعوها لإحدى دور الملاهى ، وفى العادة تذهب إلى السينما .

— وماذا تقدم لك فى عيد ميلادك ؟

— جرت العادة أنها تقدم لى قماش بدلة . . إنما التفصيل على .

كيف توفقين بين تأليف القصص ووظيفة ربة البيت ؟

وفجأة انبرى الزوج قائلا :

— إنها خير ربة بيت وخير أم .

وفى الحال عقبت جاذبية قائلة :

— المهم أنه يفتح الباب فلا يجد شيئاً ناقصاً .

الشيخ حسن مأمون



لحظة تأمل الأمام

هو الأمام الأكبر صاحب الفضيلة الشيخ حسن مأمون ، وصاحب الرأى فى كل ما يتعلق بشئون الإسلام والمسلمين ، والمشتغلين بالقرآن فى الأزهر وهيئاته .

العالم الذى أهله علمه وبيانه وقوة حجته وإخلاصه لربه ولدينه لأن يصعد إلى أرفع المناصب فى الأزهر .. ولأن يكون قاضياً ومفتياً للديار المصرية وقاضياً لقضاة السودان ثم إماماً للمسلمين .

ومع أنه قد تجاوز الثمانين (1) فإن كلماته تكشف عما يتمتع به من سرعة الخاطر ، وحضور البديهه ، والمقدرة على الابانة .

إنه فى هدوء واتزان يتحدث إليك فتأنس إليه ، وتحبه ، ويشد انتباهك بطهارة وجهه ونضارته ، وحرصه على أن يطيل التفكير قبل النطق بالكلمات التى يختارها بلغة عربية رصينة قلما يتخلى عنها ..

ويبتسم فضيلة الامام الأكبر ، فتنفرج شفتاه على أسنان ناصعة البياض .. حسنة الترتيب .. لم يعرف بعد أطباء الأسنان طريقهم إليها .

يقول تاريخه إنه نشأ فى بيت دينى قريب من قلعة صلاح الدين ، وامتدت أذناه لتسمعا هتافات الحرية تدوى ، وتبدد السكون من حوله مطالبة بجلاء المستعمرين الانجليز الذين اغتصبوا بلادنا (2).

وما أن شب حتى التحق بالأزهر ليتخصص فى علوم الدين أسوة بأبيه وجده . ثم تخرج فى مدرسة القضاء الشرعى وهو فى الرابعة والثلاثين من عمره .

وفى ميادين القضاء الشرعى لمع نجمه إلى أن عين مفتشاً على جميع المحاكم الشرعية ، ولعشر سنوات شغل وظيفة قاضى قضاة السودان ، وبعدها رجع ليعمل عضواً فرئيساً للمحكمة العليا الشرعية فأماماً للمسلمين .

---

(1) ولد الإمام الأكبر فى حى الخليفة بالقاهرة يوم ١٣ يونية سنة ١٨٨٤ .

(2) احتل الإنجليز مصر ــ بالخديعة ــ فى شهر سبتمبر ١٨٨٢ بعد معارك طاحنة بينهم وبين المصريين بقيادة الزعيم أحمد عرابى .

ولقد أمضيت معه بضـــع ساعات ، فى داره ، وفى مكتبه بالأزهر ، وأمام محراب مسجد الإمام الحسين ، ودارت بيننا — فى أثنائها — أحاديث حول القضايا المعاصرة . . وحول ما يتردد على ألسنة الناس فى هذه الأيام[1] .

التحرر من الجوع :

وكانت بداية الأحاديث حول حق الفرد فى التحرر من الجوع والمرض والخوف من خلال أحكام الإسلام . .

وفى هدوء يتكلم بصراحة : من يقرأ قوله تعالى « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها » ، وقوله « والذين فى أموالهم حق معـــلوم للسائل والمحروم » وقول الرسول صلى الله عليه وسلم « ليس المؤمن بالذى يشبع وجاره جائع إلى جنبه » ومن يفهم أحـكام الإسلام وتشريعاته فى عباداته ومعاملاته وفعل الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه من بعده يعرف إلى أى مدى سار الاسلام فى الدعوة إلى التـكافل الاجتماعى وحق الفرد فى التحرر من الجوع والمرض والخوف .

— وماذا عن الصورة التى يتخيلها فضيلته للمجتمع العربى فى ظل الاشتراكية مستقبلا ؟ . .

وبنفس الصراحة يمضى قائلا :

ليس كافياً لإسعاد المجتمعات سن القوانين والتشريعات ولـكن لا بد أن يسود الناس روح الاشتراكية الإسلامية التى تتمثل فى التعـاون والتآخى والمحبة فإذا ما سيطرت عليهم هذه الروح فإن المجتمع العربى فى ظل النظم الإسلامية سيكون من أسعد المجتمعات .

وهل ينصح الإمام الأكبر بإصدار قانون عام بتنظيم النسل أو تحديده بعد أن فشلت الجهود التى بذلها علماء الاقتصاد للاقناع بتحديد النسل ؟ وهل حقيقة ما يقال من أن كثرة العيال ربما ألجأت الرجل إلى التحلل من الحلال فى طلب العيش ؟

وهنا يقول الإمام الأكبر : تنظيم النسل لا يكون بقانون عام لأن النسل إنما

---

(١) نوفمبر ١٩٦٤ .

هو ثمرة علاقة لن يحكمها القانون ولن يستطيع أن يتحكم فيها ، إنما التنظيم أمر فردى تتحكم فيه ظروف كل إنسان وملابساته والأمر لن يكون إلا بتبصرة الناس وتوعيتهم بأن الدين لا يمنع الإنسان من أن يكيف نفسه حسب ظروفه[1] ، وقد سبق أن بينا أن فقهاء المسلمين تناولوا موضوع تنظيم النسل حينما قالوا إن للرجل أن يعزل — حين المعاشرة الزوجية — إذا رضيت زوجته .

وليس صحيحاً أن كثرة العيال تلجىء إلى التحلل من الحلال فى طلب العيش لأن الرجل المسلم المتدين حين يؤمن بأن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ، وأنه ما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها يؤمن كذلك بوجوب السعى والعمل ، « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » وعليه أن يسعى ويجد لتحصيل القوت من الأرض بإصلاحها واستثمارها قال الله تعالى : هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه » .

وقال صلى الله عليه وسلم « التمسوا الرزق فى خبايا الأرض » .

ويدور الحديث حول رجال الدين وكيف يمكنهم أن يحتلوا مكانهم الطبيعى[2] فى التوجيه الأخلاقى والثقافى والاجتماعى فى مجتمعنا . . واسمعه يقول بنفس الهدوء الذى يبدأ به حديثه :

« رجال الدين فى الماضى والحاضر يأخذون مكانهم الريادى فى التوجيه الأخلاقى والدينى والنهضة الشاملة التى يحياها الأزهر اليوم — يكون لها الأثر الفعال إذا

---

(١) شيخ الأزهر تزوج فى سنة ١٩٢١ من عروس كانت تربطها بأسرته علاقات قديمة ، وود متصل وقد عرفها من خلال صورتها .. ومنها أنجب خمسة أبناء وبنتين .

(٢) يجلس على أقدم كرسى دينى يرجع تاريخ إنشائه إلى نهاية القرن الحادى عشر الهجرى ، والسابع عشر الميلادى ، وبتوليه المشيخة يصبح ترتيبه الأربعين بين الأئمة الذين تولوا منصب الامام الأكبر خلال ثلاثمائة عام .

خلصت النيات ومكن للأزهر فى الانطلاق وهيئت له ولرجاله وخريجيه الظروف فإن رجال الدين سيحملون تبعة التوجيه الأخلاقى والثقافى والاجتماعى للمجتمع الجديد ، غير أنه علينا أن لا ننسى أننا نعيش فى عصر كثرت فيه وسائل الإعلام ومنه المسموع ومنه المرئى ومنه المكتوب ومنه المرسوم فما لم تسر هذه الوسائل على نفس الطريق الأخلاقى الذى يسير عليه رجال الدين فلن يكون لما يؤديه الدين الأثر المنشود .

أعداء المسيح :

وانتقل الحديث إلى ما يشاع عن الوثيقة التى قدمت للمؤتمر المسكونى بروما وإلى أى حد يتأثر العالم الإسلامى بتبرئة اليهود من دم المسيح كما تنادى بذلك هذه الوثيقة المزعومة . .

فقال شيخ الأزهر :

— العالم الإسلامى لن يتأثر بدعايات اليهود ومحاولة تبرئتهم من اضطهادهم وعدائهم للسيد المسيح فإن الحقائق التاريخية الثابتة لن تزعزها وثيقة تقدم للمؤتمر المسكونى بروما أو تصدر منه ، فليدعوا ما يدعون وليصدروا من الوثائق ما يصدرون فإن الثابت فى الكتب المقدسة يدمغهم باضطهادهم الظالم للسيد المسيح وعدائهم السافر لأبناء المسيحية .

فليعرف ذلك جيداً إخواننا المسيحيون ، وعليهم ألا يأمنوا جانب اليهود الصهيونيين فإنهم شر على الإنسانية جميعاً .

وحول الشائعات التى تتردد على السنة العامة بين الحين والحين عن النعوش الطائرة دار حديث تناول ما نشرته إحدى الصحف عن شخص توفى من أبناء المنيا وعندما كانوا يشيعونه إلى مقره الأخير توقف نعشه ورفض أن يسير قبل أن يطوف بمكان معين قيل إنه كان يفضل أن يقام له فيه ضريح ، وهنا قال :

— مثل هذا الذى حدث ويحدث فى الريف أحيانا إنما هو من صنع أقارب المتوفى.

وعن مؤلفات الإمام يدور حديث يصرح فى أثنائه أنه سينشر الفتاوى القديمة والأحكام التى سبق أن أصدرها وقت أن كان مفتياً للديار المصرية وذلك لتكون مرجعاً لمن يشاء من رجال الدين والناس .

فأجاب فضيلته :

— أنصحهم بأن يتسلحوا بالعلم والخلق ، وأن يتمثلوا تعاليم دينهم الإسلامى . كما أرجو أن يسهموا بكل طاقاتهم وجهودهم فى بناء وطنهم ، والذود عنه وفى العمل المنتج الجاد .

قلت :

— وما أسمى مراتب السعادة فى رأيكم ؟

فقال شيخ الأزهر :

— إن أسمى مراتب السعادة فى رأيى أن أوفق لعمل ما يرضى الله وينفع الناس »(١)

وإذا كنت قد اخترت لك صفحة واحد من حياة شيخ الأزهر فلأننى لا أستطيع — من خلال لقاء واحد أو لقائين مع هذا العالم الجليل — أن أقف على كل ما يمتاز به من مقومات وطاقات روحيه جعلته يصبح وريثا شرعيا للأنبياء .

---

(١) الإمام الأكبر يستقبل فى كل يوم وفوداً من أقاصى الشرق والغرب ، ومن هيئات الاعلام ، والزعماء ، ويجيب على أسئلتهم ، ويحقق رجاء كل من يلجأ إليه طالباً مزيداً من المعلومات عن الشريعة الإسلامية وفلسفتها العريقة .

حسين السيد



الشاعر الغنائى وملهمة البيت القديم !

من خلال زوجته سأقدمه لك .. لأنها لعبت دوراً كبيراً فى تطوير شعره الغنائى ، وكانت سر إلهامه ومبعث نشاطه . إنها الدكتورة نعيمة محمد الأستاذة بكلية التربية بجامعة عين شمس ، والتى تحققت أحلامها أخيراً بالدكتوراه .

وإن القلق الذى عاش مع الزوجين خمس سنوات ترك البيت السعيد واختفى إلى الأبد ! .

والليالى التى كان فيها الفنان يعود إلى البيت بعد الثالثة صباحاً ليشكو زوجته على الستاير ، ويدعو لها بالتوفيق دخان فى عداد الذكريات .

ماهى القصة الكاملة لكفاح الزوجة من أجل الدكتوراه ؟

* كيف ألف الحب فصول القصة الناجحة ؟

* كيف ترى الحياة عندما تصبح زوجاً لدكتورة ؟

وحى الحب :

لقد أمضيت أكثر من ساعتين مع بطلة القصة الدكتورة : نعيمة محمد .. وزوجها الشاعر الغنائى حسين السيد [(١)] .

وكانت المناسبة هى حصولها على أول دكتوراه فى التعليم الأجنبى فى مصر من جامعة عين شمس ، وكنت أتابع المسلسل الروائى لقصتهما كمن يتابع على الشاشة قصة مصرية صميمة لا سرقة فيها ولا اقتباس .. ومن حولنا الأطفال الثلاثة مفاتيح السعادة فى بيت الزوجية الهادى .

---

(١) شتاء ١٩٦٢

قال حسين السيد :

— إن قصتنا تمتد إلى ماقبل سنة ١٩٥٠ ، السنة التي تزوجنا فيها ، قبلها كانت نعيمة تلميذة صغيرة تسكن قريبا مني وأحبها .

وبسرعة قاطعته الدكتورة نعيمة وهي غاضبة :

— لا ياحسين ... لا داعي لهذا الكلام .. أنا لي تلميذات في الكلية ، ولا أريد أن تعرف أي واحدة منهن مثل هذه الأشياء ، من فضلك .

وفي ابتسامة حانية وحديث ناعم سمعت الكلام يذوب ــ بالتدريج — على لسان الزوج وهو يدافع عن موقفه ..

ــ وماذا قلت يا نعيمة ؟

الدكتورة نعيمة :

— لا ... يعني لا .. ولنبدأ من سنة ١٩٥٠ وما حدث بعدها .

حسين :

طيب .. حاضر يا دكتورة .

وقبل أن يعود بذاكرته إلى الوراء ... إلى عام ١٩٥٠ ، تاريخ زواجه منها ، رأيته يلتفت إلى وفي عينيه بريق دموع :

— فاكر أغنيتي التي مطلعها :

« ساكن قصادي وبحبه ، واتمنى اقابله ، فكرت اصارحه ، لكن أبداً مقدرش اقول له .. »

قلت له : فاذكرها !

قال : إنها كانت من وحى أيام الحب التى سبقت زواجى من نعيمة

قلت : يبدو أنه كان حباً عفاً ... وحرماناً قاسياً !

قال : فعـــلا .

ورأيت الدكتورة تتطلع إلينا فى صمت وكأنها تستعيد ذكريات أيام سعيدة مضت .

واستأنف حسين السيد حكايته :

ــ وبعد زواجنا خيرتنى بين أن تعد للماجستير فى انجلترا ، أو تكتفى بدبلوم معهد التربية العالى ، الذى كانت قد التحقت به بعد حصولها على ليسانس الآداب من القسم الإنجليزى ، وفى الواقع واجهتنى مشكلة وحيرة ، كأى زوج وكرب عائلة . المفروض أن أطالب الزوجـــة بالتفرغ الكلى لحياة البيت ، ولا سيما الحياة المستقبلة التى ستثمر أولاداً ، غير أنى لمست أنها كانت دائمـاً متفوقة فى جميع مراحل دراستها الثانوية والجامعية ، فأردت أن أشبع رغبتها فى التعليم ، فلم أمانع من استمرارها فى الدراسة للماجستير فى ذلك الحين .

واستمر يقول :

ــ لقد خشيت أن يكون حرمانها من الدراسة مما يسبب لها الأسف فى يوم من الأيام ، ولم أقبل أن أتحمل نتيجة هذا الأسف القريب أو المنتظر ، وحتى لا أكون سبباً فى هذا الحرمان أو حتى لا تعتقد أن الزواج حال بينها وبين مواصلة تعليمها لكل ذلك سمحت لها بالعمل .

ومضت لحظات ..

ثم اعتدل حسين السيد فى جلسته ونظر إلى زوجته وقال وهو يبتسم :

— فاكرة يا نعيمة السنوات التى مضت وكيف مرت علينا ؟

فقالت :

— الحقيقة أنى كثيراً مافكرت فى تمزيق البحوث والمراجع التى كنت أدرسها نتيجة لصعوبة البحث ودقته أولا ، ومسئوليات الأسرة ، وهذه المسئوليات كان الزوج ولا شك هو أول الضحايا بسببها ، وكلما كان صبورا كانت عوامل القلق تساورنى •

وبسرعة قال حسين :

— أنا كنت أقدر الظروف لدرجة أنه حدث فى أيام كثيرة أننا كنا نتخاطب فيها عن طريق الستاير •• كنت أجىء بعد نصف الليل ، وكثيراً ما يكون ذلك فى الثالثة صباحاً كنت أجدها نائمة والفريجدير خال •• ليس فيه حتى قطعة جبن أو زيتونة ، أو مايسد رمق أنا العائد الجائع ! فكنت أكتب لها رسالة أضمنها شكواى من أنى نمت جائعاً بسبب انصرافها إلى أبحاثها •• بسبب نسيانها لى ، وكنت أعلق الرسالة على ستارة حجرتها وأرجوها أن تذكرنى ، وأتمنى لها التوفيق والنجاح وأطالبها بأن تعد لى طعاماً فى اليوم التالى ، وكانت هى تستيقظ فى السابعة والنصف ، قبلى بثلاث ساعات ، لتذهب إلى الكلية ، أو إلى دار الكتب أو إلى المدارس الأجنبية للدراسة ، أو إلى المدارس الثانوية لمراقبة طالباتها فى التربية العملية . وكانت قبل أن تغادر البيت تترك لى رسالة رقيقة على ستارة قريبة من باب حجرتى تعتذر فيها عن موقفها من الثلاجة ، وتتمنى لى بدورها الصبر والتوفيق ، وتعد بأنها ستوفر المطالب فى اليوم التالى !

— وهل كنت تجد ما تعدك به ؟

فأجابت هى :

نعم ، كنت أعد وجبة الأسبوع كله فى الثلاجة لأوفر الوقت لى ولأخفف من شكواه !

وكان رد حسين السيد :

— صحيح كانت تنتهز الفرصة وتعوض الذى مضى . وكنت أصبر لأوفر لها الوقت لعلها تحصل على الدكتوراه وأستريح .

— وكيف كانت مشاعرك بعد أن علمت بنجاحها ؟

وابتسم ابتسامة عريضة وهو يقول :

— عقب سماعى بقرار منحها الدكتوراه كانت أول عبارة نطقت بها : الآن أشعر أننى أعود زوجا من جديد .. الحمد لله .

قلت :

— والكلام الثانى ؟ يعنى الشعر والأغانى مثلا ماذا قلت فيها ؟

قال :

وأخذت أردد نفس الأغنية التى ألهمتنيها من قبل وهى :

حبيبى ياللى خيالى فيك

ياللى حياتى حاتكمل بيك

مين انت : معرفشى

فين انت : معرفشى

معرفش امتى وفين حالاقيك

واستطرد حسين :

— وخد منى وسجل على :

— سأقدم لها شعراً جديداً فى حفلة متواضعة أقيمها من أجل حصولهـا على الدكتوراه وأدعو إليها أساتذتها الجامعيين والفنانين والأدباء ..

القيد الناعم :

قلت له اسمع يا أستاذ حسين :

— أحمد رامى قال لى : « إياك أن تصدق أن شاعرا يتزوج وتلهمه زوجته » فمـا رأيك فيما قاله رامى ؟

فقال :

رأيى أن هذا غير صحيح فالإلهام — فى اعتقادى — هو منابع لسمو عاطفة ممكن أن يستوحى من كلمة طيبة ، ومن وجه جميل ، ومن نظرة حانية ، وأعتقد أن هذه العناصر لاتصدر إلا من شريكة الحياة ، ولذلك فأنا كثيراً ما أذكرها بينى وبين نفسى بفخر وأعتز لأنها كان لها فضل تحويلى من مجرد هاو فى الأدب إلى شبه محترف ، وأظن أن نشاطى الأدبى قد تضاعف بعد الزواج كثيراً .

ومضى يقول :

— إن زوجتى هى أول من يسمع إنتاجى وتناقشنى فيه ، وكثيراً ماتتفق هى والموسيقار محمد عبد الوهاب فى ملاحظة معينة ، وأكون أنا متمسكا ولـكنى عند ما أطابق الرأيين أخضع لحـكم الأغلبية .

قلت لهـا :

— متى تختلفين مع زوجك ؟

قالت : لا وقت عندنا للخلاف .

وقال هو : إننا نختلف دائماً وقت الصلح .

فقلت لهـا :

وهذا الذى يسهر طول الليل فى جو فنى غالباً ماذا ترين فى تصرفاته أو الغيرة عليه ؟

قالت :

أنا لا أنـكر أننى فى بداية الزواج كانت بعض تصرفاته غريبـة على حيث

أننى كنت ألمس أنه كان يعتبر الزواج قيداً حديدياً ، وتفرغاً كلياً .. فكنت أحس أنه ينطوى أحياناً على نفسه لأسباب مالبثت أن تفهمتها ، وبدون أن أحاول الترويض أو التوجيه حرصت على أن أهيء له الجو الذى لايشعره أنه فى سجن ذهبى أو ماسى ومع الوقت والزمن جعلته يدرك أن الحياة الزوجية هى رابطة ومزيج من الحب والصداقة والأخوة ، فلما تهيأت له هذه العناصر عاش على طبيعته •• ونعمت أنا بصدق هذه الطبيعة ، لأنه إلى جانب كونه فناناً وأديبا فقد أعد نفسه ليمارس نشاطا آخر يتناقض تماماً مع نشاطه الفنى والأدبى وهو ممارسة التجارة بأعبائها ومسؤلياتها فهو يعانى من هذين النقيضين • صميم الخيال وصميم الواقع .. ومن هنا كان لابد لى أن أمارس من ناحيتى مهمة شاقة جداً لترويض هذين النقيضين ولتوفير الراحة ، واستمرار النشاط ، والإنتاج فى هذين الميدانين •

قلت لها :

— هذا كلام جميل •• ولكن ما أريده منك هو الإفصاح عن الغيرة وكيف تعالجينها ؟

وانبرى هو ليجيب بعد أن رأيتها تسدل جفنيها فى حياء :

— الحقيقة صادفتنا مشاكل بسبب هذه الغيرة ولكننا أدركنا فى النهاية أن هذه المشاكل من جانبى على هامش الحياة ، وأننى أنا السطر الرئيسى لهذه الهوامش •

وبسرعة عقبت الدكتورة نعيمة قائلة :

— لكن الهوامش ساعات توسخ الكتاب ••

وفجأة ، لأول مرة أسمع ضحكة عالية تخرج من فم الدكتورة نعيمة ، وأرى ابتسامة ماكرة ترتسم على وجه حسين السيد !

وانتقل الحديث إلى حياة الزوجين بعد النجاح فى الدكتوراه . . بعد السنوات الخمس التى استغرقتها فى الإعداد لها .

قلت لحسين :

— والآن من الذى يعد لك طعامك بعد أن تفرغت لك الزوجة ؟

قال : عندنا طباخ .. لكن هناك أصنافاً أصر على أن تصنعها الدكتورة نعيمة بيديها وهى الحمام « المشوى » وأم على وخلطة « المحشى » بجميع انواعه .

— وماذا أوحت إليك طوال السنوات الخمس الماضية ؟

قال : أهم مااستوحيته من رسالتها « نشيد ناصر » وما حشدت فيه من معان وأهداف قرأتها قراءة عابرة فى كتب البحث التى كانت تستعين بها فى مراحل بحثها أما فى الأيام الأخيرة — التى أسميها أياماً عصيبة — وهى مرحلةالبحث فقد استوحيت منها نشيدا آخر لمناسبة عيد الثورة القادم وقد وضع عبد الوهاب خطوط ألحانه الأولى وأعتقد — وهذا رأيى الخاص — أنه من أقوى ما كتبت فى المناسبات الوطنية لأننى أستوحيت ما كانت تعرض له نعيمة فى أبحاثها عن القومية العربية ، والوعى العربى ، وتقدمه منذ قيام الثورة حتى الآن .

والنشيد عبارة عن ترجمة لجملة واحدة جاءت على لسان السيد الرئيس فى خطبته المشهورة التى ألقاها فى المؤتمر التعاونى فى حين قال : من السهل أن نبنى مدارس ومنشآت ومصانع ولكن ليس من السهل أن نبنى نفوساً .

بقى ماتحب أن تعرفه عن الدكتورة نعيمة وهو :

* إنها بعد عودتها من إنجلترا وحصولها على الماجستير كانت تعمل مدرسة فى كلية البنات ، ثم فى معهد المعلمات بالزمالك .

* وإنها تعمل الآن فى كلية التربية بجامعة عين شمس .

* وإن أبحاثها للحصول على الدكتوراه تناولت فيها خلال خمس سنوات كاملة بالدراسة والبحث ، تاريخ قدوم البعثات الدينيــة أو التربوية الأجنبيــة إلى مصر ، وموقف الدولة منها على مر السنين ، والصراع بين هذه البعثات وبين الدولة منذ مئات السنين إلى أن استطاعت حكومة الثورة — بجرة قلم — تمصير التعليم الأجنبى . . كما تناولت الأسباب التى كانت تجعل حكومات ماقبل الثورة تقف عاجزة أمام تلك البعوث .

* وإن القسم الثانى من البحوث يدور حول تقييم المقررات الدراسية قبـل وبعد اشراف الدولة ، وإلى أى مدى تطورت وسائل التعليم ، وإلى أى مدى أيضا كانت تلك المدارس الأجنبية تبشر بأهداف سياسية أو دينية معينة ، وإلى أى حـد كانت تنفذ قوانين التعليم المصرى ؟

* وإن الدكتور أبو الفتوح رضوان وكيل كلية التربية وأحد الذين منحوها الدكتوراه قال لى : إن هذه الرسالة سجلت كيف أن حكومة الثورة حققت ماعجز عنه رياض باشا ، ومحمد عبده قبل مائة عام ، وإن الـكلية ستطبعها وتتبادلهـا مع الجامعات الأخرى .

فالتعليم الأجنبى فى بلدنا كان وصمة عارلنا ، وهذه الوصمة قدمحوناها بعد ثورتنا .

حسين مؤنس



الكاتب المؤرخ

اثنان قدمهما التاريخ للحياة الأدبية : أحدهما فريد أبو حديد والآخر هـذا الرجـــل . فنان راهب ، يشرد ، ويبحث ليعود فى تواضع « العلماء » ويتحدث بخفوت .

وإذا كانت ثقافة الإنسان انعكاساً لروحه .. رأينا فيه الفكرة الناعمة والنبضة الحالمة . وإذا كان السبيل السليم للكشف عن خصائص العقليات هى مناقشة آثار هذه العقليات ، فإننا يجب أن نناقش آثاره لنخطط شخصيته .

وعند القديم والجديد ، والماضى المتعلق بالعرب والمستقبل الذى يتمسح بالغرب .. يقف حسين مؤنس خجلا يحمر خداه ويفتح عينيه من وراء منظار سميك !

وحسين مؤنس صاحب عشرات القصص ، وكتب التاريخ والأدب « أستاذ » التاريخ بكلية آداب القاهرة ، وهو المستشار الثقافى للجمهورية العربية المتحدة فى أسبانيا ومدير معهد الدراسات الإسلامية فى مدريد ، وهو الذى طاف بالدنيا وسجل انطباعاته الخاصة فى أكثر من كتاب ومقال .

ولقد عرفت الدكتور حسين مؤنس عن قرب ، وما رأيت أحداً عرفه إلا وقال إنه فنان بطبعه ، وأديب طيب القلب صافى النفس . حياته قصة كفاح من أجل بلوغ القمة ، وحبه الكبير بدأ بالزواج من أم صفوان السويسرية الأصل ، ويومها كانت أم صفوان طالبة صغيرة تتلقى دراستها الفنية فى الكونسر فاتوار ، ويومئذ أيضاً اشتريا بما كانا يدخرانه عدداً من الآلات والأجهزة الموسيقية التى ما تزال تحتفظ بها فى بيت أمها بسويسرا !

وهى الآن وبعد أكثر من عشر سنوات أصبحت تجيد اللغة العربية وتستطيع أن تقرأ مؤلفات زوجها والآخرين من الأدباء !

فى حديقة المتاعب :

والتقيت بالدكتور مؤنس قبل سفره ودار بيننا حديث طويل[1] .

قلت له : لماذا تركت كرسى الأستاذية فى كلية الآداب وآثرت العمل فى مدريد ؟

قال : أنا أحب نوع الحياة فى أسبانيا لأنه يجمع بين الشرق والغرب . ولأن الإنسان يشعر ويعيش هناك أنه متصل بجزء عظيم من تراثنا العربى الإسلامى .

— سافرت إلى أمريكا وطفت كل بقاع الدنيا فما الانطباعات التى خرجت بها من رحلاتك ؟ وماذا تعلمت منها ؟

قال وهو يتحسس بكفه الشعرات البيضاء الباقية فى رأسه :

---

(١) مايو سنة ١٩٥٧

— زرت كل بلاد العـــالم عدا استراليا ومن رحلاتى تعلمت كثيراً ، من أوروبا الإيمان بالعمل ، وأن قيمة الإنسان بما يعمل . ومن زياراتى لآسيا تعلمت الإيمان بالشعوب لأن هـــذه الشعوب كانت ضعيفة ولم يكتمل لها وسائل الـكفاح ولـكنها صمدت بالإيمان والتماسك والإصرار على الصمود ، ومن رحلاتى فى أمريكا تعلمت الإيمان بالصبر ، فإن هذا العالم الذى اكتشفته أوروبا من أربعة قرون لا يتصف إلا بالصبر الطويل ، والجهد المتصل وإيمان الرجل بنفسه .

قلت لأبى صفوان :

— كم سنة عشتها حتى الآن مع زوجتك أم صفوان ؟

قال وكأنه يروى أسطورة غرامية خالدة :

— زوجتى أم صفوان سويسرية ، كما تعلم وقد عشت معها حتى الآن ما يقرب من اثنى عشر عاماً .

قلت :

— وهل حدثت بينكما خلافات ؟

قال — نادراً . . ولا أظن أننا اختلفنا فى هذه الفترة اختلافا شديدا .

قلت :

وما أساس السعادة الزوجية فى نظرك ؟

قال :

الاستعداد على المشاركة فى المتاعب .

قلت :

وما هى المرأة التى تناسب الأديب ؟

هى التى تجعله لا يشعر أنها هى مشكلة تحتاج إلى حل .

قلت له :

وماذا ترى فيما تسمع وتقرأ عن متاعب الشباب ومشاكلهم ؟

قال :

إن قواعد التربية الاجتماعية التقليدية عندنا كانت تقنع لمظاهر هذه التربية بنوع من السلوك وكانت تعد الشباب لمجتمع بسيط قليل المطامع . قليل المشاكل ، ولكننا الآن أمام مجتمع جديد خلقته ظروف جديدة وهذه الظروف حملت معها مشاكل ومسئوليات جديدة . كانت المشاكل فيما مضى من نوع معين ، أما الآن فإن المشاكل أصبحت ضخمة بعضها يتعلق بالتزاحم القاتل فى ميدان العمل ، وقلة الفرص أمام الشبان . وهذه الفرص القليلة فى ذاتها تدعو إلى اليأس . هناك مشاكل الخريجين ونظرة الشباب للحياة ، الشباب فى هذا الوقت يعرف أكثر من زميله السابق ، وعنده شبه إدراك لمشكلة المصير .

وإذا أردنا أن ندرك سر المشكلة يجب أن نضع أنفسنا موضع الشبان ، الطالب عنده شعوره بالضياع . من سنين ملأنا له الجو بالسينما والصحف الرخيصة والروايات التى فى منتهى الحقارة والممثلين الذين يعلمونه كيف يكون كاذباً فى أحاديثه وطويل اللسان . إنه كان يفتح الصحف فلا يجد غير كتاب يكتبون له كلاماً يجعله وقحاً ، ماذا يفعل إذن ؟

قلت : ومن تراه مسئولا ؟

قال :

— رأيى أن المسئولية الأولى تذكر فى البيت لا فى المدارس إذ أنها لم توجد للتربية بل للتعليم ونحن نريد مدارس للتربية ، كما نريد مدارس للسلام النفسى للطالب !

قلت له : وكيف أمضيت أيام الشباب ؟

قال : كان جيلنا جادا منصرفا إلى التحصيل ، وأذكر الآن أن فترة ضياع فى حياتى جعلت منى أديباً ، إننى أعتبر هذه الفترة درساً قاسياً لن أنساه !

---

(١) الدولة أصبحت تتكفل بتعيين خريجى الجامعات فى كل عام .

١٣٠ قصة :

أجل ، فقد كانت درساً علمني أن أستمر فى الدراسة حتى أحصل على الدكتوراه ، وأعود للجامعة مدرساً من جديد .

وربما لا تصدقنى إذا قلت لك إننى قاسيت فى هذه الفترة ألواناً من ضراوة الناس ، وحبهم لامتصاص دماء غيرهم . فبعد أن تخرجت فى الجامعة من أكثر من ربع قرن لم يكن هناك باب مفتوح للوظائف فاتجهت يومها للصحافة واشتغلت مترجماً فى مجلة اللطائف المصورة ، وكان رئيس التحرير — رحمه الله — لا يعرف حرفا واحدا فى اللغة الانجليزية فكان يطالبنى بأن أترجم له مقالات من الصحف الانجليزية وما أكاد أسلمها له حتى يأخذها ليوقعها بامضائه ، وينشرها فى صحيفته ، ولم يكن يكتفى بذلك وإنما كان يطالبنى بترجمة اعلانات الأدوية لعل المرضى ينتفعون بها ولعل حصيلة الاعلانات ترتفع فيما بعد !

وكان الاتفاق على جنيهين فلم يكن يدفع لى إلا جنيهاً واحدا فى آخر الشهر وبعدها خرجت من المجلة لأتفرغ للكتابة والترجمة فى بيتى حتى سفرى إلى الخارج لاستكمال دراستى ، ولما رجعت اتجهت إلى التاريخ والأدب وكتابة القصص القصيرة والمقالات النقدية .

قلت للدكتور مؤنس :

وكم قصة ألفتها حتى الآن ؟

قال : ١٣٠ قصة قصيرة تهدف إلى أغراض اجتماعية خاصة ، وكانت أول مجموعة من القصص باسم « حكايات خيراستان» ، وعالجت كتابة القصة الطويلة .

سألته :

وما أول كتاب تأثرت به ؟

قال :

كتاب ساعات بين الكتب لعباس العقاد .

قلت : وأحب الأدباء إلى قلبك .

قال : توفيق الحكيم فإن كتبه صورة لشخصه .

قلت : وما أهم مشروعاتك ؟

قال :

كان أهمها مشروع الألف كتاب وقد تعرضت من ورائه لعواصف كثيرة فى أول الأمر لم يؤمن به أحد .

قلت لصاحب مشروع الألف كتاب :

— وكيف تواجه مشاكل الحياة ؟

قال :

بالعمل والصبر .

قلت :

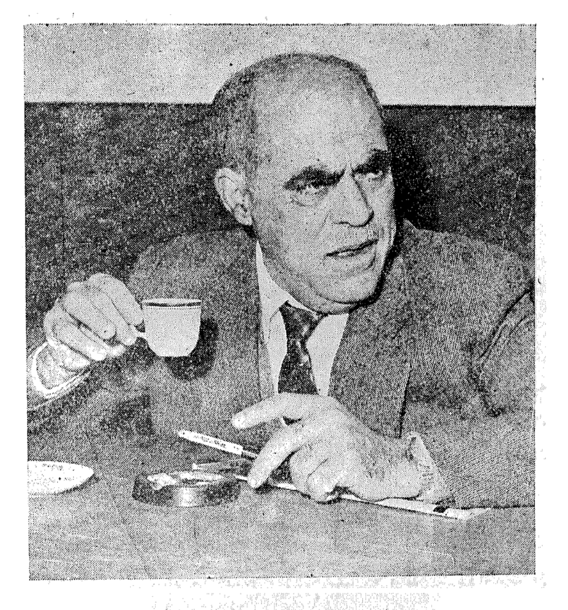
—وماذا فعلت لنشر الثقافة العربية فى الأندلس ؟

قال :

— إن اسم بلادنا يتلألأ هناك بفضل نهضتنا الجديدة ، وكان لا بد أن يقبل أبناء اسبانيا على معهد الدراسات الإسلامية إقبالا منقطع النظير . أقبلوا عليه يطلبون أن نعلمهم اللغة العربية ، وازدحمت قاعات المعهد بالدارسين فعلا طوال العامين الماضيين وكنا نعلمهم اللغة ونشرح ما استعصى فهمه عليهم باللغة الاسبانية وقد اشتد الاقبال علينا حتى اضطررنا لفتح فصول جديدة للراغبين فى التخصص فيها .

وهكذا يعيش الدكتور حسين مؤنس فى اسبانيا ليفتح أبوابا جديدة للثقافة العربية .. إنه أكثر شبابا من الفنانين والأدباء الشبان ، وأقدر أساتذة الجامعة فى السعى وراء كل عمل جاد ومفيد .

خليل نامي



الجامعي الذى يعرف كل شبر فى اليمن

من ٢٧ عاما وهـــذا الأستاذ الجامعى فى اليمن يقلب الأحجار والعملات القديمة ، ويبحث فى كل بيت عن أوراق بالية تشرح له الأسرار والألغاز التى يراها فى دروب اليمن ، إنه حجة فى كل ماهو يمنى ·

إن أسعد لحظاته يوم قـــرأ عن تحرير مأرب · · فى صباح ذلك اليوم تطلعت عيناه إلى السماء ، وكلمة حلوة تشق طريقها إلى لسانه فى هدوء : الحمد لله !

وفى المساء أقام حفلا فى بيته بالروضة تـكريماً ليوم دخول الجيوش العربية المشتركة مدينة الذكريات الغالية على نفسه .

ولسوف يذكر فى عيد الأم تلك الليلة القاسية التى تلقى فيها ـ وهو فى اليمن ـــ نبأ وفاة أمه ، وقتها كان شاباً فى الثلاثين من عمره حديث الشهرة بين تلاميذه كمعيد فى جامعة القاهرة · وكان لابد أن يغادر القاهرة تاركا أمه وحيدة فى البيت ليذهب إلى اليمن للتخصص فى تاريخها وفى لغاتها القديمة وليرى آثارها على الطبيعة ، فيعيش عاماً مع القبائل العربية الضاربة فى الصحراء وبين أبنـاء المدن وسكان السواحل والسهول · · لاستقراء تاريخها السعيد ، وعادات أهلها وما ورثوه من تقاليد على مر الزمن ، من الألف الأول قبل الميلاد حتى دخول اليمن فى الإسلام ، وفى العام السابع للهجرة وبالذات فى عام ٦٢٨ من الميلاد · ومن خـــلال دراسته عرف حضارة تلك البلاد . ركب البغال والحمير وسط المراعى الخضراء التى تنحدر حتى ساحل البحر الأحمر وتنقل بين أشجار تهامة وسهولها التى تمرح فيها القردة والنسانيس فى حرية تفوق حرية السكان . وعلى القمم العالية كان بوسعه أن يـكتشف الـكثير من الأسرار التى تروى عن الآثار القديمة ، ولمـــاذا تقصر بعض أجسام سكان الهضاب وتطول أجسام بعض السكان الآخرين .

وفى مدينة مأرب ـــ مهد الذكريات العزيزة على نفسه ـ استقر به المقام طويلا وفيها سهر ليلة بطولها يبـكى أمه التى فارقت الدنيا قبل أن يودعها الوداع الأخير ،

ولم تكن رحلة الدكتور خليل نامى «٥٥ سنة»[1] أستاذ تاريخ اليمن إلى البلد الشقيق هى أولى رحلاته . لقد سافر بعد رحلته الأولى مرة ثانية قبل أحد عشر عاما لدراسة المخطوطات القديمة واللوحات الأثرية المحفوظة فى أقبية القصور الأثرية فى مدينة صنعاء . سافر إليها مع بعثة من العلماء ، وأمضوا هناك فترة طويلة أخرى استطاعوا فى أثنائها أن يصنعوا شيئاً كبيراً ، وخرج الدكتور خليل من دراساته بمجموعة من المؤلفات أصبحت مراجع بين أيدى العلماء اللغويين فى الشرق .

أشتى بلادى :

وهكذا عاش خليل نامى ، ويعيش اليوم ، متواضعاً جداً وفى هدوء العلماء ووقارهم . تحدث إلى حديثاً طويلا أدركت بعد الاستماع إليه أكثر من ساعتين ، لماذا أحب اليمن ، ولماذا يجب على كل واحد منا أن يحبه لا لأنه البلد الشقيق ، ولكن لعمق الذكريات التى تربطنا به منذ أقدم العصور .

قلت له :

ـــ وما أهم شىء أثار انتباهك عند دخولك اليمن للمرة الأولى فى عام ١٩٣٦ ؟

قال وهو يتحسس صلعته بكفه :

إن أول ما أثار انتباهى فى تلك البلاد التى كان يسميها اليونان والرومان باسم البلاد العربية السعيدة لغناها ولكثرة ماتدره من طيب وغلال وفواكه ، هو أننى عندما تقابلت مع الإمام السابق يحى حميد الدين جد البدر فوجئت بأول كلمة قالها لنا الإمام وهى « أشتى بلادى أن تكون مجهولة ، أى أشتهى أن تكون بلادى مجهولة وغير معروفة للعلماء فى مختلف تلك البلاد العريقة فى الحضارة التى كانت جنة تفيض بالخيرات »

وأذكر فى هذه المناسبة أن الإمام أحمد كان فى ذلك الوقت ولياً للعهد ، وكان

(١) مارس ١٩٦٣

يعرف بحبه للاصلاح والتقدم . ولكن عندما عدت إلى اليمن فى سنة ١٩٥٢ رأيت اليمن أسوأ مما كانت فى عهد أبيه ، فقد تنكر لمبادىء الإصلاح التى كان يتغنى بها أيام أن كان ولياً للعهد . وأعرف من حديث دكتور خليل أنه عاش فى اليمن فى المرة الثانية ثلاثة أشهر قام فى أثنائها بجمع المخطوطات العربية ، كما زار مأرب البلد الذى أحبه من كل قلبه ، والذى ترك فى نفسه أثراً لن ينساه طول عمره .

ذلك لأن اسمها اقترن بحادث فقد أمه الحبيبة ، إلى جانب كونها عاصمة مملكة سبأ التي جاء ذكرها فى القرآن الكريم ، وفى غيره من الكتب السماوية .

قلت للدكتور نامى:

— وماذا يروى تاريخ مأرب أكثر مما يعرفه الناس من الصحف . ؟

قال :

لقد كانت مأرب عاصمة مزدهرة منذ حكم مملكة سبأ فى القرن العاشر قبل الميلاد حتى دخول أبرهة الحبشى بلاد اليمن سنة ٥٢٥ ميلادية ، وكان يخضع لها كل جنوب الجزيرة العربية من نجران شمالا حتى خليج عدن جنوباً ، وشرقاً حتى الخليج الفارسى ، فكانت تخضع لها عدن والمحميات الشرقية والغربية ونجران وعسير .

وكانت هذه البلاد جميعاموحدة يحكمها ملك يقيم فى عاصمة مأرب ، وكان اليمنيون القدماء يقومون بنقل محصولات بلاد اليمن ومحصولات الهند والصين بالقوافل إلى الحجاز والعراق والشام فبلاد اليونان .

ورأيت الدكتور خليل يتركنى فى مكتبه لحظة ليعود إلى ومعه خريطة للعالم الإسلامى قديماً وأخذ يفحصها قبل أن يستكمل حديثه قائلا :

— وقد وجدت بعض الآثار اليمنية فى بلاد العراق وفى الأحساء وفى جزيرة

دياس ببلاد اليونان ، وكل هذه الآثار تدل على أن بلاد اليمن كانت فى يوم من الأيام ذات حضارة تلألأت أنوارها وقتاً طويلا من الزمن ، ثم خبت أضواؤها وانطفأت وخيم الظلم على البلاد عندما تغير مركز الحضارة وانتقل منها إلى بلاد أخرى ، فأخذت الحضاره والمدنية ترسل أنوارها وتزدهر فى جهات أخرى من العالم .

ومما لاشك فيه أن الفتح الجديد وقيام الجمهورية الاشتراكية اليمنية فى تلك البلاد سيعودان بها إلى تاريخها القديم المزدهر .

مفاتيح الدواء :

— هل ترى أنك حققت فى اليمن انتصارات علمية لم يسبقك إليها أحد من العلماء ؟

قال فى تواضع بعد فترة صمت :

— عندما ذهبت إلى هناك قبل سبعة وعشرين عاماً وكان معى زميلى الدكتور سليمان حزين قمنا بعمل حفريات فى معبد بمدينة ناعط بشمال اليمن ، وجمعت كل الكتابات القديمة الموجودة فى بيوت ناعط وأخذت بعد ذلك فى دراستها ونشرتها فى كتاب حصلت به على الدكتوراه من كلية آداب القاهرة .

إن هذه الكتابات القديمة التى جمعتها من ناعط ومن غيرها من بلدان اليمن هى التى جعلتنى أعشق بلاد اليمن ، وأعشق تاريخها القديم ، وأتتبع حركة التحرر والإصلاح حتى اليوم .

قلت له :

— وكيف رأيت مجتمع المدينة فى صنعاء أو تعز بالقياس إلى مجتمع الصحراء ؟

— هناك فرق شاسع بين رجال المدن ورجال الصحراء ، وإن كان رجال المدن تخيم عليهم سحب الحرمان والفقر والجهل بسبب حكامهم السابقين فإن رجال الصحراء

أكثر منهم فقراً وجهلا وحرماناً . ويكفى أن المريض هناك لايجد أية رعاية لأن الصيدلية الوحيدة فى اليمن كانت مفاتيحها مع الإمام ، ولايصرف الدواء إلا بإذن ملكي ، ولايستطيع المريض وغير المريض أن يغادر بلده إلى بلد آخر إلا برخصة من الإمـــام .

وعاد الدكتور خليل بذاكرته إلى الوراء إلى أيام رحلته الثانية . إنه وزملاءه من أعضاء البعثة التى سافرت إلى اليمن قبل أحد عشر عاماً قد ظلوا فى صنعاء مدة شهر كامل ينتظرون إذن الإمام لهم بالسفر إلى تعز .

والتفت إلى قائلا :

— وهكذا تدرك إلى أى حد كان الأئمة يتدخلون فى كل صغيرة وكبيرة ، حتى فى تنقلات ضيوف بلدهم .

من عهد الفراعنة :

وانتقل الحديث إلى المؤلفات التى صدرت عن اليمن للدكتور خليل والى أهم ماتناولته خاصاً بعلاقتنا باليمن ، فسمعته يقول :

— إن علاقتنا باليمن ترجع إلى أيام الفراعنة لأن بلاد بنط التى كان المصريون القدماء يتاجرون معها ليست إلا البلاد الواقعة على ساحل البحر الأحمر ، وقد وجدت نقوشا فى مدينـــة منف بالجيزة تدل على وجود قبيلة يمنية كانت تعيش فى بلادنا فى عهد البطالمة ، أى فى القرن الثانى قبل الميلاد وفى أيام حتشبسوت الملكة الفرعونية القديمة حينما كانت العلاقات قوية بين القطرين الشقيقين .

قلت له :

— وكم بحثاً وكتاباً صدر لك عن اليمن ؟

— أكثر من ثلاثين بحثاً وكتاباً وقد أصبحت كتبى

مراجع العلماء فى أوربا وفى أمريكا ، وأنا أتبادل معهم الرسائل والأبحاث .
ورأيته يقدم لى مجلداً ضخماً جاء إليه من أمريكا ، وفيه مجموعات نادرة للآثار والنقوش اليمنية .

قلت له :

ـــ وفى العهد الإسلامى الأول كيف كانت علاقتنا باليمن ؟

قال :

ـــ يكفى أن تعلم أن معظم القبائل التى جاءت مع عمرو بن العاص كان معظمها من القبائل اليمنية ، كما أن كثيراً من اليمنيين كانوا يتجهون إلى مصر ويعيشون فيها وبخاصة فى صعيد مصر .

ثم استطرد بعد أن شرب فنجانين من قشر البن :

أو تصدق أن اليمنيين يشربون نوع البن الذى نشربه نحن هنا فى بلادنا ؟ أبداً . . إنهم يشربون من البن قشره فقط وهو الذ طعماً ومذاقا ، وقد حرصت على الاحتفاظ بكمية من هذا القشر أقدم منها الفناجين لضيوفى الأعزاء وفى المناسبات السعيدة فقط .

قلت :

ـــ وماذا تتوقع لمستقبل اليمنيين ؟

ـــ أتوقع أن يعود أبناء اليمن إليه بعد أن تحرر من ظلم الأئمة ، وبعد أن أصبح فى حاجة إلى خبرة كل مصلح من أبنائه . لأنه بلاد شاسعة وتحتاج إلى الأيدى الكثيرة العاملة لزراعة أراضيه الخصبة . وللتنقيب عن معادنه . إنه من أغنى بلاد العالم وأخصبها ، وقاتل الله الأئمة الدين عزلوه عن الدنيا .

قلت :

— هل تعتقد أن مأرب غنية بالمعادن كالذهب ؟

قال :

— إنها مشهورة بالمعادن بلا شك .

قلت :

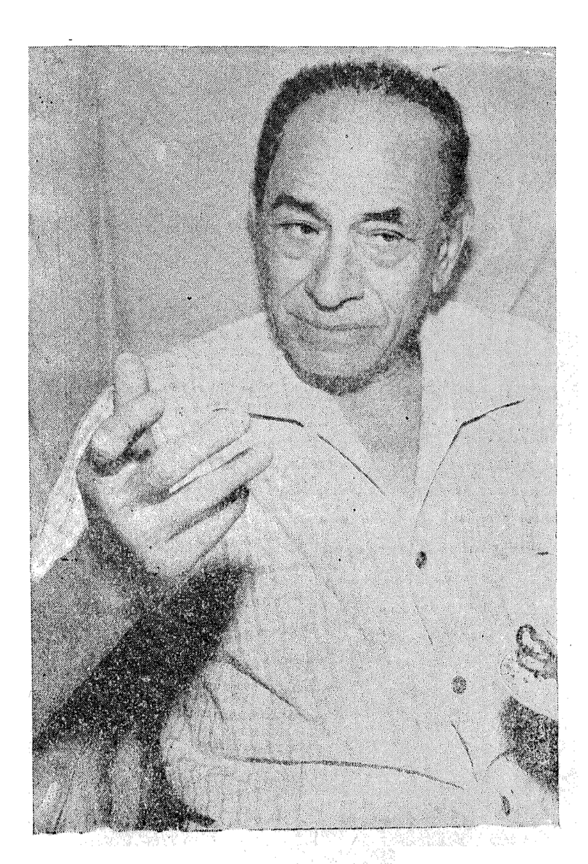
والحالة الاجتماعية ،الزواج بصفة خاصة كيف يتم ؟

قال وابتسامة على شفتيه رقيقة هادئة كهدوئه :

— البنت تتزوج هناك وعمـرها ثماني سنوات .

والدكتور نامى متزوج من ثلاثين عاماً ولم ينجب أولاداً بعـد ، ومن آماله أن يرسل إلى اليمن بعثة من تلاميذه خريجى كلية الآداب لاستكمال دراسة آثار اليمن السعيد بثورته ، وحريته .

زكى طليمات



عميد المسرح العربي

إن زكى طليمات لا يعترف بحقيقة عمره أبدا . . إنه يعيش دائماً فى عز الشباب بالرغم من وقوفه على أبواب السبعين ![1]

إذن فما الذى جعله يكتب وصيته . . ؟

تعال معى إلى زيارة سريعة لنلحق به قبل سفره فى هـذه المرة إلى الكويت . . تعال لنودعه ونسأله عن نشاطه الفنى وآخر مشروعاته المسرحية فى الكويت ؟

المسرح أولا :

إنه يسكن فى عمارة ضخمة بشارع عبد الخالق ثروت ، وفيها يعيش وحيـدا منذ انفصاله عن زوجته الأخيرة .

إن المعـلومات التى وصلتنى من طبيبه الخاص ، د . يسرى رزق الله تؤكد أنه أصيب بانسداد فى قناة الصفراء بسبب وجود حصيات فيها ، وأنه بينما كان فى طريقه من الإسكندرية إلى القاهرة شعر بآلام حادة لأول مرة فى جنبه الأيمن ، واحتمـل الآلام إلى أن وصل إلى القاهرة ، وفيها عرف - بعد الكشف عليه — أنه أصيب بإنسداد فى الصفراء ، وهو رجل — كما قال لى د . يسرى — لا يقبل أنصاف الحلول ، ولهذا وافق على إجراء العملية على الفور . ولـكن بعض أصدقائه نصحوه بأن ينتظر قدوم الجراح الإنجليزى المعروف د . تانر فى شهر نوفمبر ليجرى له العملية ، ولـكن زكى على موعـد مع الفرقـة التى ألفها فى الكويت ومع جمهوره هناك ، ليرفع الستار فى أوائل نوفمبر عن مسرحية طارق بن زياد « لمحمـود تيمور » وللمرة الأولى كما يقول الطبيب أيضاً أجـل إجراء العملية إلى شهر نوفمبر القادم لأن

---

(١) صيف ١٩٦٣ .

المسرح هو كل شيء فى حياته حتى انه ليراه أهم من صحته ، ولهذا أشاروا عليه بالاعتكاف فى فراشه بضعة أيام قبل السفر . يعالج فيها من نوبات المرارة وآلامها .

ويستقبلنى زكى طليمات فى شقته بنفس الحيوية والنشاط .. بنفس القوام المشدود والابتسامة العريضة الساخرةالتى يقابل بها جميع مشاكله .. باستمرار !

لقد كان فى حالة صحية جيدة .. حالة تخالف كل ما سمعته عنه . فهو يبدو فى نشاط شاب فى الثلاثين ، يروح ويجىء فى مكتبته الضخمة التى لا يعرف عدد مافيها من كتب ، ويتكلم بسرعة فى كل شيء ..

وأرانى أسأله ..

— لماذا تعجل بالسفر فى وقت أنت فيه بحاجة إلى الراحة قبل الذهاب إلى المستشفى ؟

ويجيب :

— المسرح أولا .. ثم صحتى ثانياً .
ويعقب على ذلك بضحكة عالية تبدد السكون من حولنا قبل أن يتكلم .

— أرى العجب يلعب بأسارير وجهك .. لا بأس ولهذا أقول لك :

هل سمعت عن محب هائم تحجزه عن محبوبته متاعب الطريق الطويل وأخطار السير فيه ؟ ؟ هل انتهى إليك أن مجنون ليلى أثرى من حبه ليلى ؟

أنا أحب التمثيل ، أهيم به ، بعد أن تملك الحب كل كيانى .

ومن يحب عن هيام وصدق ، يعطى كل ما يملك ، ويبذل بل ويضحى بكل ما عنده .. وهذا بخلاف من يخطب النساء ويتخذ من إيهامهن بالحب وسيلة ، لتعريتهن من الحلى ومما يملكون من المال .. فيصبح وله رصيد كبير فى البنوك وله عقارات .. أنا بحمد الله ليس لى من الأرصدة والعقارات شيء وإنى لفخور بهذا .

ووجدتني أغيب لحظة مفكراً في قول هذا المحب ، « مجنون المسرح » ولكن سرعان ما عدت إلى الموضوع فسألته :

— يظهر أنك خائف من إجراء العملية .

وعاد زكي طليمات يقهقه ، والقهقهة عنده ألوان وأصناف وكأنها لغة معبرة قائمة بذاتها . .

— أنا رجل أومن بالله ، لا أخاف إلا منه ، أما الأطباء فأنا كفيل بهم .

ويمضي قائلا :

— في العام الماضي فقدت قطعة من جسمي ، وفي هذا العام أفقد قطعة أخرى ، وهكذا على حد معنى قاله شاعر عربي :

أراني أموت عضوا فعضوا . وهذا أمر ممتع إذ يزيد من مقدار تشبثي بالحياة والتعلق بها .

أنا والأزهار :

ويسكت زكي طليمات ليسحب نفساً عميقاً من سيجارته ، ثم يسألني :

— لماذا أنت ساكت ؟

— أنت الذي سكت

— طيب تكلم أنت

وأتكلم :

— بعد عمر طويل يا أستاذ زكي . . .

وفي رنة أسى ، وفي شيء من الهدوء غير المعروف عنه يقاطعني قائلا :

— أنا كتبت وصيتي

هذا تشاؤم

— لوعرفت التشاؤم لما أنجزت ما أنجزت من مؤسسات فنية ، أقامت لأول مرة قطاعات مسرحية تعمل وتصنع[1] وتمهد لجذور من التمثيل أن تمتد إلى أعماق الوعى العربى .

— وماذا قلت فى وصيتك ؟

أن أدفن فى مقبرة صديقى وأستاذى محمد تيمور ، وألا يقام مأتم لى للتعازى ، وأن يتم الدفن مع ارتفاع صوت الحاكى بأنغام السيمفونية الرابعة للموسيقار العبقرى بيتهوفن ، وأن تؤول مكتبتى إلى المعهد العالى للفنون المسرحية .

— وعند من تحتفظ بوصيتك هذه ؟

— عند ابنتى آمال .

— أهى ابنتك من روز اليوسف ؟

— نعم ، ولك أن تضحك إذ أننى لم أحب إلا فتاة واحدة . . مع أننى شممت ما لا حصر له من الأزهار !

— هذا يؤكد ما يتهمك به أعداؤك[2] من أنك تجرى وراء النساء وتحب النساء ! !

— شم الأزهار غير اعتصارها ، والتقديس غير التدنيس ؛ والاعجاب غير الجنس . . فلمن وجهوا إلى هذه التهمة شكرى إذا رفعوا من شأن ذوقى وطبعى . وإذا لم أحب النساء فمن أحب ؟

---

(١) زكى طليمات هو المؤسس الأول للمعهد العالى لفن التمثيل والفرقة القومية والمسرح المدرسى ، والمسرح الشعبى ، أسسها وتولى قيادتها .

(٢) فى المهاترات الصحفية ، وفى الاتهامات التى كان يحاول البعض أن يلبسها لزكى طليمات كان يتهم بأنه يهوى النساء .

— وفلوسك لمن أوصيت بها ؟

وعاد زكى يقهقه ثم قال :

— أوصيت بها لك أنت ٠ ٠ ٠ ولكنك لن تجد شيئاً يا بنى إذ ليس عندى رصيد ، واسأل البنوك . وليس عندى سيارة ولا حتى بسكليت ، يا سيدى أنا الوريث الشرعى لمدرسة المشائين القديمة التى كانت معروفة لدى فلاسفة قدامى اليونان .

نحن والكويت :

وينتقل الحديث إلى المسرح فى الكويت فيقول :

— إن شعب الكويت ينظر إلينا نظرة تقدير واحترام ويتطلع إلينا كمركز للقيادة والريادة ، وكان علينا أن نثبت لهم أنهم على حق وأننا على حق أيضاً فى القيادة والريادة وقد أثبتناها بإقامة قطاع مستحدث للمسرح العربى هناك يعمل على الكشف السليم عن مفاهيم المسرح ، ويؤلف قاعدة لفرقة تقدم الجيد من المسرحيات بحيث تكون لها فاعلية فى التوجيه العام ، وفى تعميق النظرة إلى الحياة ٠ ٠ وأؤكد لك أن المسئولين يعدون العدة الآن لتنفيذ اقتراحى بإنشاء « معهد للتمثيل » ينخرط فيه الشباب الكويتى وشباب إمارات الخليج والجزيرة العربية ٠ ٠

وأرجو أن يكون لى حديث معك بعد عامين[1] ٠ ٠ لأزف إليك بشرى تحقيق إنشاء هذا المعهد الذى أعتبره حجر الزاوية فى كل نهضة مسرحية .

وأردت المفاجأة فقلت له :

---

(١) أنشىء فعلا معهد التمثيل فى الكويت سنة ١٩٦٤ . واستقدموا له أساتذة من القاهرة ، وتولى زكى طليمات عمادته إلى جانب تدريس فن الالقاء والتمثيل . ولم ينشأ بعد قسم للنقد الأدبى والبحوث الفنية .

— والحركة المسرحية القائمة فى القاهرة وازدهارها ما رأيك فيها بوصفك أول من مشارك فى صنعها على هدى من العلم وعدم الارتجال ؟

إلا أن زكى طليمات تعود أن يمتص المفاجاءات كما يبدو لى ، إذ أخذ يتنفس بملء رئتيه وهو يهز رأسه ، وكأنه يستجمع ما يصح أن يقوله ، ثم هوى على كوب ماء أمامه وأخذ يتمزره فى بطء :

— الحركة المسرحية فى جمهوريتنا ناشطة ولا شك ، وتتدفق حيوية وحياة ، ولا عجب فنحن ما برحنا نعيش ثورتنا . وما زال الحماس مهيمنا على جميع ما نقدمه . والحماس أمره خطير لأن مبعثه العاطفة والانفعال الشديد ، وقلما يضع الحماس تخطيطاً واضح المعالم . . إلا أن ماتم انجازه حتى الآن من حيث توسيع رقعة المسرح بإنشاء فرق جديدة وفتح الأبواب والنوافذ للمواهب الشابة والقدرات الحديثة ، هذا كله أرجو أن يصحبه توسع فى مجالين آخرين حتى يقوم تناسق بين ما تقدمه الآن هذه هذه الفرق التي تجاوز عددها الأثنتي عشرة فرقة ، وبين ما يجب أن تقدمه من حيث الجودة وليس من حيث الكمية .

وأقصد بهذين المجالين ، المسرحيات الجديدة ودور التمثيل التى تفى بمتطلبات حسن إخراج هذه المسرحيات وجمال تقديمها للجمهور . .

وأرجو أن ينتهى عصر « الكمية » فيما تقدمه هـــذه الفرق ليبدأ عصر « الجودة » . . إن الفن الرفيع لا يوزن بالكمية ، وإنما بالجودة . . الفن . . لوز فستق ، مارون جلاسيه ، شيكولاتة ، وليس « لب » وسودانى محروق ! !

— وماذا تصنع إذا لم تجد المارون جلاسيه والفستق ؟

— لا شيء ، نأكل اللب والسودانى المحروق . . ونشرب من الكوز ، ولكن عليك أن تفعل كل ما من شأنه أن يعمل على تغيير هذه الحال . . ما دامت هنالك في الأفق حال أخرى خير من الأولى .

— ولماذا لا تترك الكويت وتعود إلى العمل فى القاهرة ؟

— القاهرة اليوم مثل الكويت ، كلتاهما شريحة من الوطن العربى . . والذى يدق فى كل أى من القطرين يرن صداه فى القطر الآخر .

وأعتقد أننى أديت واجبى نحو الوطن الأم ، وأنه يجب أن أفسح المكان لتلاميذى ليعملوا[1] ويحملوا مشاعل الفن عالية فى أيديهم، ثم ليقدموا تجارب جديدة .

إن موقفى الآن هو موقف المراقب ، والمرشد والهادى والمبتهل إلى الله أن يسدد خطاهم نحو الصواب والجمال والسمو . وقد تكون لى عودة إلى المسرح بالقاهرة حينما تستقر الأوضاع الفنية وتصفو الرؤية .

— هل تقول لنا من أقدر تلاميذك ؟

— هل تقول لى من هو أحب أولادك إلى نفسك أيها الأب ؟

إن الأبوة لا تفاضل بين الأبناء ، وإن كانت تميز أحيانا . . .

— ومتى تصدر مؤلفاتك التى سبق أن أعلنت عنها ؟

— يظهر أن من يصنع المسرح لا يستطيع أن يكتب تاريخه ، وأنا ما زلت أصنع المسرح حتى الآن . .

وأرجو أن أنتهى من هذه الصناعة ، لأفرغ إلى تسجيل انطباعاتى وذكرياتى عن الناس وعن المسرح . . إن فى رأسى مسرحاً كبيراً مليئا بالمآسى « وسيرك » يضج بالفكاهات والغرائب ، ومدرسة فيها الحقائق أعجب من الخيال .

---

(١) عندما عاد زكى طليمات من بعثته الحكومية إلى فرنسا عام ١٩٢٩ عمل على خلق نهضة مسرحية تعتمد على العلم والتخطيط السليم ، والقضاء على رأسمالية مديرى الفرق التمثيلية ، وهو يعتبر بحق معلم الجيل الحديث الذى يتولى الآن العمل فى جميع قطاعات المسرح والسينما ، والنقد .

كل هذا أريد أن أسجله ، ليكون ذخيرة للجيل الصاعد ، ليعتبر ، ويستوحى ويسير .

أقوى الشعراء :

— ومن هو كاتب المسرحية الأول فى بلدنا ؟

— توفيق الحكيم .. لم يسبقه أحد حتى الآن فى قوة حواره !

ثم محمود تيمور ، فى تحليله النفسى لشخوص مسرحياته ، ومن الجيل الحديث نعمان عاشور ، ويوسف أدريس ومؤلف مسرحية كوبرى الناموس . هؤلاء يحاولون أن يتصيدوا قيما اجتماعية من انعكاس الثورة التى نعيشها .

— وأقوى الشعراء ترى من هو ؟

— العقاد بلا جدال !

— وما هى أحب الأبيات التى تحفظها له ؟

— هى التى يقول فيها :

أكبرت قدرك حتى است أدركه ... وأصغروك فنالوا منك ما طلبوا

فإن تباعدت عنى وادنيت لهم ... فما توانيت فى خطوى ولا دأبوا

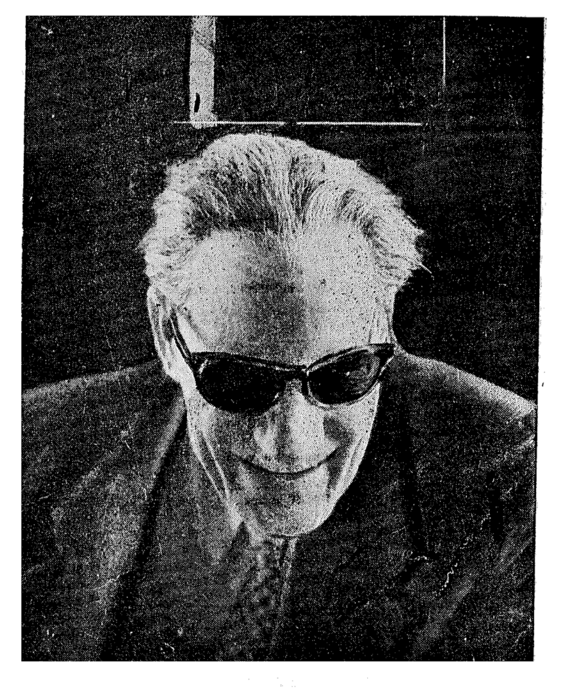
يا ليت أنفسنا صيغت كأنفسهم ... فلا يميلك عنا الصد والعجب

ويكون الوقت قد حان ليخرج زكى طليمات إلى مكتب شركة الطيران ليحجز له مكاناً فى أول طائرة تغادر القاهرة إلى الكويت .. وفى خفة شاب فى الثلاثين يرتدى ملابسه ، ويخرج بقامته المشدودة — دائماً — ماشياً على قدميه إلى مكتب الشركة لأنه لم .. ولن يقتنى سيارة .. أو حتى بسكليت(١)

---

(١) فاز زكى طليمات بجائزة الدولة التشجيعية فى الإخراج المسرحى عام ١٩٦٢ رغم كتابته لمجلس الفنون والآداب أنه لن يتبارى أمام تلاميذه فى نيل هذه الجائزة ولكن لجنة المسرح لم تجد أحق منه وفاز بالجائزة عن مسرحية الباروكة التى أخرجها ، وقد رشح لينال جائزة الدولة التقديرية عام ١٩٦٥ — ١٩٦٦ وكان الترشيح بالإجماع .

طه حسين



عميد الأدب العربي

على السلم الذى يقود إلى مجمع اللغة العربية ، كان يلفت الأنظار ، موكب من ثلاثة أشخاص ، يصعدون ببطء كأنهم يحصون الدرجات . وفى النوافذ وقف أعضاء المجمع يراقبون الموكب ، فلما وصل إليهم الموكب تبينوا أن الرجل الذى يسير فى الوسط هو طه حسين . أما الإثنان الآخران فكانا زوجته على اليمين ، وسكرتيره على اليسار . ودخل طه حسين قاعة الإجتماع ، وبدأت الجلسة . ولكنه على غير عادته لم يفتح فمه ، ولم يبق إلا خمس دقائق ، ثم خرج وغادر المجمع مرة أخرى يتوكأ على الزوجة والسكرتير .

وهز أحد أعضاء المجمع رأسه وقال : لقد بدأ طه حسين معركته مع الشيخوخة .. وتساءل آخر :

هل سيكسبها يا ترى كما كسب كافة معاركه ؟

العلم كالماء والهواء :

والواقع أن طه حسين عاش حياته فى معارك . كانت طفولته معارك مع الظلام الذى فرضه عليه فقدان عينيه . وكان صباه معركة فى سبيل الخروج من أفق قريته المحدود ، إلى آفاق ثقافة أرحب فى الأزهر . وفى الأزهر أيضاً كانت حياته معركة مع البيئة الجديدة التى انتقل إليها ، ثم اتسعت المعارك بعد ذلك . واتسع أفق الشاب الأزهرى ليشمل الثقافات الأجنبية ، وليناضل من أجل أن ينقل إلى القاهرة خلاصة هذه الثقافات .

وبفضل طه حسين عرفت الدراسات العربية المنهج العلمى ، وبدأ الفكر العربى يعيد النظر فى تراثه القديم . وأثبت الرجل الذى لا يرى ما حوله أنه أسبق أهل جيله إلى رؤية المستقبل . وعلى لسانه جرت كلمته الشهيرة « العلم كالماء والهواء » فتحولت إلى شعار من أخطر شعارات الحركة الوطنية . وأنجب هذا الشعار آلاف المدارس المجانية ، وخرج بفضله مئات الألوف من أبناء الشعب من ظلام الجهل إلى نور المعرفة ...

ولكن ذلك كله لم يكن بلا ثمن .

فما من كتاب ، أو فكرة ، أو مشروع ، أقدم عليه طه حسين إلا واجه مقاومة عنيفة ، ولقى بسببه اضطهاداً مراً .

وكان ذلك كله بالطبع ينال من صحته .

وكان لا بد للأعوام السبعة والسبعين [1] من أن تقوده إلى معركة فاصلة مع الشيخوخة هذه المرة .

ولكن طه حسين ينفى بشدة أنه دخل هذه المعركة ، فذهابه إلى المجمع متوكئاً على زوجته وسكرتيره ، ثم انصرافه بعد خمس دقائق لا يدل على أنه مريض بالمعنى المفهوم ، إنما كانت مجرد انفلوانزا جعلتنى أحتجب بضعة أيام عن مقابلة من كانوا يأتون لزيارتى .

ويبتسم طه حسين ، ثم يضيف : خوفاً عليهم من العدوى !

ومن بين زوار طه حسين الثابتين طبيبان هما سليمان عزمى ، وكامل حسين . ولكنه لا يستقبلهما كمريض ، وإنما على حد قوله :

---

(١) ١٤ فبراير ١٩٦٥ .

— يأتى كامل حسين للزيارة كصديق كل أسبوع ، أما عزمى فلم يعد يستطيع الصعود ، لأن البيت بلا مصعد ، وهو عنده حاجة فى القلب !

أما اللذان يلجأ إليهما فى حالة المرض، فهما الدكتوران أوزوريس ويصا وأصف وناجى المحلاوى ، والدليل عنده على أن صحته كالحديد هو أنهما لا يحرمان عليه أى نوع من الطعام إلا إذا كان غنياً بالحديد . ولا يعانى طه حسين فى الوقت الحاضر إلا قليلا من التعب عند المشى ، أما بعد ذلك ، فكل شىء كما اعتاد الذين يعرفونه : الوجه باسم ، والنكتة لاذعة ؛ والذكاء حاد ، وسرعة الخاطر مذهلة و « الست واخدة بالها » على حد تعبيره .

إلا الطائرة :

— إذن . . فلماذا لن تصاحب وفد المؤتمر الاستثنائى لمجمع الخالدين المسافر إلى بغداد ؟

— لأننى لا أحب الطائرة والسفر بالسيارة فى الطريق الصحراوى متعب .

— ألم تركب الطائرة قط قبل ذلك ؟

— ثلاث مرات فقط ! الأولى بعد جلسات اليونسكو فى بيروت ، عندما علمت أن السفينة تستغرق أسبوعاً فى العودة ، فلم يكن مفر من ركوب الطائرة . والثانية وأنا على رأس اللجنة الثقافية للجامعة العربية فى جدة ، عندما أركبونى طائرة إلى مكة والثالثة عندما كنت فى روما ، ودعيت إلى أن أرأس أول امتحان لمدرسة المعلمين فى تونس ، وفى كل هذه المرات لم تكن الرحلة مريحة ، خاصة عندما تحلق الطائرة فوق الجبال العالية .

ثم يضحك من كل قلبه ، ويضيف :

— على أننى كدت أتعرض لركوب الهواء مرة رابعة ؛ لولا أن الله سلم ! وكان ذلك أيام انعقاد اليونسكو فى أمريكا الجنوبية ، واعتذرت بأن صحتى لا تسمح بركوب

الطائرة . فاستشار المسئولون الدكتور سليمان عزمى ، فإذا به يخذلنى ويقرر أننى أستطيع السفر بكل تأكيد ، وكادت تقع يومها أزمة ، ولكن اعتذارى قبل ، وكفى الله المؤمنين شر الطائرات !

اللغة العالمية :

قلت لعميد الأدب العربى :

— كثير من الناس يفتقدون رأيك فى عدد من القضـايا المطروحة ، فلماذا لا تتكلم ؟

قال :

أية قضايا ؟

قلت : —

مثلا فى مؤتمر بغداد القادم سيلقى الدكتور مراد كامل بحثاً فى اللغة العربية كلغة عالمية، فما رأيك فى هذه القضية ؟

فأجاب بسرعة :

— هذا الموضوع خطير جداً ، وسبق أن ألقيت فيه محاضرة فيما مضى ، ورأيى أن اللغة العربية كانت بالفعل هنا عالمية ، فاللغات العالمية قديماً كانت ثلاث لغات فقط : اليونانية ، واللاتينية ، ثم العربية بعد فتوح الإسلام . وفى العصر الحديث كانت اللغة الفرنسية عالمية قبل الحرب ، ثم تغلبت بعدها الإنجليزية وما تزال ، وفى الأمم المتحدة الآن أربع لغات عالمية : الإنجليزية والفرنسية والألمانية والإسبانية ، ونحن نجاهد لكى نضيف العربية إليها ، ومما يساعد على ذلك أن يلتقى العرب أولا حول قضايا الفصحى، ووسائل نشرها ، وتغلبها على العامية .

جرائم الإخوان :

قلت :

— هناك قضية أخرى يهم الناس رأيك فيها كأستاذ فى الدراسات الإسلامية : قضية الإخوان ، وما كانوا يزمعون القيام به من تخريب .

قال الدكتور طه بانفعال :

— هؤلاء ليسوا دينيين إطلاقاً ، فالدين لا يأمر بالجريمة أبداً . لا يأمر بهدم أو تخريب ولا يأمر بقتل المؤمن ، والله تعالى يقول « ومن قتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها » وليس فى القرآن كله آية تأمر أو تسمح بارتكاب الجرائم . ومن المؤسف أن تسمح أجهزة الإعلام لمثل هؤلاء بأن يتكلموا أمام الملأ ، وبهذا السخف . أما كان يكفى اعترافهم أمام النيابة .

الراديو والتليفزيون :

قلت :

هذه فرصة للانتقال إلى قضية ثالثة : الإذاعة والتليفزيون .

قال :

— أنا لا أسمع فى الإذاعة إلا القرآن المرتل ، وذلك لأن الراديو يتعامل باللغة العامية . وحجة الإذاعيين فى ذلك أنهم يتحدثون إلى جماهير تجهل الفصحى ، والذى أعرفه أنا أن الجماهير المصرية تحب الفصحى وتفرح بالاستماع إليها ، اعتقاداً من كل مستمع أنه لا يقل شأناً عن خاصة المتعلمين . وعندما كنت أتحدث فى الراديو كانت الجماهير تستمع إلى اللغة الفصحى وهى سعيدة .

قلت :

— ولماذا توقفت هذه الأحاديث ؟

فأجاب بلهجة ساخرة :

— أين هم الآن منى ، وأين أنا منهم ؟

كتاب المسرح لا يقرأون :

قلت :

— ماذا فى السينما والمسرح ؟

فأجاب :

— أنا لا أحب السينما . كنت فى الماضى أذهب إليها فى الصيف فى الهواء الطلق .. وأشاهد الأفلام الفرنسية التى كان ممثلوها يمتازون بحسن الإلقاء .

أما المسرح فنى اعتقادى أنه تقدم ولكن اللغة العامية بكل أسف لتسوده وأنا لا أقبل الاستماع إلى الروايات التى تمثل بالعامية . فالمعركة بينها وبين الفصحى على المسرح معركة قديمة . ولى منها موقف معروف وهذا التخلف فى رأيى يعود إلى بعض الشبان الذين يكثرون من العامية بالقدر الذى يهدد اللغة الأم ، كما أن الذين يؤلفون للمسرح الآن لا يتعمقون القراءة ، ولهذا لا يجيدون تقديم الأعمال الفنية سواء فى المسرح أو السينما يخيل لى أن مستوى التعليم فى الجامعات ليس كما ينبغى ؟

لا جدوى من التفرغ :

قلت :

— وقضايا التفرغ ؟

فأجاب :

— أنا لا أؤمن بالتفرغ ، وكنت أول من اعترض على مشروع تفرغ الأدباء فالأدباء تعودوا من قديم على شظف الحياة . ويندر أن تجد أديباً ثرياً . وقد رفضت

قبول رئاسة لجنة التفرغ أيام أن عرضها على الدكتور ثروت عكاشة . وما كان هذا الرفض إلا لإيمانى بعدم جدوى التفرغ للأديب !

قلت :

— ننتقل إلى قضية أخرى ، إلى مايقال من أن مركز الإشعاع الثقافى قد انتقل من القاهرة إلى بيروت .

قال :

— أنا لا أظن أن هناك بلداً آخر يتفوق على القاهرة الآن . وأرجو ألا يكون فى المستقبل وحكاية القاهرة وبيروت هذه حكاية قديمة . فقد سألونى مرة وأنا هناك « أنت تفخر بما يصدر عن بيروت من إنتاج أدبى » .. فأجبتهم بأنى أقول ذلك حتى أنبه المصريين . فأنا أريد للبلاد العربية جميعها أن تتنافس فى تعمق الثقافة .

الحكيم وجوائز الدولة :

قلت :

— هناك جدل كثير حول ما يدور فى مجلس الفنون والآداب . البعض يسأل لماذا لا يلتقى الأعضاء الكبار وأنت على رأسهم فى جلسات التصويت على جوائز الدولة التقديرية ؟ وتوفيق الحكيم ينادى بأن تكون الجائزة واحدة كل عام ، وبغض النظر عن الفرع الذى يعمل فيه صاحبها . وذلك بدلا من الجوائز الثلاث التى يصعب أحياناً إيجاد من تنطبق عليه شروطها .

قال عميد الأدب ، ولكن بعد تفكير طويل :

– إذن كيف قبلها توفيق الحكيم ؟

— لأنه توفيق الحكيم !

— أنا لا أوافق على رأيه ، فمنح الجائزة يتم بعد ترشيح وتقييم وتصويت دقيق، ولكل إنسان الحق فى الجائزة ما دام إنتاجه ينفع الوطن والإنسانية .

— ولكن يقال : إن توصيات المجلس لا تلقى الإستجابة المرجوة .

— لا أظن ذلك ، والمجلس الآن يملك فرصة أكبر للاجتماع والمناقشة بعد أن خفت الأعباء عن الدكتور عبد القادر حاتم بتعيين الوزراء الثلاثة الجدد . أما اللجان فتمارس نشاطها بانتظام..وعلى سبيل المثال لجنة التعاون الثقافى التى تجتمع أسبوعياً هنا فى بيتى .

أنا مع المرأة :

قلت :

— بقيت قضية أخرى : المرأة هل توافق على ضمها مثلا لمجمع اللغة العربية ؟

قال :

— لم لا ، إننى أوافق على قبولها ، وإن كان المجمع الفرنسى ما زال حتى الآن خلواً من السيدات !

وقد كنت أنا أول من عرض على لطفى السيد قبول الطالبة فى الجامعة . وكانت أول كلية قبلتها هى كلية الآداب . وقبلت مجاناً لتشجيع زميلاتها . وأذكر أن لطفى السيد سألنى أيامها : هل قانون الجامعة يمنع دخول البنات ؟

فأجبته :

القانون يقول إن الجامعة للمصريين ؛ ولم يحدد النوع !

ويعود الدكتور إلى ذكريات أبعد، فيتحدث عن لقاء المرأة بالرجل فى الصالونات الأدبية بفرنسا ، وقد عرف هو شخصياً آخر هذه الصالونات ، وكان يتردد عليه أناتول فرانس ، واضعاً فى قبعته باقة من البنفسج يقدمها لسيدة البيت مع قصة لا تتغير أبداً ،وهى أنه كان ماراً بالصدفة بمحل الزهور ، فأعجبته الباقة واشتراها لها ـ

نبض العقل لا يشيخ :

ولـكن .. ماذا يفعل طه حسين الآن ؟

آخر أنبائه أن عدداً من العلمـاء الإيطاليين أصدروا كتاباً عنه . كتب فيه كل واحد منهم بحثاً أو مقالا .

ويقول طه حسين :

— إننى أشـكر لهم ، وقد كنت مدعواً لزيارة صقلية ، لأتسـلم منهم نسخة كتاب « الأيام » بعد ترجمتها . فلما اعتذرت اتصل بى أستاذ منهم وقال : إنه سيزور القاهرة فى نوفمبر ، ومعه فصل من « الأيام » هذا الـكتاب المؤلف عنى .

ثم يضيف قائلا :

— إننى لا أعرف من هؤلاء العلماء إلا عدداً قليلا . منهم جابريللى الأستاذ فى جامعة روما ، وآنستان أديبتان فى جامعة نابولى ، وثالثة هى ابنة المستشرق الإيطالى نالينو .

— والنبأ الثانى أن إعداد كتابه « الأيام » للسينما يوشك أن يتم .

ولـكن طه حسين لا يعلق على ذلك بأكثر من قوله : أنا لا أعرف شيئاً عن هذا الفيلم ، كل ما أعرفه أن وزارة الثقافة حصلت على عقـد لإخراج الأيام . إنه كلام ! والعجيب أن رجلا ظل يتصل بى ثلاثة أسـابيع من أجل أن أوافق على أن يقوم ولده الصغير بتمثيلى فى الصغر فى الفيلم المزعوم .

— أما النبأ الثالث ، فهو على لسان الدكتور نفسه . وهو أنه يعد الآن الجزء الثالث من الأيام ، والجزء الثالث من الفتنة الـكبرى .

ويقضى طه حسـين يومه كله تقريباً فى القراءة . فهو ينام نوما عميقا حوالى ثمانى ساعات .

ثم يقرأ ست ساعات مع سكرتيره فريد شحاتة ، ومن الثالثة إلى الخامسة مع قارئة بالفرنسية . ومن العشاء إلى الحادية عشرة مع السيدة زوجته ، على أنه قد يسهر إلى ما بعد هذه الساعة ، وبما يؤكد أن حكاية معركته مع الشيخوخة خرافة .

ولماذا يشيخ هو وحده ؟ لقد عاش لطفى السيد إلى ما بعد التسعين ، وإلى ما بعد التسعين أيضاً كان برنارد شو يكتب . وفرانسوا مورياك ظل يسخر من الشيخوخة حتى الثمانين ، والشيخ حسن مأمون ما زال يركب الطائرة وهو أكبر من طه حسين بست سنوات . وأحمد حسن الزيات يقف على أبواب الثمانين ولكنه يصعد سلالم المجمع بخفة شاب فى الثلاثين . ثم إن الفكر لا يشيخ ، وعقل طه حسين ما زال ينبض كما ينبض قلوب الشباب !

عاتكه الخزرجي



شاعرة لها جولات مع ابن الأحنف !

رأيتها للمرة الأولى فى مؤتمر الأدباء الثالث فى القاهرة ، وكانت يومها تصاحب زميلتها الشاعرة العراقية نازك الملائكة . . وبطلعتها وأناقتها وعينيها الذكيتين كانت تخطف انتباه شعراء مصر وأدبائها ، ومحط أنظار المدعوين جميعاً إلى حفل العشاء الذى أقيم فى القاعة الذهبية بقصر النيل .

ثم رأيتها للمرة الثانية فى فندق سميراميس ، ودار بيننا حديث طويل تكشفت لى من خلاله أصالتها ، وعمق أشعارها .

اسمها : عاتكة الخزرجى .

وظيفتها : أستاذة للأدب العربى بدار المعلمين العالية ببغداد .

مؤهلاتها : دكتوراة الدولة من السوربون .

هوايتها المفضلة : قرض الشعر .

وقبل شهر قدمت إلى مصر من جديد[1] بعد أن تطهر العراق الشقيق من رواسب حكم البعثيين وتحطمت الحواجز بفضل حكومة الزعيم البطل عبد السلام عارف قائد ثورة التحرير فى العراق .

وفى القاهرة بدأت عاتكة تظهر فى الندوات الأدبية ، وفى حفل تأبين العقاد كانت تجلس إلى جوار الدكتورة سهير القلماوى .

ومن خلال قراءاتى الأخيرة لها وحديثى معها سأقدمها إليك لتدرك إلى أى حد برعت فى الشعر وإلى أى حد تعتبر نموذجاً ناجحاً للمرأة العربية التى نهضت وتقدمت فى عهد الثورات العربية التحررية .

---

(١) أغسطس سنة ١٩٦٤

أنفـاس السحر :

وفى رأيها أن القاهرة بلد عظيم ونيلها وكل ما فيها يثير النفس الشاعرة ويبعث على الإعجاب ومن وجهة نظر الصحف الأدبيـة فى العراق تعتبر عاتـكة مورداً لهذه الصحف لا ينضب . فعنها ، وعن مؤلفاتها تـكتب صحف العراق الأدبية باستمرار وفى الشعر ألفت عاتـكة حتى الآن أربعة دواوين ، ولها قصة ورسائل تحليلية انتقادية عن أدب « مى » ومن أشهر أعمالها ديوان العباس بن الأحنف ، وهو ديوان حققته تحقيقاً علمياً وكان إحدى الرسالتين اللتين حصلت بهما على درجة دكتوزاه الدولة فى الآداب من السربون .

ومن أشهر دواوينها « أنفاس السحر » تعالج فيه شتى خواطرها النفسية ، والمشكلات الاجتماعية ، والأحـداث التى يمر بها العرب ، ولها مسرحية شعرية اسمها « مجنون ليلى » تقع فى خمسة فصول ، وقد كتبت على نحو آخر من مسرحية أحمد شوقى المعروفة ، ثم قصص لم تنشر بعد . وأخيراً رسالة تحليلية انتقادية عن أدب الآنسة « مى » زيادة الأديبة اللبنانية التى سجل اسمها فى صحفات الأدب بحروف من النور .

ومن الحديث إلىشاعرة العراق عاتـكة الخزرجى أعرف أنها من المعجبات بمى ، وأنها حصلت على ليسانس دار المعلمين العليا فى بغداد بدرجة الشرف عن رسالتها التى كتبتها عن « مى » إنها تقول عنها :

« هذه الآنسة عاشت مع المتصوفة . إنها كانت امرأة فوق المستوى ، وتفضـل الـكثيرات من النساء لأنها اشتهرت بالعفة وعاشت راهبة فى محرابها »

وعند ما تسألها عن حب مى لجبران تقول لك فى ابتسامة ساحرة :

— شأنها شأن أى زهرة لا يضرها إعجاب الناس من حولها . الزهرة الجميلة تنفح عطرها على الناس فينشقونها ، ومى كانت تنفح أدبها وأدب قلبها .

مع المتصوفة :

وعند ما يدور الحديث حول مأساة مى فى نهاية أيامها ، وهل تنكرت لأنوثتها حقيقة كما تردد على ألسنة بعض الأدباء تسمع عاتكة تقول :

— على كل حال أنا لست طبيبة نفسانية لكى أجزم أنها تنكرت لأنوثتها . إلا أنه يخيل إلى أن هناك أموراً عدة تألفت فدفعت بمى إلى هذا المصير ، ومنها رقة جسمها وشعورها بوحدتها بعد فقدها أبويها ، وتنكر وريثها لها ، وهو ابن عمها ، طمعاً فى مالها فكان أن حقنها بمصل مخدر سواد ليلة من الليالى فأصبحت بياضها بين مستشفى يعج بسقط المجانين ، على نحو ما يرويه الأستاذ أحمد حسن الزيات .

وتعرف من أحاديث عاتكة . . أن كل أدباء مصر حبيب إلى قلبها ، وأنها لا تستطيع أن تفاضل بين واحد وآخر .

* ومن خلال أشعارها تكتشف أنها عالجت كافة ألوان الشعر ،

* وأن من أشعارها التى ترجمت إلى الإنجليزية هذه الأبيات :

قفى أنشدينى من لحونك ما يصبى	فأنت ابنة الآلام والشعر والحب
قفى أسعدى قلباً برته يد الأسى	ومثلك من يأسو الجراحات فى القلب
حنانيك يا ورقاء كفى عن البكا	وغنى لحون البشر فى غصنك الرطب
حنانيك ما يشجيك إذ أنت حرة	تطير بك الأنسام فى العالم الرحب
وليت جناحاً لى فأهجر بقعة	فشا اللؤم فيها فى الأقارب والصحب
أخوض عباب الجو تحدونى الصبا	فأهجر هذا الشرق كرهاً إلى الغرب
وأصعب ما يلقى الفؤاد إذا قضت	صروف الهوى سلوان حب إلى حب
وكيف بقلب قد تملكه الهوى	فأضحى وما يصغى للوم . ولا عتب

وعندما نتابع نشاط عاتكة فى شعر التصوف نلمح أبياتاً تمتاز برقة ونبض إنسانى جميل ، كما فى قولها :

يا هاجرى فديتكم إن تنصفوا ... هذا الفقير أتاكمو مسترحماً
الناس كلهمو وراء نداكمو ... وببابكم حران يقتله الظما
يا هاجرى أما كفتكم لوعتى ... ونفاد صبرى بعد بينكمو « أما »
أنى التفت أراكم وأحسكم ... يا ويلتاه ضلالة وتوهما

وحول القاهرة والواقع الذى تمثله بين عواصم الدول العربية ، وعن أهم ما يثير مشاعرها نحوها نسمع مديحاً على لسانها متصلا ، وحناناً إليها لا يطفئه تكرار زيارتها لها ، ثم تتغنى بهذين البيتين :

يا مصر حييتك روحى وهى ظامئة ... لأن تعيش بقرب النيل أياما
أهواك مصر . . وما كانت تحولنى ... بغداد عنك . . ولا والله من لاما

إن عاتكة الخزرجى شاعرة نموذجية . .

فهى نموذج للشاعرة العربية المثقفة ، تلتزم بالوزن والقافية ، وتتمنى أن تبقى اللغة الأم من أقوى الروابط التى تحقق الوحدة بين الشعوب الناطقة بها .

عباس العقاد



جامعة بلا رسوم !

الزمان يوم الجمعة ٢٨ يونيه من عام ١٩٦٣ ، يوم استقبل العقاد عامه الخامس والسبعين .

المكان الشقة ذات الحجرات الأربع التي استأجرها قبل أكثر من خمسة وثلاثين عاما ، بمنزل قديم ، بشارع السلطان سليم الأول بمصر الجديدة .

كل شيء في صباح ذلك اليوم يعلن عن الفرح والبهجة ، الهدايا وصناديق الحلوى[1] ، باقات الزهر التي حملها رواد ندواته وتلاميذه تزحم الصالة ، الشقة المواجهة لشقته والتي يستأجرها ليسكنها أبناء أخيه وأخته قد فتحت لاستقبال الضيوف ، بعد أن ضاقت بهم شقته حرارة . . الجو والحب تشتد في الحجرة التي يجلس فيها العقاد ، إنها نفس الحجرة التي تشهد ندوته كل أسبوع ، والتلاميذ الكبار والصغار كثيرون جداً في ذلك اليوم ، من مختلف الثقافات والأعمار . . كان منتهى أمل كل زائر جديد أن يصل إلى الكنبة القديمة التي يجلس عليها العقاد ليشد على يده مهنئاً . . ويقول له:

— كل سنة وانت طيب .

العقاد يحرص على استقبال ضيوفه — كعادته — واقفاً . . قامته المهيبة كانت تظهر في الزحام كل دقيقتين للواقفين بعيداً . . التورتة الضخمة يحيط بها عدد من تلاميذه القدماء والشموع التي ترمز إلى سنوات عمره تشعلها جاذبية صدقي وشريفة فتحي ، الخطباء يتبادلون إلقاء الكلمات المناسبة ، العقاد يغمض عينيه عند ما يسمع كلمات المديح والإطراء ، إنه يهنيء كل شاعر وخطيب بعد أن يفرغ من إلقاء كلمته ،

---

(١) العقاد كان يعيش على المسلوق ، إنه لم يتناول الأطعمة المطهوة بالمسلى ، كان يكلف طباخه النوبي بإعداد الأطعمة أمامه ثم بإضافة قليل من الزبد عليها بعد رفعه عن النار ، وكان لا يحب تناول الحلوى .

يداعب بهدوء من يخطىء فى الإلقاء أو فى وزن الشعر ، لا كما تعود فى مناسبات أخرى ، حينما كان يلعن المخطئين فى النحو .

ها هم أولاء الشعراء . . أحمد رامى يشق طريقه إليه بصعوبة ، ومن بعده كامل الشناوى وطاهر الجبلاوى والعوضى الوكيل ، وعبد الرحمن صدقى لا يستطيع أن ينفذ بقامته الطويلة وسط الزحام . إنه يكتفى بالتطلع إلى أستاذه قليلا ثم يذهب إلى حجرة مكتبه ، على أدهم يجلس فى ركن مزدحم جداً ، ومن حوله عدد من النقاد المحدثين والقدامى .. محمد خليفة التونسى ، جلال العشرى ، نظمى لوقا وصوفى عبدالله ، وغيرهم ، الشاعر المخضرم طاهر الجبلاوى يفتتح الحفل بقصيدة وبعده تشدو الشاعرات والأديبات بقصائد تخفف من حرارة الجو .

وأخيراً جاء دور الفن ، والذى سمعناه فى هذه المناسبة بعث التصفيق ، وأخرج الشيوخ عن وقارهم .

لقد بدأت الضحكات ترن ويتردد صداها وينتشر خارج الشبابيك والبلكونات التى ضاقت هى الأخرى بمن فيها . إن الجيران بدأوا يشاركون فى الفرح ، كان صوت دكتور شديد ونكاته مع منصور التى تتردد فى الحجرة تجعل العقاد يضحك كفتى فى العشرين .

ويرتفع صوت مغنية شابة بأعذب الأنغام ، إنها إحدى التلميذات جاءت من بعيد لتقدم أفضل ما عندها .

« والتورته » الموضوعة أمام العقاد ثروة . ولا بد من تقسيمها مع التورتات الأخرى على مئات التلاميذ ، ويحين الموعد ، وتمتد الأيدى والأفواه ، وصاحب التورته سعيد بالتهام تلاميذه لأنصبتهم . . قبل اليوم كانوا يلتهمون العلم والمعرفة من شفتيه ، واليوم يلتهمون الحلوى ، وعلى فكرة التورته الكبيرة وغيرها اشتراها التلاميذ بفلوسهم .

وبعد انتهاء الحفل يقف العقاد فى غرفته ليودع الضيوف ومن حوله تلاميذه القدامى أو الأحياء من حديقة الحيوان القديمة وابتسامته الحلوة لا تفارق شفتيه ، بعد خمس ساعات سعيدة قضاها مع أنصاره وحوارييه ومهنئيه . إنه يتعب بسرعة ولكن التعب لم يعرف طريقه إليه فى هذا الوقت . إنه يحاسب نفسه على كل دقيقة ينفقها فى الأربع والعشرين ساعة ، ولكنه اليوم ينفق وقتاً طويلا من أجل عيد ميلاده الخامس والسبعين . وقد حان الوقت ليعود إلى صومعته . . إلى مكتبته التى تضم آلاف الكتب فى الفلك والطب وسائر أنواع العلم ، فى الاقتصاد ، فى الصواريخ إلى جانب الشعر والأدب والمسرح .

وسأتيح لك الفرصة لتسمع ما يقوله عنه تلاميذه الكبار . وبالمناسبة كان هؤلاء التلاميذ يلتقون به مرة كل أسبوع فى حديقة الحيوانات بالجيزة وكان يطلق على كل منهم اسم حيوان بعينه ، يشبهه ويحاكيه فى حركاته وسكناته مثل الفهد . على أدهم البطريق ، عبد الرحمن صدقى . . أما هم فقد أطلقوا عليه اسم الزرافة .

ومن الحديقة انتقل التلاميذ وأستاذهم إلى مقهى « صولت » القديم . وأخيراً بعد أن جاوزوا السن التى لا يستطيعون فيها السهر طويلا كانوا يجتمعون فى ندوته بمسكنه بمصر الجديدة . وفى الندوة تخرج عدد كبير من الفلاسفة والأدباء والشعراء ، وفيها دارت ألوان الجدل العنيف والرقيق ، وأسأل تلميذه القديم عبد الرحمن صدقى:

— وماذا حفظت عن أستاذك ؟

وبعد قهقهة شابة انبرى يقول :

— لقد لازمت العقاد قبل أكثر من نصف قرن فكان عهدى به خير رفيق للنزهة ، كان على كثرة نزهاته لا يمل النظر إلى وجه الطبيعة ، وتنشق أنفاسها ومسايرة جداولها المترقرقة ، والتعلق بسحبها السارية ، وكان فى حضرة الطبيعة يصمت حتى يستحب الصمت ، ويسمر حين يحلو السمر . وعنه أخذت حب الموسيقى ،

ولن يغيب عن بالى ذكر عشياتنا للملاهى نسمع أغانى موسيقار الشرق سيد درويش ونطرب لا طرب الأذن وحدها ، بل طرب النفس المحسة المدركة الملحن الوحيد الذى نهج بالغناء نهجه الطبيعى فجعله أداء لمعنى وإبرازاً لعاطفة لا وشياً من النغم وزخرفة موسيقية أشبه فى التصوير بالزخارف العربية .

إن الدكتور زكى نجيب محمود الأستاذ بجامعة القاهرة عبر عن أحاسيسه نحو إنتاج أستاذه العقاد بقوله :

— هل أحسست انبثاقة كتغريد العصفور ينطلق منسابة فى غـير ضابط أو أحسست جهداً ومعالجة كجهد المثال وهو ينحت الصخر بأزميله ، وكجهد البناء وهو يقيم بناءه الشامخ حـجراً على حجر ، وعموداً إلى جانب عمود ؟

إن العقاد يستطيع أن يتناول من الصور أسهلها تناولا وأيسرها تشكيلا ، ويلهو بهـا لهو الصبيان برمال الشاطىء ، يبنونها فى سهولة ويهدمونها فى سهولة ، وكان يستطيع كما يفعل سـواه « من أمراء الشعر » أن يصوغ الخيال على الصورة التى تتفق مع حسن النغم ، فسواء لديه أخذ فـكرة معينة أو أخذ نقيضها ما دامت الفـكرة المأخوذة تحقق له البهرج ودقات الطبول .

لـكن العقاد يرغم المـادة إرغاماً حتى تستوى له على النحو الذى يريده هو لها ، كما يرغم المثال قطعة الجرانيت على التشكل بالصورة التى يبغيها لها فهى تطاوعه وأما هو فلا يطاوعها إلا بالمقدار الذى يبرز طبيعتها وصلابتها ... »

إن أصغر تلاميذ العقاد القدامى هو خليفة التونسى ، لقد دخل محرابه قبل ثلاثين عاماً ، ثم خرج يقول :

— إننى ما رأيت العقاد يحاول وضع حجاب بينه وبين واحد ، ولا يبذل أدنى فـكر أو جهد لـكسب صديق ، وإن كان يوالى كل من يواليـه ، ويفى له بعهده

ولو جرح قلبه ، كما أنه لا يبذل أدنى فكر أو جهد للبغى على أحد إلا من يسرف فى البغى عليه أو على حق يقدسه فيضطره تقديسه للحق وإحساسه التبعة وما انطبع عليه من نخوة وغيرة وشجاعة فى الحق إلى صد الباغى عند حدود هذا الحق ، لا يجاوزها وليكن بعد ذلك ما يكون .

والحق أن تلاميذ العقاد ينظرون إليه عاشقين صديقين ، ونظرتهم إليه ندية بالصوفية أو مشعشعة بالدروشة ، فهو القطب وهم الدراويش أو هم المريدون وهو المرشد وهم وراءه فى طريقه السالكون ، ومنهم من ينظر إليه نظر الطائفة إلى معلمها الذى « رشحه القدر لهم » لم يجدوا بعد طول التجربة والتأمل أفضل من هذا الاختيار .

وسعدنا ، جميع تلاميذه ، بيوم ميلاده ، وكانت سعادتى أكثر وأنا أقول له :

— وبماذا تنصح وأنت على أبواب الخامسة والسبعين ؟

فقال :

— كن محباً لعملك راغباً فيه قبل حبك الشهرة أو الكسب ، وكن على ثقة أنك ستفلح فى هذا العمل وستأتى إليك الشهرة والكسب الذى يحسب بحساب الأدب كما يحسب بحساب المادة والمال .



بدرية بطلة القصة المثيرة !

ضحية حبه :

خبر مثير نشر فى بعض الصحف وكان ذلك بعد وفاة العقاد بيوم واحد[1] ، وكان الخبر موجزاً يدور حول انتحار « فتاة » كان العقاد قد تبناها .

وبعد أيام نشرت صحيفة أخرى — فى صفحتها الأولى — أن السيدة فوزية مصطفى القدسى تقدمت ببلاغ إلى نيابة مصر الجديدة تطلب فيه الحجز على تركة العقاد وفاء لدين قدره ألفان وخمسمائة وأربعون جنيها ، كما تطلب الحجز على بيته فى أسوان بحجة أنه تزوج من أمها بعقد عرفى منذ خمسين عاما ، وأن الفتاة التى انتحرت حزنا عليه يوم وفاته هى ابنته .. وأنها كانت تقيم بمنزله بمصر الجديدة فى فترات من العام ثم تصحبه فى مصيفه بالاسكندرية .

وقد تساءل الناس أيامها :

— هل حان موعد الكشف عن أسراره الخاصة ؟

— هل حقيقة أنه كان متزوجا زواجا عرفيا ؟ وهل أنجب ابنة غير شرعية ؟ ولكل عظيم هفوة كما يقول المثل ، وما هو سر بدرية طالبة الثانوى التى انتحرت حزنا عليه يوم وفاته ؟ هل ترك أكثر من وصية كما نشر فى بعض الصحف ؟

لقد عشت ثلاثة أشهر كاملة بعد وفاة العقاد أبحث عن حقيقة السر الذى يختفى وراء انتحار تلميذة الثانوية « بدرية محمد رشاد المراسى » ، وهذا هو اسمها بالكامل وعن حقيقة زواج العقاد ، والشائعات التى ترددت فى الصحف . بحثت فى القاهرة وفى الاسكندرية ، وفى أسوان وفى كل مكان ظننت أن فيه معلومات تكشف الستار عن الحقيقة وراء كل ذلك . رجعت إلى أقارب العقاد وأقرب تلاميذه إلى قلبه .. أوأحفظهم لأسراره .. إلى ما كتبه فى الماضى والحاضر ... إلى زملائه الذين عاصروه فى أيام فقره وثرائه .. تابعته فى الأماكن التى سكن فيها قبل أن يقيم فى مصر الجديدة سنة ١٩٢٦ .

---

(١) ١٤ مارس ١٩٦٤

ثم التقيت فى منزل خليفة التونسى بأهل بدرية ، بوالدها وإخوتها .. ومنهم ومن كل الذين التقيت بهم أستطيع أن أقدم إليك الحقيقة إنصافا لتاريخ عملاق الأدب وراهب الفكر ، وإبراء لسمعته وقبل أن أمضى بك إلى بعيد أؤكد لك :

* أن العقاد تبنى التلميذة بدرية فعلا ، وهى فى الشهر الثامن من عمرها ، وأنها كانت تناديه باسم « بابا » وكان يسعده أن يسمع هذا النداء .

* أنه كان لا يبخل عليها بأى طلب مهما غلا ثمنه .

* أن علاقة صداقة وطيدة كانت تربطه بأسرتها منذ زمن بعيد .

إن أغرب ما فى القصة أن أحداً من أسرة العقاد كان لا يعرف السر ولا يستطيع أن يقترب منه ليسأله عمن تكون بدرية أو « فريال » كما كان يحب أن يناديها ، ولماذا تتردد عليه وتخرج حاملة الهدايا وعلب الأطعمة الجافة .

إن البحث يدور الآن عن الوصايا التى تركها . .وهل ورد اسمها فيها حقيقة أم لا ؟

إن اثنين من أقرب تلاميذه هما اللذان كانا يعرفان السر فى تبنى العقاد لبدرية ، ولكنهما كانا يؤثران الصمت . . لماذا ؟

والآن سأكشف لك الستار عن أغرب قصة إنسانية فى حياة العقاد .. قصة تدل على أنه كان لا ينسى صاحب فضل عليه .. تدل على تقديره للجميل .

الزمان سنة ١٩١٥

المكان مدرسة النيل الإعدادية الثانوية بشارع طورسينا بالظاهر .

والأستاذ عباس محمود العقاد معلم الترجمة واللغة العربية فى المدرسة فى نحو السادسة والعشرين . ومرتبه ثلاثة جنيهات ، رقبته ملفوفة باستمرار بالكوفية لخوفه من مضاعفات مرض الحنجرة ، ولنستمع إلى قول زميله الأديب الكبير محمد فريد أبو حديد الذى كان يعمل فى نفس المدرسة مدرساً للتاريخ :

— إن العقاد كان من هؤلاء الذين تحسبهم أغنياء من التعفف وهم فى حقيقة أمرهم فقراء كان هو والمازنى لا يفترقان أبداً ، وكنا فى عز الشباب منصرفين تماماً

إلى الأدب والتحصيل ، وكان ديوانه الأول قد صدر فى وقت كانت صحته فيه محتاجة إلى العناية . . . ومع فقره فى تلك الأيام كان لا يمد يده لأى إنسان ، ولكن وجهه كان يعكس حالة القلق الهائلة التى كان يعانيها بسبب الفقر وعقدة الشهادة التى كان يعانى منها ! ولهذا لم يمكث معنا أكثر من عامين على ما أذكر .

وأين كان يسكن فى ذلك الوقت ؟

إن الإجابة اختفت على لسان فريد أبو حديد ولكنها لم تختف من كتاب عبقرية محمد للعقاد حيث كتب فى مقدمة الطبعة الأولى الصادرة فى سنة ١٩٤٢ يقول : « كنت أقيم يومئذ فى ضاحية العباسية البحرية على مقربة من الساحة التى كانت معدة للاحتفال بالمولد النبوى فى كل عام . »

ولماذا السؤال عن المسكن ؟

لأنه مفتاح السر . . بداية القصة الحقيقية . . كان العقاد أيامها يقيم فى حجرة فى بيت متواضع ، قريباً من تاجر شامى ثرى فى نفس الحى اسمه محمد مصطفى القدسى .

ويؤكد تاريخ العقاد أنه كان صديقاً لمصطفى القدسى . . وأنهما كانا يتزاوران ويتبادلان المناقشات الأدبية حيث كان القدسى من أشد المعجبين بالعقاد وأدبه . . وظلت العلاقة قائمة بينهما إذ أصبح القدسى مالكا لشركة سيارات لنقل الركاب بالقاهرة . . ويؤكد ذلك أيضاً والد الطالبة بدرية محمد رشاد صالح المراسى الذى كان فى ذلك الحين مقاولا للعمارات وزخرفة المساجد ، وهو من أسرة المراسى المعروفة بيسيون بالغربية .

يقول المراسى :

كان القدسى صديقاً حميماً للعقاد . وكان من أغنى تجار العباسية ، ومتزوجا من سيدة من أسرة مصرية غنية معروفة بالشرقية واسمها « مريم أحمد أبو النجا » وأن العقاد وجد فى صفات هذه الأسرة وعطفها عليه ما خفف عنه مرارة الفقر والاغتراب ، وكان إذا أشتد عليه المرض رأى فيها خير معين له . وأنا كنت من كثرة زيارته لأسرة القدسى أعتقد أنهم أقارب .

وتستكمل الحديث فوزية مصطفى القدسى وهى زوجة لتاجر ثرى وأم لطفلة وطفل ، وأخت بدرية من أمها قائلة :

— بابا تركنى وأنا طفلة عمرى أربع سنين وكان عندى ٣ أخوات بنات وولد ، مات الولد ، والبنت وبقيت أنا وأخت ثانية أكبر منى ، وأنا عرفت أنه كان قبل وفاته يمتلك عــدداً من السيارات وكان يحب الأدب والأدباء ويتزاور مع الأستاذ العقاد .

وتسكت فوزية على أثر نوبة بكاء حارة عندما تتذكر أختها المنتحرة بسبب العقاد ليستأنف والد بدرية الحديث من جديد ومن الحديث معه أعرف :

* أن المراسى تزوج من أم فوزية سنة ١٩٣٣ بعد أن توفى القدسى ٠٠ وأنها ظلت تعيش معه إلى أن توفيت — هى الأخرى — فى سنة ١٩٤٥ على أثر انفجار فى الزائدة الدودية .

* وأنها خلال تلك المدة أنجبت منه ولدين وبنتين «محمد ومحمود، ثم محاسن وبدرية» .

وعندما أسأله عن علاقته هو الآخر بالعقاد ، أعرف أنها بدأت منذ سنة ١٩٢٥، عندما كان يتردد على بيت القدسى ولـكن لم يلتق به وجهاً لوجه ، « ولـكن العقاد لم يزرنى فى بيتى إلا بعد زواجى وكنت فرحا جداً بزيارته ، وظل يتردد علينا حتى توفيت أم بدرية . والله يرحمه ويحسن إليه كان يحل مشاكلنا ، وكان يصالحنا عندما نختلف » .

ومن الحديث مع فوزية ابنــة القدسى ٠٠ أعرف أنها ظلت تعيش مع أمها فى بيت المراسى وبعد وفاة والدها إلى أن تزوجت .

وأن أمها توفيت وعمر بدرية — أختها من المراسى — ثمانية أشهر وكان ذلك فى سنه ١٩٤٦ .

أما محمــد طاهر الجبــلاوى العضــو بلجنة الشــعر بمجلس الآداب

والفنون والذى رافق العقاد أكثر من أربعين عاماً ، وأصبح من أحفظ الناس على أسراره ، والذى ألف كتاباً بعنوان « فى صحبة العقاد » .. فقدروى لى حقائق مثيرة تنشر الآن للمرة الأولى :

قال الجبلاوى :

— أنا عشت مع العقاد أكثر من أربعين عاما .. كنت أعرف كل أسراره وعلى حسب معلوماتى الشخصية ، وما كان يصارحنى به أستطيع أن أقول : إنه كان يريد أن يرد الجميل عندما تبنى بدرية المراسى وأن هـــذا سر قل من يعرفه حتى ولا إخوته . أنا أذكر جيداً أن العقاد طوال سنة ١٩٣٥ كان فى ضائقة مالية شديدة بعد أن خرج الوفد من الحكم سنة ١٩٣٨ ، وتوالت على البلاد حكومات الأقلية ، كحكومة محمد محمود ، التى كان يهاجمها العقاد ، ولما أعلن محمد محمود أنه سيحكم البلد بيد من حديد كتب العقاد مقالاته تحت عنوان « يد من حديد فى ذراع من جريد » ونحو ذلك من العناوين التى كانت تثير حكام ذلك الوقت ، واستمرت حكومة صدقى فى الحكم ثلاث سنوات .

ولما جاءت بعدها وزارة عبد الفتاح يحيى استمر العقاد فى هجومه ، وكانت الحكومات تغلق كل صحيفه يكتب فيها مهاجماً إلى أن تولت الحكم وزارة توفيق نسيم توطئة لعودة الوفد ، وقد أعلن توفيق نسيم أن وزارته قنطرة ، ثم لمح العقاد أن وزارة نسيم تريد البقاء وتعمل على تثبيت أقدامها فهاجمها العقاد ، ويومها أعلن الوفد فصله [1] ، وقطع مرتبه ، وكان يبلغ ثلاثين جنيها ، فوقع العقاد فى ضائقة

---

(١) عندما قدم للمحاكمة بتهمة العيب فى الذات الملكية ارتجل هذه الأبيات وهو ينتظر الحكم :

إنا نريد –إذا ماالظلم حاق بنا –   عدل الأناسى ، لا عدل الموازين
عدل الموازين ظلم حين ننصبها   على المساواة بين الحر والدون
ما فرقت كفة الميزان أو عدلت   بين الحلىّ وأحجار الطواحين

مالية شديدة ، لعدم وجود صحيفة يكتب فيها من ناحية ولانقطاع مرتبه من ناحية أخرى ، كما حرضت الحكومة الناشرين على ألا ينشروا له أى كتاب حتى أن كتابه « سعد زغلول » عندما انتهى من تأليفه لم يجد ناشراً واحداً يقبله .

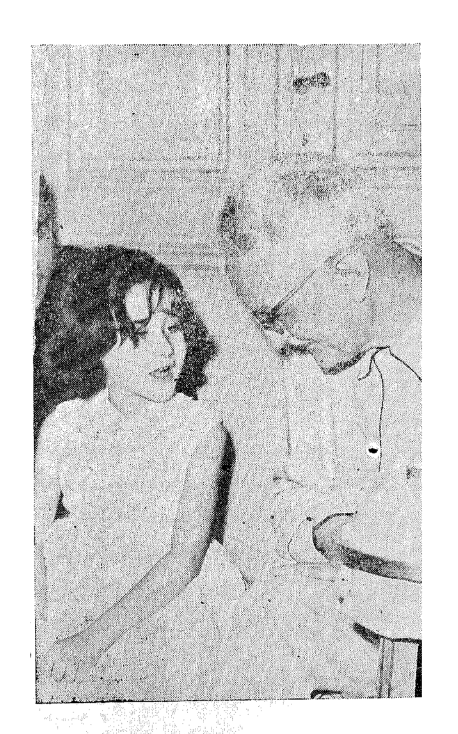
والذى أعلمه علم اليقين من صديق العقاد رحمه الله أن هذه السيدة الفاضلة عرضت عليه فى هذا الظرف الضيق الذى مر به مبلغ ستمائة جنيه ورفضها ولكنه ظل يحمل لهذه السيدة فضلها فى كل مناسبة لا سيما أن الكثيرين من الرجال الذين عرفوه وساهم معهم فى الجهاد الوطنى لم يظهروا مثل هذه المروءة النادرة .

ويقول بعض أقارب العقاد :

إنه يعرف أن السيدة مريم أم بدرية عرضت مصاغها على العقاد ، وأنه اتفق مع الجواهرجى على رهن المصوغات لا على بيعها مقابل ٤٠٠ جنيه وحرر معه اتفاقا على أن يرد له هذه القيمة فى مدى عام واحد . وقبل الجواهرجى ، وبعد ذلك بعام كان العقاد قد طبع كتابه «سعد زغلول » على نفقته الخاصة من هذا المبلغ وأعلن فى الصحف أنه سيبيعه بالكوبونات . وعلم المرحوم طلعت حرب بما يعانيه العقاد من بيع الكتاب فأمر بشراء نسخه وتسليمها لمطبعة مصر ، وسلم العقاد ثمن ستة آلاف نسخة بشيك وفتح له اعتماداً سريا بنحو ٥٠٠ ج لم يصرف منها العقاد فى حياته إلا مرتين ، ولقد ظل هذا الاعتماد مفتوحاً إلى يوم وفاته . وفى ذلك الوقت ، وبعد أن تيسرت أحواله ذهب إلى الصائغ ودفع قيمة رهن المصوغات واشترى يومها أسورتين ذهبيتين قدمها مع المصوغات إلى أم بدرية رداً للجميل .

ومن هنا توطدت العلاقات أكثر مع أسرة المرحوم القدسى . . أكثر مما كانت عليه فى حياته .

وعندما أرجع إلى محمد رشاد المراسى لأسأله عما حدث عقب وفاة زوجته السيدة مريم ، أسمعه يقول والدموع حائرة فى عينيه :



العقاد قلب كبير

أيامها جاء الأستاذ العقاد يعزينى ولما اكتشف أن الزمن قد غير من حالنا ، وأننا فى ضائقة مالية ، ورأى كثرة العيال ، سمعته ينادينى وهو خارج من البيت ويقول :

— يا سيد رشاد أى خدمة تحتاجها ، بيتى اعتبره بيتك ، وطفلتك الصغيرة اللى تركتها المرحومة زوجتك أعتبر كأنها بنتى ، وأنا سأنفق عليها وأتكفل بمصاريفها وتعليمها .

دعوت له بطول العمر وقلت له : ربنا يخليك لنا .

وتعود فوزية القدسى إلى الحديث فتقول :

— كان هو أبونا كلنا . . بعد ما ضاقت علينا الحالة ، ولما عرفت أنه تبنى أختى أنا فرحت وهو قال لى :

— أعتبرى أن أختك بدرية كأنها بنتى وربيها عندك وأنا متكفل بكل ما يلزمها من مصاريف لغاية ما يتم تعليمها ، وبقى ينفق عليها وهى عندى فى بيتى وأنا ربيتها لغاية ما بقيت فى سنة ثالثة ثانوى .

وكانت بدرية تتردد على الأستاذ العقاد ، وهو يحضر لها كل طلباتها ، ويعطيني مصاريفها ، وكان أى طلب يحققه لها فوراً ، وكانت تناديه «يابابا» ويفرح هو بذلك كثيراً ، وكان يرسل لها الهدايا من أسوان والاسكندرية عندما يكون بعيداً عن القاهرة ، وكان يأخذها معه أحياناً إلى الإسكندرية ويراجع معها بعض دروسها ، ويشرحها لها . وكانت معجبة بقصائده المقررة عليها فى كتب المدرسة الثانوية ، وإذا مرضت عرضها على أكبر الأطباء ولا يبخل عليها بأى مساعدة ومن الحاجات التى اشتراها لها والتى ما تزال باقية عندى ، ريكوردر ، وبعض الحلى وثلاجة ، وبوتاجاز ، وبعض الأثاث المنزلى مثل مكتبها ، بخلاف أحسن الملابس التى كان يشتريها لها مع طاهر الجبلاوى .

وعند ما أسأل الأب رشاد المراسى :

— ولماذا لم تبق معك بدرية . . فى بيتك وتحت اشرافك مع تبنى العقاد لها ؟

يقول الأب :

— أنا لم أتزوج بعد وفاة أمها ، والبنت كانت صغيرة وعاوزة عناية من واحدة ست ، وأختها كانت أولى بها ، ولأنى أنا عايش عيشة على قدر رزقى ، لأن أعمال النقش والبياض صارت قليلة ، ومحلى صغير ، ومعى أختها محاسن التى هى أكبر منها ، وبدرية كانت تزورنى وأزورها باستمرار وأفرح كلما رأيتها تكبر ، وتتعلم ، وأن الأستاذ العقاد ظل عند وعده وأحسن .

وتنهمر الدموع فجأة من عينى الرجل الذى يبلغ الستين ويقول :

— الله يرحمه ويرحمها ، ما كانش فيه راجل مثله أبداً .. وكمال ومروءة وأخلاق.

ومن الحديث مع فوزية مصطفى أخت بدرية والتى كانت تشرف على تربيتها أسمعها تقول وهى تبكى وتصرخ :

— بدرية ماتت مخنوقة ، ولم تنتحر !

— وكيف ؟

— لما عرفت الساعة ٣ صباح يوم وفاة العقاد ، وكنت أقيم فى مستشفى دار الشفاء مع طفلى المريض ، بدرية كلمتنى تليفونياً فى دار الشفا . جريت . أخذتها معى على بيت الأستاذ . دخلنا القيناه ميت ، قعدت تصرخ وتتمرغ ، وكانت فى حالة ذهول . وجدنا فى حجرته ساعتها تلميذه خليفة التونسى ، ولما سمع أخو العقاد «أحمد» البنت وهى تصرخ «بابا» . . «بابا» هددها بالطرد ، وبوليس النجدة لما لقاها بتقول الكلام ده . وأخوه عبداللطيف شتمنا ، ولولا تدخل الأستاذ خليفة كانوا بهدلونا . ولما رجعنا البيت كانت البنت فى حالة رعب وذهول . كانت بتحبه أكثر من كل الدنيا ، أكثر من أبوها وأختها . تركتها ورحت المستشفى لأدفع حساب ابنى المريض هناك وأعود به إلى المنزل لأخفف عن البنت ، كانت انتهزت فرصة غيابى وبلعت ست أقراص من مطهر المصارين الذى كانت تأخذه ولما شعرت بالتعب .. كلمتنى جارة تركتها معها ، وقالت البنت حالتها تعبانة ، فى الحال نقلتها إلى دار الشفا لغسل بطنها منعونى من الدخول عليها ، الدكتور معرفش يسعفها ، وضع الخرطوم داخل الحنجرة لا فى البطن ، فتسبب فى موتها مخنوقة ، والدليل أنى دخلت لقيت الدكتور بينفخ بفمه فى فمها وهى لا تستطيع

الـكلام ، تقدمت ببلاغ وفى المحضر ثبت أن البنت ماتت مخنوقة . . ولم أعرف بعد ذلك — من هول الصدمة — إلا أنها شرحت فى مشرحة زينهم بشكل وحشى. شقوها وأخذوا أجزاء من جوفها ، وأنا أتهم المستشفى بقتلها حتى الآن !

وعند ما أسأل أحمد العقاد شقيق المرحوم العقاد عن معلوماته عن بدرية وحقيقة البلاغ الذى تقدمت به أختها من أمها السيدة فوزية مصطفى القدسى يقول :

— من ناحية بدرية أنا لا أعلم عن تبنى أخى لها أى شىء . . أما الوصايا فأنا مستعد أن أنفذ أى وصية تظهر احتراماً لمشيئة الأستاذ ، وإكراماً لما أشار به حتى ولو كان قد أوصى بملابسه الخاصة فإننى سأنفذ هذه الوصية .

إن خليفة التونسى الذى صحب العقاد أكثر من ثلاثين عاماً ، والذى كان موضع سره عند ما تسأله عن الوصايا التى تركها العقاد . . أو عن معلوماته عن بدرية وعلاقة العقاد بأسرتها ، وحقيقة البلاغ الذى تقدمت به السيدة فوزية مصطفى القدسى تسمعه يقول :

— أما عن الفلوس فقد سمعت بأذنى أستاذى العقاد رحمه الله يقول : إن السيدة مريم والدة بدرية كانت سبب تفريج كربته فى سنتى ١٩٣٥ و ١٩٣٦ كما قال الأستاذ الجبلاوى . وأنها قدمت له مرة ألف جنيه منها أربعمائة جنيه نقداً وستمائة بشيك على أحد البنوك . أو العكس ، بخلاف المصوغات التى رهنها العقاد مع الجبلاوى عند الجواهرجى .

ولما مات أستاذنا كنت أول من حضر إلى منزله لأنه كان قد طلبنى عند ما أحس بشدة المرض . كما قال لى الشيخ أحمد حمزة طباخه الخاص . عند ما استدعانى من منزلى الساعة الثانية صباحاً وأشهد أنه لما حضرت السيدة فوزية القدسى ، ومعها بدرية أختها ، وكنت لم أرهما قبل ذلك . . مع أننى كنت أعرف عنهما الكثير من المعلومات من الأستاذ نفسه ، واستغرقت فى البكاء والنواح الذى

يفتت الحجر ، حاولت تهدئتها والتخفيف عنها ولكن جهودى فشلت ، يومها فى الصباح سمعت السيدة فوزية تطالب بوصية وضعها أستاذنا فى الشوفونيرة ، وتطالب بثمانية عشر جنيهاً ذهبياً ، وبحليها ، وبأربعمائة جنيه كل هذا تركته أمانة عنده قبل أيام كما كنت أعلم .

قال لها السيد عامر ابن شقيق الأستاذ :

— هذا كله فى الشوفونيرة وأعدك أنى لا أفتحها إلا أمامك بعد عودتى من أسوان فى حضور الأستاذ خليفة التونسى .

ولكنها كررت طلبها ، وأصر السيد عامر على موقفه إلى أن عدنا من أسوان وبعد ذلك وسطتنى لأتدخل فى استرجاع هذه الأمانة .. فقال أحمد العقاد شقيق المرحوم :

— أنا مستعد أن أنفذ أى وصية تظهر ، وإذا كان لها على الأستاذ مال ، فأنا أعد برده إذا قدمت لى أى مستند وكنت أعلم أن السيدة فوزية قدمت للأستاذ — قبل وفاته بنحو ثلاثة أيام — خمسمائة جنيه عند ما اشتد عليه المرض ، وكتبت الصحف أن العقاد لا بد أن يذهب إلى المستشفى للعلاج وأنها جاءت له مع بدرية فى ذلك اليوم .

وأما عن تبنى العقاد لبدرية فأنا أقرر أن أحداً من الأدباء لم يكن يحب أولاده كما كان أستاذنا يحب بقلبه العظيم هذه الفتاة . وكانت لها عليه دالة ليست لبنت على أبيها ، وكانت طلباتها مقدسة عنده ، وأذكر أنه قص على أنه لما كانت أم بدرية مريضة ورأى الحالة التعسة التى هى عليها أقسم بالله أن الطفلة لن تضام ما عاش ، وهذه كلماته بحروفها ، وقد بر بوعده ، وكفلها بعد وفاة أمها ، وكان حريصاً فى الأيام الأخيرة على أن يزوجها بعد أن تحصل على الثانوية العامة من أحد أقاربه ، ويشترى

لها كل ما تريد ، كما أشهد أن عطفه على بدرية وكرمه العريض فى الإنفاق عليها كانا مثار سخط عليه من بعض أقاربه .

وأما البلاغ الذى تقدمت به السيدة فوزية إلى نيابة مصر الجديدة فهو لا يخرج عن مطالبتها بمبلغ من المال .

ولما سألها وكيل النيابة عن المانع الأدبى الذى منعها أن تأخذ إيصالا على العقاد قبل وفاته . احتجت بأن المانع الأدبى كان بسبب قوة الصلة بينها وبينه ، لأنه كان لها بمنزلة الأب . وكان قبل ذلك صديقاً لوالديها ، ولم تقل فى المحضر إنه تزوج من والدتها عرفياً ، منذ خمسين عاماً ، لأن والدتها السيدة مريم — منذ خمسين عاماً — كانت متزوجة من أبيها مصطفى القدسى .

وأن البنت كانت تدعو أستاذنا « بابا » ولم تقل أنها كانت بنته ، والمحضر هناك فى قسم بوليس مصر الجديدة . لمن يريد أن يطلع عليه ، فكل هذه الشائعات كاذبة كذباً واضحاً ، ولا أصل لشائعة منها .

إن فوزية مصطفى عند ما تتحدث عن الوصايا التى تركها العقاد تؤكد أنها كانت ثلاث وصايا ، واحدة كتبها العقاد من ثمانى سنوات فى الاسكندرية وكنت أنا والبنت فى زيارته ، يومها قال لى :

—أنا سأوصى لك أنت وبدرية بست كتب ، وهو كتب الوصية فعلا فى الاسكندرية وأراد تسليمها لى فتشاءمت ورفضت ، والثانية من ثلاث سنوات لما مرضت برجلى وسافرت إلى لندن للعلاج . ولما رجعت أحب أن يقوى روحى المعنوية فقال لى: أنا سأكتب لك نصف كتبى أنت وبدرية من أجل تربيتها لو حدث لى مرض . فأنا رفضت أيضاً وقلت له :

— ربنا يطول عمرك ..

وكنا نبكى لما سمعنا هذا الكلام ، والوصية الثالثة كتبها عندما شعر بمرضه الأخير فإنه طلب منى إحضار أوراق من مكتبه ، وكتب وصية جعل لى فيها ١٧ كتاباً ، وبيتا فى أسوان يكون مدرسة للبنات باسم البنت .

وكانت الوصية تتضمن أنه يوصى بأن تكون مكتبته فى أسوان لأهل أسوان ، ومكتبة بيته فى مصر الجديدة تظل مفتوحة لتلاميذه، وطلبة الآداب يترددون عليها ، وأن يبقى طباخه أحمد حمزة فى المكتبة الثانية ويفتحها يوم الجمعة كالعادة . وفى الوصية نصيب لبعض تلاميذه ، وبعض الفقراء من أقاربه مثل عبد العزيز الشريف .

ولما أراد أن يسلمنى هذه الوصية أنا رفضت وأيضا تشاءمت وبكيت فقال لى :
— الليلة دى شفت فى الحلم الشيخ محمد عبده وهو ينادينى ومشيت معه فى طريق طويل ، وسمعته ينادينى ، وأريد للبنت أن تكمل تعليمها وأضمن مستقبلها ، وصمم على الوصية فعلا ووضعها فى صندوق الشوفونيرة . ولكن عندما ذهبت إلى البيت مع البنت بعد الوفاة سألت عامر ابن أخيه عن الوصية لأنه كان فى الحجرة مع خليفة التونسى فقال :

— ليس الآن ، وأحلف لك بالله العظيم أن هذه الشوفونيرة لا تفتح إلا بعد رجوعنا من أسوان . ولما سألته عن الفلوس والأمانة التى تركتها للأستاذ قبل وفاته وكنت أعلم أنه قد صرف منها ١٠٠ جنيه — وبقى ٤٠٠ جنيه ثم قال :

— كل الفلوس موجودة وبعد ما نخلص من دفن الجثة فى أسوان نتحاسب .

ولما طلبت منه الـ ١٨ جنيه الذهب قال : بعد رجوعنا .
ولكنه لم يعطنى شيئاً ، وإلى الآن وأنا أنتظر حقوقى !

قلت لها :

— ولماذا كنت تحتفظين بمصاغك . . وفلوسك عند العقاد ؟

قالت :

هو كان مثل أبى . . وكل قرش يزيد معنا كنا نحفظه عنده . وكان هو يضيف إليه من عنده .

قلت :

— هل لأنك تربين بدرية ؟

قالت :

— لا . . لأنه كان أبونا كلنا أنا وبدرية وكل أخواتى .

وبعـــــد . .

إن هذه هى الحقيقة كما سمعتها من أفواه الذين يعرفون كل الأسرار الخاصة بالعقاد الإنسان . . والذين كانوا يحرصون على الاحتفاظ بهذه الأسرار إلى أن بدأت بعض الألسنة والأقلام الظالمة تردد اسم عملاق الأدب بما يسىء إلى هذا الاسم الكبير فى بلدنا وفى كل بلاد العالم العربى ! .

إن هذه التفصيلات الكاملة لقصة تبنى العقاد لتلميذة الثانوى بدرية محمد رشاد المراسى . . بلا رتوش قدمتها إليك ، وهى لا تعنى ولا تؤكد أكثر من أن العقاد كان يرد الجميل للأسرة التى وقفت إلى جانبه فى أيام محنته . . عندما تخلى عنه الجميع !

وللتاريخ . . ولأنصاف من عاش مثالا للشجاعة كما عاش مثالا للحنان والوفاء لصحبه ومعارفه .

ليلة تأبينه :

ستارة المسرح لم تنفرج فى تلك الليلة[1] عن رقص أوغناء كما تعودت . . إنها تبدو فى حالة صمت مطبق . . إن أمامها منصة وكرسياً واحداً ، وعلى واجهة المنصة استقرت صورة كبيرة للعقاد . . صورة حديثة لم يمض عليها نصف عام .. والمناسبة — كما يبدو من جو القاعة وضيوفها — مناسبة حزينة .

وفى هدوء يحضر ضيوف القاعة إلى مقاعدهم فى انتظار أصحاب الأسماء التى سجلت على بطاقة دعوة مجلس الفنون والآداب ، للاشتراك فى حفل التأبين الذى يقيمه المجلس بمناسبه مرور خمسة وسبعين عاماً على مولد راهب الفكر عباس العقاد .

القاعة بدأت تستقبل تلاميذ العقاد بالجملة . . تلاميذ شابت رؤوسهم . . وتلاميذ لم يتجاوزوا سن الشباب ، ومسحة من الحزن تظلل وجوه التلاميذ جميعاً . . ها هى ذى القاعة تمتلىء بضيوف جدد من أبناء الدول الشقيقة وبآخرين من أعضاء مجمع الخالدين ، ومن مجلس الآداب ومن اعضاء نقابة الصحفيين .

نائب رئيس الوزراء ووزير الأوقاف وشئون الأزهر الشاعر المهندس أحمد عبده الشرباصي ومعه وزير التربية والتعليم السيد يوسف يحتلون مكانهم فى الصف الأمامى .

الشعراء المخضرمون طاهر الجبلاوى ، ومحمود عماد ، وعلى الجندى وغيرهم من تلاميذ العقاد قد احتلوا صفاً بأكمله ، والحزن يعقد ألسنتهم .

---

(١) السبت ٢٧ مايو ١٩٦٤ ، على مسرح نقابة المهن الزراعية .

الشاعر العملاق عزيز أباظة ينطلق بين الصفوف أنيقاً على وجهه مسحة من الحزن الخفيف .

إنه يجلس فى الصف الأول . . من حوله الدكتورة سهير القلماوى ، والدكتورة عاتكة الخزرجى الشاعرة العراقية ، وعدد من الديبلوماسيين من أبناء الدول الشقيقة .

العيون كلها تتجه إلى المنصة . . . وصورة العقاد تكاد تتجسد بعد أن سلطت عليها الأضواء القوية . الكل فى صمت . . وفى انتظار بدء حفل التأبين والتكريم معاً . . صوت قارىء القرآن يبدد الصمت . . إنه ما يكاد ينتهى من تلاوته حتى يصعد إلى المسرح الدكتور مهدى علام ليلقى كلمة الافتتاح نيابة عن نائب رئيس الوزراء ووزير الثقافة والارشاد .

وكعادة الدكتور مهدى علام يمضى هادئاً فى إلقاء كلمته التى قال فيها :
— إننا نكرم الليلة رائداً من رواد الأدب العربى .. وإنى أشارك المجلس بوصفى عربياً أتابع الإنتاج بصفة عامة ، وإنتاج العقاد بصفة خاصة . . العقاد الذى كان حجة وثقة فى عدد من العلوم ورائداً فى ميادين كثيرة كان فى كل منها فى القمة . . كتبه التى تؤلف مكتبة عربية إسلامية . . مجموعة العبقريات . . مقالاته التى لو جمعت لملأت المجلدات . . طينة أرض أسوان كان له نصيب من صلابتها فى العلم ومن نيلها فى تدفقه الغزير الإنتاج . . إلى آخر تلك الكلمة القيمة التى شدت إلى المنصة أسماع الحاضرين .

وعندما يجىء دور الشاعر عزيز أباظه نقيب الشعراء . . وعضو مجمع الخالدين ومقرر لجنة الشعر فى مجلس الآداب بعد العقاد يصعد المنصة فى وقار . ويملأ الأسماع بعبارات رصينة من الشعر المنثور يسجل فيها للعقاد أستاذيته لشعراء وأدباء وفلاسفة ونقاد هذا الجيل ، ويقول :

— إذا كان هذا المجلس يحاول أن يكرم العقاد فإن التكريم لا يزيد فى قدره لأنه كان طرازاً من خلق الله يرد على هذه الدنيا فى فترة نادرة .

ويمضى هو الآخر مبيناً ملامح العبقرية التى لازمت العقاد منذ شبابه المبكر ويروى ذكرياته الخاصة معه فى مجلس الآداب وفى مجمع الخالدين كأستاذ له وزميل .

وتستطيع بعد أن ينتهى عزيز أباظه من كلمته أن تحس بروح العقاد وهى تسيطر بالتدريج على الخطباء الذين دعوا إلى المنصة بعد ذلك . إن هؤلاء الخطباء — وكلهم من صفوة الشعراء والأدباء — لم يجدوا خيراً من أشعار العقاد وعباراته للاستشهاد بها على المسرح .

ولنستمع الآن معاً إلى ما تردد على ألسنة هؤلاء الشعراء بالتدريج ها هى ذى . . الدكتورة سهير القلماوى تصعد إلى المنصة ، وفى وقار العلماء تخرج من جيبها ورقة تقرأ منها هذه العبارات :

— ماذا يمكن أن يقال . والعقاد لا يرثى ولا يقام له حفل رثاء . . إنه يولد ثم يولد ، ثم لا يموت.. إذا كان لا بد للعقاد من تكريم فنحن لا نجد من يكرمه سوى نفسه . . سوى قريحته الوقادة التى أنتجت هذا القول :

إذا شيعونى يوم تقضى منيتى
وقالوا أراح الله ذاك المعذبا
فلا تحملونى صامتين إلى الثرى
فإنى أخاف اللحد أن يتهيبا
وغنوا فإن الموت كأس شهية
وما زال يحلو أن يغنى ويشربا

وما النعش إلا المهــــد مهد بنى الورى

فلا تحزنوا فيــه الوليد المغيبـا

ولا تذكرونى بالبــكاء . . . . وإنما

أعيدوا على سمعى القصيــد فأطربا

وبدا لنا نحن شهود حفل التــكريم أن الدكتورة سهير القلماوى لم تجد خيراً من كتب العقاد ودواوينه مرجعاً تلجأ إليه عند إعداد كلمتها . . بدا بــكل وضوح أنها حاولت أن تغوص وراء مختارات الرثاء — والنساء أقدر على الرثاء من الرجال — فلم تجد أصدق ولا أروع من رثاء العقاد لنفسه بالأبيات الخمسة التى استشهدت بها من قصيدة طويلة له نشرها فى أحد دواوينه الذى صدر بعنــوان « ديوان من الدواوين » .

ولأول مرة فى حفلات التأبين يخرج شهود الحفل على تقاليد التأبين إنهم ما كادوا يستمعون إلى شعر العقاد حتى بدأوا يستعيدون الأبيات على لسان الدكتورة سهير وهم يصفقون بحرارة ، ولم يكن الشاعر صالح جودت أقل توفيقا من الدكتورة سهير ، لقد استقبل هو الآخر عندما استشهد بأبيات العقاد فى الغزل بتصفيق حاد . . واستمع معى إلى ما رواه العقاد فى هذه المناسبة الباكية السعيدة — فى نفس الوقت — من قصيدته « الصدار »أو «البلوفر » الذى نسجته له إحدى معشوقاته ، وهى غــير « سارة » بكل تأكيد ، كما أن هذه القصيدة من روائع غزله ، يقول العقاد :

هنــا مكان صــدارك هنـا هنـا فى جوارك

* * *

هنــا هنـا عند قلبى يــكاد يلمس حســبى

وفيــه منك دليــل على المــودة حسبى

* * *

ألم أنل منك فكرة في كل شكة إبرة
وكل عقدة خيط وكل جرة بكرة

* * *

هنا مكان صدارك هنا هنا في جوارك
والقلب فيه أسير مطوق بحصارك

* * *

هذا الصدار رقيب على الفؤاد قريب
سليه هل مر منه إلى طيف غريب
نسجته بيديك على هدى ناظريك
إذا احتوانى فأنى ما زلت في أصبعيك

ومضى صالح جودت يكشف عن أسرار جديدة للعقاد في قصيدته التي تحمل هذا العنوان :

تريدين أن أرضى بك اليوم للهوى
وأرتاد فيك اللهو بعد التعبد
وألقاك جسما مستباحا وطالما
لقيتك جم الخوف جم التردد
رويدك إني لا أراك مليئة
بلذة جسمان ولا طيب مشهد
جمالك سم في الضلوع وعثرة
ترد مهاب الصفو غير ممهد

إذا لم يكن بد من الحان والطلى
في غير بيت كان بالأمس مسجد

وروى لى الشاعر طاهر الجبلاوى — ونحن فى القاعة — كيف أن العقاد ضمن ديوانه « أعاصير مغرب » الذى منه استعار صالح جودت هذه الأبيات ، مجموعات من قصائد المديح والمراثى لمن نصروا الشعب . . وكيف أن ديوانه هذا نشره فى سنة ١٩٤٢ حينما كان قد نيف على الخمسين من عمره والذى فى مقدمته يعرض بواعث الحب المتأخر بعد تجاوز مراحل الشباب والرجولة والكهولة ، وكيف نفى أن يكون لشعر الحب حد زمنى فى حياة الإنسان ، وكيف أن الشيخوخة ربما أعانت على النظم فى الغزل بأكثر مما يعين الشباب .

وحينما يتبادل المنصة الشعراء : طاهر الطناحى ، على باكثير ، عامر بحيرى ، محمود حسن اسماعيل ، والقصاص عبد الحليم عبد الله وغيرهم لا تجد واحداً منهم تخلو له كلمة أو بيت من الاستشهاد بكلمات العقاد وأشعاره . . . حتى أحسسنا جميعاً بروحه ترفرف علينا وتهيمن على كل شاعر وأديب .

إن العقاد كان يتكلم من العالم الآخر بأكثر من لسان . . . إنه كان معنا فى فى القاعة .. جاء ليكرم نفسه .. ليقول أنا هنا . . . هل من مصارع ؟ كما كان يحلو له أن ينازل كبار الأدباء فيصرعهم . إنه جاء ليقيم سوقاً للعلم دونها سوق عكاظ .

وأسمعوا أحدث أبياته فى الذرة :

دعوا الذرة تطغى فى زمان يعبد الذره
صغير كل ما فى الأرض من جاه ومن شهره
ومن خير ومن شر ومن رأى ومن فكره
فلو قيسوا بلا جسم لما ضاقت بهم إبره

وعشنا وعاش الشعراء مع العقاد أكثر من أربع ساعات . . . ظل الجميع

فى أثنائها وعيونهم معلقة بصورته وآذانهم مشدودة إلى أنشاده فى المراثى .. فى السياسة .. فى النقد اللاذع ، فى الفلسفة ، فى التاريخ ، فى الحب .. وأقرأوا معى هذه الأبيات التى ترددت على لسانه بعد لحظة من لحظات حبه وما كان أرقها .. وأعذبها :

لحظة تمنح قلبى كل هاتيك الهبات
لحظة ترفع عمرى حقبا متصلات
رب عمر طال بالرفعة لا بالسنوات
لحظة ؟ لا بل خلود لاح بين اللحظات
كالسموات تراها من شباك الحلقات
رب آباد تجلت من كوى مختلفات
وقطيرات زمان ملأت كأس حياة

وانفض السامر بعد أربع ساعات ، وعادت روح العقاد من جديد إلى سمواتها العالية ، وأبيات شعر ما تزال على ألسنتنا تتردد .. أبيات له فى رثاء أحد أصدقاء عمره ، وكأنما كان يعبر بها عن مشاعرنا جميعاً .

يا صديق لنا البكاء ولك الموت والسلام
عندنا النور والعناء عندك النوم والظلام
ليس يأسى أخو فناء بل أخ بعده أقام

عبدالله شمس الدين

وجليلة رضا



الشاعر الرهيب وملهمته الأولى ، وبعض أولاده

هل تحب أن تقرأ صفحة من حياته ؟

إذا كان يهمك صاحب نشيد « الله وأكبر » بقدر ما أثار نشيده اهتمامك واهتمام الملايين من أبناء الأمة العربية ، فإليك هذه الصفحة التي تسجل قصة حب عنيف انتهت بزواج خاطف أعقبه طلاق مفاجىء . .

وعبد الله شمس الدين ، الشاعر الرهيب — وهـــذه هى شهرته بين الشعراء المعاصرين — كان الزوج ، وجليلة رضا شحرورة الوادى كانت الزوجة . وقصة الحب فى قلبيهما ما تزال سراً من الأسرار ، ولا أحد يستطيع أن يقف على تفاصيلها منهما أبداً .

كل ما هنالك حكايات تتردد على ألسنة الشعراء والأدباء فى مصر ، وبالذات كلما جمعتهما الندوات الأدبية ، وتابعت قصتهما منذ البداية .

وقصة شحرورة الوادى جليلة رضا تقول إنها تزوجت — قبل شمس الدين — من قاض يكبرها بسبعة عشر عاماً بعد أن تخرجت فى « البون باستير » والزوج كان غيوراً .. واقعياً مسرفاً فى واقعيته يعيش حياته بين ملفات القضايا ليـل نهار . والزوجة كانت شاعرة خيالية متأججة تطير بأحلامها عبر السحاب ، وبجسمها تعيش مسجونة بين جدران أربعة ! وهى فى ذلك تحكى أن الغيرة كانت تأكل قلبه كلما رآها تطل من النافذة . وكانت تحلم باليوم الذى تعيش فيه مع إنسان يحلق معها فى عالم آخر وكانت سلوتها فى محنتها حفظ أشعار لامرتين ، وفولتير وفيـكتور هيجو ، وغيرهم من الشعراء الفرنسيين .. إلى أن ضاقت بالزوج وضاق بها فطلقها ولـكنها خرجت من حياته بولد عليل إلى الأبد ما يزال سبب الحزن والآلام التى تعانيها الآن !

إلى أن حدث كل شى فجأة يوم التقت بعبد الله شمس الدين فى إحدى الندوات التى كان يعقدها المرحوم « دسوقى أباظة » وكان عبد الله شمس الدين يجمع إلى الروح الشاعرية هواية المصارعة التى جعلت منه بطلا رياضياً ، وفيه وجدت بغيتها .

حلم الصيف :

وانتقلت العدوى إلى قلب زميلها ، والشاعر — كأى فنان — مرهف الحس ، عارم الوجدان ، يستطيع — كما يقول شمس الدين — أن يحب أكثر من واحدة ، وكان يومها متزوجاً من أديبة عراقية له معها هى الأخرى قصة انتهت بزواجها منه بالقوة بعد أن تدخل المرحوم النقراشى رئيس الوزراء فى ذلك الوقت فى هذا الزواج .

قلت لصاحب نشيد الله أكبر وهو يروى قصته فى عصبية واضحة :

— وما الذى جعلك تستسلم لحبها وأنت زوج وأب لثلاثة أولاد ؟

ولمعت عيناه ببريق خاطف وهو يجيب :

— أعفنى بربك من ذكر هذه الفترة التى عشتها مع الغيب .. لقد كان الشيء الذى لفت نظرى فى هـذه المرأة الحشمة والوقار الأنثوى ، والخجل ، والعصمة النسائية النادرة !

ومن أحد زملائه الشعراء علمت أن الشاعر الرهيب استقر فجأة بين أحضان زميلته الشاعرة زوجاً خاضعاً مطيعاً ، وأنهما انتقلا من القاهرة إلى إحدى الضواحى ، وهناك عاشا عيشة غيبية بعد أن ترك أولاده الثلاثة وزوجته الأديبة العراقية التى كادت تموت من هول الصدمة .

وبعد ثلاثة شهور أفاق الشاعر من حلمه الجميل على صوت زوجته العراقية وأم أولاده وهي تقتحم الباب وتطلب لقاء الذى فر من بين يديها فجأة .

وحينما التقت به وبضرتها أذهلتهما المفاجأة ، ويومها أعلنت أنها لن تقبل العيش مع الضرة ، وطالبت الزوج باختيار أحد أمرين : إما البقاء مع زميلته الشاعرة ، وإما عودتها إلى العراق بأولادها . وتدخل فى النزاع أكثر من أديب وشاعر وبعد صراع اختار كل منهما أن ينفصل عن زميله بسلام .

وفى شقة بإحدى عمارات القاهرة تعيش الآن[1] جليلة رضا بعيداً عن الأضواء ، لا عزاء لها ولا سلوى إلا دواوين شعرها ، ولا رفيق لها إلا ولدها العليل .

ودار بيننا حديث عن الشعر والشعراء القدامى والمحدثين ، وانتقل الحديث إليها وإلى بداية دخولها ميدان الشعر .

قالت جليلة :

— من أيام المدرسة فى « البون باستير » وموهبة الشعر تلازمنى ، وكنت بعد زواجى الأول أكتب الشعر بالفرنسية ، وكنت أسجل انفعالاتى أحيانا باللغة العربية إلى أن التقيت بناجى[2] فأعجب بشعرى كثيراً . وكنت أعرض عليه كل قصيدة جديدة ، وكان يشجعنى على المضى فى هذا السبيل[3] .

وإلى حياتها الخاصة اتجه الحديث . . وفى هدوء تحدثت بصراحة :

— كم سنة عشتها مع زوجك الأول ؟

---

(١) يناير ١٩٥٨ .

(٢) هو المرحوم الشاعر الدكتور ابراهيم ناجى .

(٣) ان جليلة رضا أصبحت بعدئذ شاعرة أصيلة صدر لها حتى الآن أربعة دواوين ، وهى « اللحن الباكى » ، « اللحن الثائر » ، « الأجنحة البيضاء » ، أنا والليل ، وديوانها الخامس تحت الطبع ، وهو « دوى الفراغ » ، ووراء كل هذه الدواوين أسرار عميقة فى النفس تثير الشفقة أحيانا وأحيانا أخرى تثير الاعجاب .

— عشر سنين أمضيتها مع زوجى الأول ، وقد مرت كسحابة سوداء فى أفق حياتى فقد كانت عندى فكرة أن أعيش مع إنسان يحلق معى بخياله .

— وبعد الطلاق . . كيف واجهت الحياة ؟

— ملكت الحرية . . ومع ذلك عدت للسجن الذى كان مفروضاً على ، وهكذا لما ملكت الحرية زهدتها . .

— وزوجك ماذا صنع من بعدك ؟

— تزوج من بعدى .

— والزوج الثانى كيف التقيت به ؟

— أعفنى من الإجابة عن هذا السؤال .

— ألم يكن يغار عليك كزوجك الأول ؟

— شمس كان يعتبر ذلك ضعفاً فى الرجل وهو فى منتهى البرود من هذه الناحية!

— وكيف مرت أيامك معه ؟

— إن حياتى معه ، وإن كانت قصيرة جداً ، أصبحت سراً من الأسرار الخاصة.

ولم تجد معها كل المحاولات لإخراجها من صمتها !

وعدت أسألها :

— وما هو شعورك حينما سمعت نشيد « الله وأكبر » لشمس الدين ؟

— مجرد إعجاب بزميل . . ولو أنه خاصمنى خمسة أشهر أثناء معركة الانتخاب.

— وهل ما يزال الخصام قائماً بينكما ؟

— بل اشتد الخصام وانتقل إلى الصحف وأصبح يتردد على ألسنة الشعراء .

— وما السبب ؟

— سببه مهاجمته لى فى قصيدة بعنوان « صراع »

— وما الذى آلمك فيها ؟

— إنه يقول ، وأنا المقصودة طبعاً ، لأنها كانت تعقيباً على قصيدة لى ألقيتها على ملأ من الشعراء :

أى شىء دهاك بعد مغيبى وتولاك بالأسى . . يا حبيبى
جشع أنت فى أمانيك فظ لست ترضى الهوى بغير حروب
أنا أفديك فى البعاد وفى القر ب وأهواك رغم كل عيوب

ومن خلال حديثى مع الشاعر الرهيب شمس الدين ، عرفت أنهما انفصلا إرغاماً لا اختيارا .

قلت له :

— وكيف تم الانفصال بينك وبين جليلة ؟

قلت :

— تم بصورة كريمة مع الوقار الوجدانى والاجلال الفنى .

فقلت :

— سمعتها تقول عنك : إنك سمنت بصورة مزعجة مثلك كالسجين الذى يزداد وزنه بعد الحكم بإعدامه !

فقال :

— لا ونعم . . بسبب الرياضة التى أمارسها ، فأنا باستمرار منفعل وعنيف ، ورياضة المصارعة تحد من ثورتى ولولاها لكنت أعيش الآن فى السجون . . فأنا إذا استثارنى أحد ، ولو كان صديقاً ، أهجم عليه وأمزق أضلاعه بلا وعى ! ولهذا فأنا أمارس الرياضة كدواء ، وأنظر إلى الحياة نظرة عريضة بلا تشاؤم وأحس بالله لدرجة الأنس !

قلت له :

— ولماذا بدأت تهاجم زوجتك السابقة جليلة رضا ؟

قال :

— سمعتها تلقى قصيدة فى إحدى الندوات التى جمعتنا أخيراً . . وفجأة وجدت نفسى أعيش فى دوامة بعد أن انتهت من إلقائها ، ولما عدت لمكتبى أحسست بأبيات الشعر تنساب بقوة على لسانى ، فكانت تصويراً حقيقياً لشعورى نحوها . . تصويراً لم أستطع منعه . . ولو مجاملة .

— وماذا تظنها فاعلة بك ؟

— ربما ثارت نفسها ، وانطلقت تهجونى . . لا أدرى !

وعند ما سألت جليلة رضا :

— كيف ستواجهين حملة شمس الدين :

أجابت فى سخرية لاذعة :

— بنفس المعنى . وبنفس عدد الأبيات التى هجانى بها . . ومن نفس البحر سأهجوه . . وبدأت تنشد هذه الأبيات رداً على قصيدته :

لم يكن ما نظمته بغريب   كل ماء يبدو بلون الكوب
آه لولا عنادنا لصمتنا   وارتفعنا عن وهدة التكذيب

ثم سكتت فجأة وفى ابتسامة عادت تقول :

— لا داعى إلى ذكر بقية القصيدة . . لأنها مؤلمة جداً .

إلهام معركة السويس :

إن عبدالله شمس الدين له مع نشيد الله أكبر — الذى طبقت شهرته الآفاق — قصة يجب أن تروى . . فحينما كانت صفارات الأنذار تدوى والقنابل تتساقط فى معركة السويس ، وتتابع طلقات المدافع والناس يعيشون فى رعب . . فى تلك الأثناء دق



الشاعرة جليلة رضا تتصدر ندوة شعرية ، وقد جلس إلى يمينها الموسيقار محمود الشريف ، فعبد الله شمس الدين ، وإلى يسارها المرحوم الشاعر خالد الجرنوسى ، فأحد المطربين .

جرس التليفون على مكتبه ، ولما لبى النداء بادره المتكلم ، ولم يكن سوى الملحن محمود الشريف قائلا :

— الله أكبر !

ورنت الكلمة فى أذنيه كأنها قذيفة تنفجر، وتفجرت مع الكلمة كل أحاسيسه دفعة واحدة . فقد كانت فى حالة شديدة من الضيق ، تملأ نفسه بانفعالات شتى ، خاصة أن شقيقه الأصغر كان يحارب الأعداء فى بور سعيد ، وقد أراد هو أن يتطوع فحالت أسرته دون أن يكون له هذا الشرف .

وطلب منه الشريف أن يكتب نشيداً حربياً يستهله بهذا النداء فصادف هذا الطلب هوى فى نفسه ، جاء متمشياً مع مشاعره وإحساساته .

وقال عبد الله شمس الدين للشريف إنه سيمليه النشيد المطلوب بعد أقل من عشر دقائق ووفى الشاعر بوعده فى الوقت الذى حدده ! فقد انتقل بجميع أحاسيسه إلى خضم المعركة ، وهكذا أخرجت كل كلمة فى النشيد كقذيفة مصوبة إلى صدور الأعداء، مما جعل محمود الشريف يستمع إليها وهو يرتجف .

هذه هى قصته مع نشيد الله أكبر فوق كيد المعتدى . . . الخ . . . أقوى أناشيد معركة بور سعيد فى عام ١٩٥٦

أما قصته هو فتقول إنه من أصل عربى . . أجداده من نجد ، وأنه تعلم فى الأزهر وبدأ قرض الشعر عام ١٩٣٧ ، وأن قرض الشعر ملكة تجرى فى دمه ، فكثيرون من أقاربه وهم من علماء الأزهر الشريف يقرضون الشعر خصوصاً فى التصوف، ولقد تزوج شمس الدين لأول مرة عام ١٩٤٨ من زوجته العراقية التى تكتب القصة، وتحفظ أكثر أشعار شكسبير . . وأنها قدمت إلى مصر موفدة من قبل حكومتها فى

بعثة لدراسة النقد الأدبى ، وفى إحدى ندوات أدباء العروبة التقت به ووجد كل منهما فى صاحبه بغيته وملتقى آماله فاتفقا على الزواج .

أما الشاعرة جليلة رضا زوجة شمس الدين الثانية فإن هذه السطور التى اخترتها لك من صفحات حياتها تكشف عن الصراع المرير الذى لم يهزم جليلة رضا أمام الرجل .

غادة السمان



الغادة المتحررة..!

هجرت الطب إلى الأدب ، وأثارت قصتها الأولى حدثاً في الأوساط الأدبية في سوريا ولبنان . إنها أديبة جديدة ، ظهرت في دمشق وبدأت حياتها في الصحافة . لقد قرأت مئات الكتب لأدباء الشرق والغرب ، إن حلمها أن تنتهى من رسالة الدكتوراه .

نشأتها الأولى حببت إليها الأدب والقلق معاً . فقد تفتحت عيناها على مكتبة ضخمة في بيت أبيها ، وامتدت أذناها لتسمعا أغنيات المهد وهى تنساب عذبة رقيقة على شفتي الأم الحنون ، فلما رحلت الأم إلى السماء أدركها القلق والخوف من المجهول .

ولكن الطفلة ابنة الخامسة أحبت الحياة وتعودت الصبر ووجدت في حنان أبيها ومساندته مادفعها إلى أن تصل . . إلى أن تشق الطريق الوعر وسط العواصف.. إلى أن تتخرج في جامعة دمشق .

ومع ذلك يظل الخوف من المجهول صديقاً لها . . يكبر معها ويلون أحاديثها بلون أسود قاتم ، وتختار القصة لتكون وسيلة إلى التعبير عن مشاعرها عن الواقع التي تعيش فيه ، وتقرأ لرواد القصة الأجانب ، القدامى والمحدثين ، ثم تحدد لنفسها الطريق والأسلوب ، الزوايا والشخصيات ، والعبارات التي تناسبها وتصور مشاعرها وقلقها . وما تكاد تظهر قصتها الأولى « الأصابع المتمردة » حتى تحدث صدى في دمشق ولبنان . . صدى يفتح لها أبواب الصحف ودور النشر على مصاريعها .. وتصدر لها مطابع بيروت مجموعة قصصها الأولى تحت عنوان « عيناك قدرى » ثم « لا بحر في بيروت » . يشق صوتها الناعم الهادىء طريقه إلى المستمعين عن طريق الراديو ، في برنامجها الإذاعي « شعر وموسيقى وغادة السمان » .

ثم التقيت بها فى القاهرة للمرة الثانية ، وكانت المرة الأولى فى دمشق قبل الانفصال الملعون وكانت كما رأيتها من قبل ، وكما عرفتها من قصصها رقيقة كالطيف ، تحسن اختيار العبارة والابتسام ، وتعنى بمظهرها .. ذكية فى طهارة قلب ، مؤمنة بعروبتها فى اعتزاز .

وأسأل غادة «٢٥ سنة»(١) :

— ممن ورثت حب الأدب ؟

وفى ابتسامة حالمة سمعتها تقول :

— أمى أديبة كبيرة ، هكذا قالوا لى لما كبرت لأنها توفيت بعد ولادتى بخمس سنوات ، ورثاها شعراء دمشق يومئذ ، أسمها « سلمى رويحة » وهى من اللاذقية ، كانت من أديبات سوريا اللواتى كن يكتبن فى القضايا العامة ، كانت تحب البحر والريح كما عرفت من كتاباتها التى خلفتها لى ، وقد عادت لتمتزج بالبحر والريح .

— وعن أبيك ماذا ورثت ؟

— أبى رجل عصامى اسمه الدكتور أحمد السمان أستاذ بجامعة دمشق ورجل علم كبير ، وهو صديقى الذى أحبه فعلا ، وقد سئلت مرة عن رأيى فيه فأجبتهم لو لم يكن أبى لتزوجته ، وصداقته لى ليست بالمفهوم الشرقى للصداقة بين الأبنة وأبيها ، وإنما أعنى بذلك أنه أثبت صداقة لى بوقوفه إلى جانبى فى أيام مريرة .

فأرة الكتب :

وينتقل الحديث إلى ثقافتها الخاصة وأعرف أن الفرنسيه كانت لغتها الأولى ، وأنها حتى الرابعة من عمرها لم تكن تعرف كلمة عربية واحدة ، ثم دفعها أبوها إلى أن

---

(١) يولية ١٩٦٣ .

تحفظ القرآن كى تستقيم لغتها ، وأنها فى الوقت الذى كانت فيه تتعلم اللغتين العربية والفرنسية تعلمت اللغة الإنجليزية فى أثناء دراستها الثانوية ، وأن أسمها سجل فى قائمة المقبولين بكلية الطب بعد تخرجها فى المرحلة الثانوية ، ولكن نزعتها الأدبية دفعتها إلى التهام كتب الأدب . . إلى العيش فى المكتبة مع القصص التى تحن إليها بطبعها . كانت تقرأ ، وتكتب الشعر ، وفجأة تمردت على دراسة الطب فهجرت كلية الطب إلى كلية الآداب وأنها منذ عامين تخرجت فى القسم الإنجليزى بدرجة الامتياز ، وأنها عملت فى القصر الجمهورى ، وفى مكتب أخباراليوم بدمشق كمحررة. وبعد فصلها من عملها الحكومى ، وإغلاق المكتب فى عهد الانفصال عادت إلى الجامعة لتعمل معيدة بها .

قلت لها :

— واتجاهك الأدبى كيف سار بعد ذلك ؟

— قررت أن أبدأ من جديد . . أن أبعث الجمر الضائع فى زوبعة عمر يتألف من واحد وعشرين خريفاً ، وهنا أصبحت الكتابة جزءاً من وجودى ، والشىء الوحيد الذى يساعدنى على حمل أشعة الشمس فوق كاهلى طوال النهار وحمل أكداس الظلام فوق صدرى فى الليل . . أدمنتها ، ووجدت فيها لغتى التى أمتد بها فى عروق الزمان وأنسل فى نسغ الحياة .

قلت لغادة :

— ومشاكل تلاميذك فى الجامعة كيف تتغلبين عليها ؟

قالت بنفس الهدوء الذى بدأت به حديثها:

— بدأت تدريس اللغة « الإنكليزية » — وهكذا تنطقها — فى كلية الآداب

لفرع الأدب الفرنسي وكنت مسئولة عن الصف الثانى والثالث والرابع « ليسانس » ولم أواجه ما يسمونه متاعب التدريس أو مشاكل الطلاب وإنما واجهت ما يواجهه أى أستاذ فى أى مكان . والواقع أن طلابى فى غاية التهذيب واللباقة ، ومنذ اليوم الأول الذى دخلت فيه إلى الصف كنت فى الصف أنسى أننى محررة أو صحفية أو كاتبة قصة . وكنت أنسى كل شىء وأنسى أنوثتى وأناقتى ، لأن أية مهنة يمارسها الإنسان يجدها ممتعة ما دام يطرح شخصيته فيها بشكل خاطىء .

وبالنسبة لمشاكل الطالبات واجهت بعضها فى العام الماضى ، حينما تركت عملى فى القصر الجمهورى ، وعينت مثقفة للطالبات فى كلية الحقوق ولاحظت أن الطالبة العربية السورية تتمتع برصيد كبير من الوعى ، وأنها تسير فى الدرب الصحيح إلى تكامل الشخصية .

سألتها :

— وماذا عن مستقبل أيامك القادمة ؟

— أريد أن أتمم دراستى فى الأدب الإنجليزى للحصول على الدكتوراه ، وقد قدمت طلباً للالتحاق بالجامعة الأمريكية فى بيروت للحصول على الماجستير . وسأقدم طلباً إلى جامعة القاهرة وريثما يحل الخريف سأقرر نهائياً المكان الذى أقضى فيه شتائى . . بيروت أو القاهرة ، وهنالك روايتى التى لم تنته بعد ، وأهم من ذلك كله القدر المجهول الذى قد تقذف به الأيام .

وهنا تذكرت عبارات كثيراً ما رددتها فى قصصها ، وعلى فكرة أنها تردد كلمات الموت والقلق باستمرار ، واسمعها معى وهى تقول فى بعض قصصها الأخيرة :

* أرى بيتك غارقا فى سجن الكسل والموت . .
* حيث يسطع الموت بين عجلات السيارة .
* كما تقيدنى إلى أربطة مومياتى إلى متحف الشمع .

* فإذا أنا قطة مخملية تطحن نفسها فى رماد موقد يا سأم أعوامى الثلاثين العذراء
* يا حسرة آلهة مكتوبا عليها أن تتعب وتشقى وتموت .
* عجوز مقطوعة ميتة الجذور فى جيل منبوذ .
* عمرى ألف عام من سأم وغربة .
* غرفتى خائفة مدفونة فى أحشاء البناء الكبير .

إلى غير ذلك من عبارات تكشف عن العذاب والضيق والتمرد على الحياة ورتابتها .

أين كانت ؟

وحول مشاعرها الخاصة، وهى تدلف من المطار إلى القاهرة لأول مرة ، يدور حديث قالت غادة :

— من المضحك أن خيالى لا يخضع للمنطق ، فأنا مثلا لم أكن أتخيل القاهرة مجموعة من الأبنية حتى ولا بيتاً واحداً . كنت أتخيلها — ولا أدرى لماذا — مجموعة من القباب الفاطمية والمآذن المرتفعة والسحب الحارة الكثيفة تطوف بينهما مع همهمات غامضة مفعمة بالحماس تتشابك فى هذا الجو المسحور حتى أقصى حدود الخيال . . الدامى كأكثر ما تكون الحقيقة دامية !

وقد أحسست بحنين يولد فى أعماق وأحسست بأننى أحنو على هذا الحب ولا أريد له أن يخيب وكانت ريح الخماسين تلهب القاهرة الحبيبة وكانت الأبنية الحجرية مكسوة بهباب الفحم القذر ، وهنا غمرتنى كآبة حقيقية وأدركت كيف تبكى المدن الكبيرة . . تبكى سحباً من دخان وغبار ، لكن ذلك الإحساس بالغربة تلاشى فى اليوم التالى ، وآمنت بأن البشر هم المدينة الحقيقية وهم معالمها ودمها ونبضها .

أعجبنى هذا النبض المجنون فى هذه المدينة الرائعة وتلك النماذج البشرية المخلصة

التى تسير فى دروب مشرقة . ولما اعتادت عيناى رؤيه الأبنية« المهيبة » رغم فخامتها استطعت أن أرى القاهرة العظيمة والنيل الهادىء الذى يخفي فى أعماقه الغامضة البركة والجبروت معاً .

— هل تابعت ما نشر هنـــا وفى الخارج من قصص ومقالات عن مذهب اللامعقول ؟

وبسرعة قالت وابتسامة عذبة تنطلق حول شفتيها :

— الحديث عن اللامعقول لا معقول وهو دليل هلى السأم من المعقول ، ونحن فى هذه المرحلة من حياتنا بحاجة ماسة إلى المعقول .

* * *

قلت :

وأديبتك السورية التى تقف على القمة فى رأيك من هى ؟

— وداد السكاكينى أديبة سوريا المثقفة الناقدة ، وألفت الأدلبى استطاعت أن تخلد الجو الشامى فى قصصها الناعمة .

— هل أول إنتاج قصصى للـكاتب يكفى للحكم عليه ، ولمعرفة وضعه بالقياس إلى الآخرين من الـكتاب ؟

— يمكن معرفة ما إذا كان الـكاتب أصيلا أم لا من أولى قصصه ، ولـكن قصة واحدة لا يمكن أن تـكون أبداً مادة كافية لإطلاق حكم موضوعى على أديب ما ، فإنتاج أى فنان يتفاوت من حيث الجودة ومن حيث القدرة على التعبير عنه وعن جوانب نفسه المشحونة المؤثرة ، بل إن من الصعب إطلاق حكم نهائى كامل على أديب ما زال حياً ولم يعط بعد كل ما عنده .

* * *

قلت لها :

— إلى أى حد من الصدق تسجل قصصك تجاربك الخاصة وكما تعلمين أصدق وأحب إنتاج إلى الكاتب والقراء هو ماصدر عن تجربة خاصة مرت بهومارسها بنفسه؟

قالت والابتسامة تزداد اتساعا حول شفتيها الرقيقتين :

— أنا لا أحب تفسير قصصى وأومن بأن الكاتب غيمة كملايين الغيوم تخترقه الحوادث اليومية التى تشبه حزم النور البيضاء كما تخترق الغيوم جميعاً . ولكنه غيمة من نوع خاص تحلل الحزمة الضوئية البيضاء إلى قوس قزح عجيب الألوان مفعم بالظلام والإيحاءات وقصص من الحوادث اليومية التى أعيشها وتعيشها أى فتاة إنها حوادثى نفسها ، ولكنها ليست نفسها أيضاً كما أن قوس قزح ليس سوى حزمة النور البيضاء ولكنه يختلف عنها أيضاً . .

وأسأل غادة :

— ومتى تشعر المرأة بالغيرة ؟

— حينما تعيش فى نعمة ، أى تكون قادرة على أن تحب ، وحينما تلحظ أن قطة أخرى تحاول الانسلال إلى مكانها فى موقد النجوم .

محمد القصاص



الفنان العالم

كنا نجلس فى مكتبته الضخمة التى جمع فيها آلاف الكتب بمختلف اللغات قديمها وحديثها خلال رحلة عمره الأدبى الطويل . وكان الحديث عذبا صافياً صفاء قلبه وروحه ، ينقلنا من القاهرة إلى باريس ثم يعود بنا إلى حيث مسقط رأسه فى قرية متواضعة من قرى الغربية اسمها « بسيون » .

ويبتسم الدكتور محمد القصاص . . الناقد المتخصص والأديب العالم الذى تخرج على يديه مئات الكتاب والنقاد . . نفس الابتسامة البريئة الطيبة التى كان يلقانا بها أيام الدراسة وهو يقول :

— كنت لا أتصور أن ترجع إلى حينما تريد أن تكتب عنى . . لأنك — كما أعتقد — من أكثر الناس معرفة بأسرار حياتى . . ولكن يبدو أن ذاكرتك قد شابت قبل الأوان !

وينطلق ضاحكا من كل قلبه وهو يقول :

— إن الدكتور طه حسين هو الذى غير مجرى حياتى ، لقد كنت معجباً به وبكتبه منذ أيام الدراسة بشعبة العلوم فى المرحلة الثانوية ، وبسبب هذا الإعجاب وهذا الحب تغير اتجاهى فدرست فى كلية الآداب . . وإلى فرنسا أوفدتنى الجامعة لأحصل على دكتوراه الدولة من جامعة السوربون ، ودبلوم مدرسة اللوفر فى تاريخ الفن ، وليسانس الآداب فى الفلسفة من جامعة باريس . . ودبلوم التروكاديرو فى علوم الإنسان ، ولما قامت الحرب العالمية الثانية لم أستطع العودة إلى مصر . . ولهذا كان على أن أبحث عن قوت يومى . .

— وهل نجحت أيامها فى العثور على قوت يومك ؟

— نعم . لما رأيت أنى سأمكث فى باريس كثيراً قمت بتحرير الصفحة الأدبية فى مجلة Carfour . . واشتركت فى فرقة مسرحية كانت تمثـــل على مسرح Les Champs Elyeées

وأذكر أن أول مسرحية اشتركت فى تمثيلها كانت مسرحية « الخطوة الأولى» لـكلود جير اليدى ابن الأديب العالمى المشهور « بول جير اليدى » . . وجيرمين ليبان أشهر مغنية أوبرا فى عصرها .

وأعرف من حديثه أنه أمضى أحد عشر عاماً فى باريس ثم عاد إلى مصر ليعمل فى جامعة القاهرة مدرساً للادب العربى ثم اللغات السامية ، وقبل أن يلقى محاضرة واحدة فى جامعة القاهرة اتصل به الأستاذ زكى طليمات ورجاه للتدريس بالمعهد العالى للفنون المسرحية بقسم النقد والبحوث الفنية .

فبدأ نشاطه فيه قبل أن يبدأه فى الجامعة التى تدرج فى وظائفها حتى أصبــح رئيساً لقسم اللغات الشرقية ورئيساً لقسم النقد الأدبى والبحوث الفنية بالمعهد العالى للفنون المسرحية ، ورئيساً لقسم الدراسات الفلسطينية التابع لجامعة الدول العربية ماراً بعضوية مؤسسة التأليف والنشر بوزارة الثقافة حيث أنشأ عدة سلاسل منها روائع المسرح العالمى وغيرها . .

وشارك فى النهضة المسرحية ناقداً ، وعضواً فى لجنة القراءات على مدى أكثر من عشر سنـــوات مضت ، ومعظم النقاد وكتاب المسرح من تلاميـذه الذين يفخر بهم . .

قلت له : إلى أى وجهة تتجه عنايتك بالتأليف وقد تشعبت نواحى تخصصاتك العلمية ؟

فقال :

— تتجه وجهتين ، وجهة علمية تسد فراغات الدراسات الجامعية من بحوث لغوية وتاريخية وحضارية سامية .

أما الوجهة الثانية فهى الوجهة الفنية ، وتحتضن ترجمة روائع المسرح وتاريخه . ودراسات حول المدارس الفنية وتاريخ المسرح المصرى . . وبعض هـذه الدراسات قد نشر وبعضها — وهو يملأ آلاف الصفحات — مما ألقيت من محاضرات على طلاب معهد الفنون المسرحية ، ومعظم هـذه الدراسات تحتاج إلى بعض الفراغ لمراجعتها لـكى تصدر فى كتب ونرجو أن يكون الوقت الذى أتمـكن فيـه من هذه المراجعة قريبا .

— وأى كتاب تعتز به من هاتين المجموعتين ؟

— كتاب الشعر العبرى فى المجموعة الأولى . . وقصـة « الذباب » لسارتر فى المجموعة الثانية .

والأول يبحث فى نشأة الشعر والأوزان الشعرية لدى الأمم السامية . . وبالتالى يتكلم عن قوانين الشعر الأدبى لدى العرب ، وكيف كانت تختلف اختلافاً كلياً عما نسميه بحور الشعر فى اللغة العربية الآن . . وقد كتب عن ذلك بمناسبة صدور هذا الـكتاب الأستاذ العقاد فى مجلة الشهر حيث أكد فى مقاله عن هذا الـكتاب أن الشعراء المحدثين لم يخترعوا شيئاً من الناحية الفنيـة البحتة وأن دروب الشعر فى فى اللغـات المختلفة قد اتجهت فى الوزن الشعرى اتجـاهات لا تـكاد تحصى منها الاقتصار على التفعيلة دون البحر .

قلت له :

— وماسر اتجاهك لترجمة بعض الروائع المسرحية ، وبالذات نحو إنتاج الفيلسوف الفرنسى المعروف « سارتر » ؟

قال : أولا هوايتى الطبيعية نحو المسرح تأليفاً ونقـداً ، وتمثيلا وإخراجا إلى آخره ، تلك الهواية التى دفعتنى إلى دراسة هذه الدروب من الثقافة فى باريس والحصول فيها على بعض الديبلومات .

ثم إلى ممارسة التمثيل فعلا على خشبة المسرح بباريس ، وذلك وحده يكفى لدفعى إلى ترجمة ما أشعر أنه يمثل اتجاهاً معيناً فى تاريخ المسرح . . أما عن ترجمة آثار جان بول سارتر[1] بالذات فذلك لأن مذهبه فى الأدب والفن والفلسفة والحياة من المذاهب التى جذبتنى إليها بكل شدة . يضاف إلى ذلك عامل آخر هو صداقتى الشخصية لسارتر ، ومعرفتى به قبل أن تعم شهرته أركان العالم الأربعة . وطول مناقشاتى معه فى آرائه فى نظام المجتمع ودور الأديب فى تعديل هذا النظام مما حمله على قوله بالالتزام فى الأدب ومسئولية الأديب مسئولية من يشرع للناس أجمعين .

وحين اعتزمت ترجمة آثار سارتر تفضل المؤلف مشكوراً فكتب لى مقدمة لنشرها باللغة العربية وإن لم يتح لى هذا النشر بالرغم من أنى تمت بترجمتها جميعاً قبل أن يعرف الكثيرون اسم سارتر . . أو شيئاً عن الفلسفة الوجودية .

— هل يمكن تركيز مضمون الالتزام ؟

— يرى سارتر أن كل كاتب ملتزم منذ أقدم العصور ولا يدعى لنفسه أكثر من أنه اكتشف هذه الخاصة ، ومعنى الالتزام أن الكاتب لا يكتب إلا لأنه يريد أن يقول شيئاً . . يريد أن يبلغ الجماهير رأياً معيناً .

وإذا كان الأمر كذلك فيجب أن يكون على بينة من هذا الأمر ، وأنه مسئول عما يكتب لأن ما يكتب قد يغير نظام المجتمع ، وإذن فلا بدأن يكون على بينة من ذلك ، وأن يسأل نفسه قبل أن يكتب ما يريد أن يكتب ، ماذا يكون الحال لو أن الناس جميعاً تبعونى فيما أقول ؟ وهنا ندرك مسئولية الأديب فإنه إما أن يكرم وأن يرفع إلى عنان السماء ، وإما أن يُقذف فى غياهب السجون وهو المسئول عن ذلك ، وإذا تذمر مما قد يحيق به من هذا القبيل فما كان عليه إلا أن يبحث له عن مهنة أخرى

---

(١) ترجم الدكتور القصاص وألف حتى الآن نحو ٤٥ كتابا فى مختلف الفنون والآداب .

يرتزق منها . وليس الفن والأدب مجرد مورد للرزق ولكن أولا وقبل كل شيء ادعاء لتكوين مجتمع سعيد ، ومعنى ذلك أنه يتحتم على الأديب ألا تمر قضية من قضايا عصره أمام عينيه دون أن يكون له رأى فيها . . ودون أن يكون من المشاركين فى حلها حتى ولو لم يتكلم .. لأن سكوته فى هذه الحالة يعتبر موافقة ضمنية وهو مسئول عنها .

— وما الذى ينبغى أن يكون عليه الكاتب والناقد بوجه عام ؟

— لا أطلب إلى الناقد أو الكاتب إلا أن يكون هو هـــو ، إلا أن يكون صادقاً معبراً عما فى قرارة نفسه بكل دقة وإلافتباً للأدب وتباً للفن ، مادامًا لا يطلعانقا على رأى الأديب أو الفنان الحقيقى فى الحياة والمجتمع الذى يعيش فيه .

— ومن هو مثلك الأعلى بين كبار الأدباء ؟

— طه حسين ، وجان بول سارتر ، وقد أختلف عنهما فى بعض الآراء ولكن أتفق معهما دائماً فى أن يكون الكاتب أو الناقد صادقاً شجاعاً موجهاً كل جهوده وحياته لخدمة المجتمع الذى يعيش فيه .

حياتى فى لندن :

وإلى حياته الخاصة انتقل الحديث ومنه عرفت أنه تزوج من الدكتورة ليـــلى عثمان . . وأنه أنجب طفلتين — حتى الآن — ثانيتهما قام بحضانتها خلال إقامة زوجته فى لندن عنـــدما كانت تعد للحصول على أول دكتوراه حصلت عليها مصرية ، لأن حياتها فى لندن لم تسمح لها بالجمع بين الدراسة وتربية الطفلة والعناية بها . .

سألت الدكتوره ليلى :

— كيف أمضيت أعوام دراستك فى إنجلترا بعيدة عن طفلتيك الصغيرتين ؟

قالت :

— إن روح التحفظ عنـــد الإنجليـــز جعلتنى أعيش عاماً كاملا بلا أصـــدقاء

أو معارف . كانت وحدتى قاسية . . كنت أعتقد أن الطريق مفروش بالزهور . . شد ما كانت آلامى وأنا لا أجد أحداً يعطينى معلومات صحيحة . لأنه ليس من السهل أن تعقد صداقة مع أحد هنا إلا بعد دراسة طويلة . . ليس الحال كما هو عندنا فى مصر .

وبعد مدة طويلة بدأت أتردد على السينما والمسرح الجامعى . . وهو يقدم بالمجان مسرحيات شكسبير وغيره من الأدباء القدامى . . وفى لعبة التنس وجدت بعض الراحة . .

— وعطلة نهاية الأسبوع كيف كانت تمر عليك ؟

— كنت أقوم برحلات علمية خارج لندن ترتبط بفرع تخصصى فى الجغرافيا .

ارفعوا المبلغ :

وأقف على معلومات مثيرة من الدكتورة ليلى . . معلومات ترتبط بحياة طلاب بعثتنا فى إنجلترا . . إن هؤلاء الطلاب حالتهم فى حاجة إلى مزيد من الدراسة والبحث . . لرفع مرتباتهم خصوصا من كانوا منهم فى المراحل النهائية كالدكتوراه . . ليعيشوا فى مستوى مناسب . . يتفق مع ما بلغته بلادهم من مكانة عالية فى نظر الإنجليز . . مثلا كانت ليلى تقبض ٤٨ جنيها فى كل شهر . . وكانت لا تكفيها مطلقا . . لأن إيجار الحجرة يبلغ خمسة جنيهات ونصف فى الأسبوع . . ويكفى أن تعلم أنها غيرت المسكن خمس مرات فى ثلاثة أشهر لتدرك إلى أى حد يواجه أبناؤنا الصعاب فى المدينة الكبيرة لندن . وأنها فى أثناء السنوات الثلاث الأخيرة فى الجامعة أقامت فى بيت للطالبات وكانت تتناول فيه فطورها وعشاءها ، أما الغذاء فكان على الكلية أن تقدمه لها .

— وماذا يصنع المسئولون عن الطلاب فى لندن . . ألا يساعدون الطالب الذى يقع فى أزمة .؟

— الواقع أن الهيئة الموجودة فى لندن للاشراف على الطلبة ينبغى أن تحس بمشاكلهم . . إننى أعتبر أن مهمة هذه الهيئة لا ينبغى أن تقتصر على حل المشاكل الدراسية . . وتلقى التقارير والرد عليها . . وحجز الأماكن للطلبة وإنما يجب أن أن تتعدى هذا المضمار المحدود إلى الاتصال الشخصى بالطلبة للتعرف على مشاكلهم الشخصية والنفسية وحلها . . لأن مثل هذه المشاكل كثيراً ما تصبح عقبة فى إنتاج الطلاب وتحصيلهم .

وينتقل الحديث إلى موقف طالبات الجامعة فى لندن من نواحى الزى . . العلاقات الخاصة . . الحرية . . آخر أنبائهن .

قلت لها :

— وكيف كان مظهر زميلاتك الطالبات بالقياس إلى تلميذاتك هنا . . فى الجامعة ؟

قالت بعد تفكير وابتسامة اشفاق تبدو على شفتيها :

— لاحظت أن زى الطالبة الانجليزية بسيط وحشمة ، وذلك بالنسبة لتقاليدهن . الملابس عملية . . بنطلونات . . فرق شاسع بين زى الطالبات هنا وهناك . . بكل أسف الطالبة هنا كثيراً ما تتصور أنها ذاهبة إلى حفلة سواريه لا إلى الجامعة . .

قلت :

— وملابس الموظفات والعاملات ما هى ملاحظاتك عليها ؟

قالت :

— الموظفة . . السكرتيرة . . المرأة العاملة بصفة عامة ، تعتنى بمظهرها جداً وخصوصاً إذا كانت مقبلة على مشروع زواج . . ويكفى أن تعلم أن السكرتيرة ماهيتها ٥٠ جنيها فى الشهر لتدرك إلى أى حد ارتفع مستوى المعيشة بين العاملات .

— وبماذا تنصحين طالباتك فى جامعة عين شمس ؟

— أنصحهن بالاعتماد على النفس .. بحرية التفكير .. بالإقبال برغبة شديدة على القراءة وعدم الاعتماد على المحاضرات .. باتقان لغتين أجنبيتين .. وعلى الجامعة أن توفر لهن الكتب والمراجع غالية الثمن .

قلت لزوجة الدكتور القصاص :

— هل يفرض الأساتذة في لندن كتبهم على الطلاب كما يحدث هنا في بعض الكليات ؟

قالت :

— أبداً ، الكتاب المقرر على طالب الجامعة هناك متوافر في أكثر من عشر مكتبات جامعية وفي متناول أيدى الطلاب بلا مقابل .. لأن الدولة تدفع ثمن كل ما يلزم لإراحة الطالب وتوفير أسباب البحث العلمى له .

ومضت تقول :

— والمجلات العلمية — فى جامعاتنا بكل أسف يرجع تاريخها إلى عام ١٩٥٨ بينما تتابع فى الخارج نظم التطور العلمى فى كل عام دراسى جديدأما الطالبة فهى بلامتاعب حرية شخصية مكفولة ، الكتب ، تسهيلات الدراسة مكفولة .. عادة كلهن يسافرن إلى خارج إنجلترا لزيارة أى دولة أوربية . بعضهن يعملن فى أثناء الدراسة وفى الصيف حتى لا يصبحن عبئاً ثقيلا على الآباء .

التفانى فى العمل :

وتحول مجرى الكلام من جديد إلى الدكتور القصاص بعد أن ظل جالساً يرقب زوجته ويستمع إلى أحاديثها ، بفخر واعتزاز .

سألته :

— وماذا يعجبك فى زوجتك ؟

قال وابتسامة عريضة ترتسم على شفتيه :

— إنها مخلصة ، صادقة ، تتفانى فى كل ما تقوم به من عمل .. ولا تعرف الالتواء أبداً ، بل لعل من محاسنها أو من معايبها أنها لا تعرف الوسط فى كل أحكامها على الأعمال أو الأشخاص .. حكما قاطعاً إما بالخير .. أو بالشر .. تجهل جهلا تاماً ما يسمى بالحل الوسط ..

محمد عبد الحليم عبد الله



القصاص الطيب القلب

فلاح طيب .. يحتفظ بلهجته الجادة الجافة ، ولكنهما تدل على طبيعته . على أنه يأخذ نفسه بالشدة وبالعنف .. وأن الكتابة والقراءة مسألة جادة ، وهموم حقيقية .. وهو من الأدباء الذين يفرضون الحجاب على زوجاتهم . وواحد من الذين لعبوا دوراً فى فن القصة فى بلدنا .. عالج فى قصصه مشكلة الغيرة والشك وما تؤدى إليه فى النهاية من تحطيم الأسر السعيدة ، وعرف مغامرات الحب والغرام .. وأدخل السعادة فى قلوب قارئاته وقرائه .. وتخاطفت شركات السينما رواياته .. ومع ذلك فقد أغلق على زوجته باب حجرتها .. ومنعها من الظهور حتى لا يلتقط لها المصور — ولو من بعيد — صورة واحدة !

يتحدث إليك فى هدوء وبساطة ولكن وراء هذا الهدوء شحنة كبيرة من العواطف المتأججة التى علا رأسه الذى غزاه الشيب قبل الأوان .. وعندما تلقاه فى الشارع يسير على قدميه إلى المجمع اللغوى — لأنه لا يمتلك سيارة — يخيل إليك أنك أمام أحد رجال الدين الذين لا يعرفون غير الطريق إلى السجادة والمسجد .

إن محمد عبد الحليم عبد الله الأديب الذى ضربت قصصه الرقم القياسى فى كثرة التوزيع والرواج ، كما تقول سجلات الناشرين والمكتبات ، ولد مع مولد القصة المصرية قبل تسعة وأربعين عاماً ، وتزوج قبل تسع سنوات ، وما يزال يحتفظ بخطابات الإعجاب والحب فى مكتبه الخاص بالمجمع خوفاً من أن تراها زوجته فى مكتبه بالشقة المتواضعة التى استأجرها فى المنيل بعد زواجه باثنى عشر جنيهاً .

سألته[1] وهو يفتح لى أدراج مكتبه المملوءة بخطابات قارئاته والمعجبات به :

— ولماذا احتفظت بكل هذه الخطابات ؟

---

(١) فبراير ١٩٦٣ .

قال وهو يغلق أدراج المكتب فى رفق وحنان وكأنه يخشى أن تمتد إليهايدى بسوء :

— يعنى تريدنى أن أنقلها البيت ... يا أخى حرام عليك .

ولماذا لاتفعل .. هل تخاف أن تشك زوجتك فى إخلاصك ؟

قال :

— الشك من أخطر ما يصيب الحياة الزوجية بالتمزق .. ولقد عالجت هذه المشكلة فى قصة غصن الزيتون وكشفت فيها عن الأسباب التى جعلت البيت السعيد يتحول إلى جحيم . والتى جعلت الزوجين يذهبان معاً ضحية للشك .. مع أنهما كانا حبيبين ويتمنى كل منهما أن يعيش فى ظل الآخر .

— وهل ترد على المعجبات ؟

— لم يعد ذلك يناسب سنى .

الهدف قبل كل شىء :

وفتح الحديث الباب لمناقشة الأهداف الاجتماعية الكبرى التى ينبغى أن تتوافر فى القصص وكيف أن أكثر الكتاب فى بلدنا يهدفون فيما يصدر عنهم من قصص إلى المتعة الرخيصة فى كثير من الأحيان .

قلت له :

— الملاحظ فى إنتاج القصاصين العالميين أن لكل منهم مذهباً وفكرة تدور حولهما جميع قصصه . ولكن معظم إنتاج قصاصينا ليس له من هدف سوى الامتاع . أو نقل تجربة شخصية مرت بالمؤلف .. فما رأيك أنت فى هذا ؟

وتحسس عبد الحليم عبد الله الشعرات الباقية فوق رأسه ثم قال : لكى نقيس كاتب قصة مصرية بكاتب قصص عالمى يجب أن نقيس مجتمعنا بمجتمع الكاتب

الآخر ٠٠ لأن كاتبنا مندوب عن المجتمع والكاتب الآخر مندوب عن مجتمعه أيضاً ٠٠ ويجب ألا ننسى أننا فى مجتمع لا يزال فيه أميون إنك تكلف الكاتب العربى شططاً ، وهو الذى بدأ كتابة القصة منذ سنة ١٩١٣ فقط ، تكلفه شططاً إذا قلت له أنك يجب أن تكون صاحب فلسفة معينة كأى كاتب عالمى ٠٠ كما أن الكاتب يؤثر فى مجتمعه فأنه أيضاً ابن مجتمعه :

وأخذت أراقب حركات عبد الحليم وهو يغمض عينيه تارةويتحسس الكرافتة الأنيقة التى تلقاها هدية من أحد أصدقائه الأدباء فى الخارج تارة أخرى ٠٠ ثم سألته :

— أهكذا يتجه فن القصة عندنا ٠٠ والمفروض أن يكون لكل قصاص زاوية معينة خاصة به ؟

فقال :

— أنا رأيى فى الأدب المصرى المعاصر أنه لا بد أن يكون شيئاً متكاملا بمعنى أن يخدم كل كاتب من كتابه زاوية معينة فيه . بحيث يصبح الأدب المصرى فى مجموعه أشبه بسيمفونية عظيمة . تعانقت فيها الألحان ، فحين يكتب إحسان عبدالقدوس فى ناحية ونجيب محفوظ فى ناحية ٠٠ ويوسف السباعى فى ناحية ثالثة والشرقاوى فى ناحية أخرى يكون من هذا كله أدب مصرى متكامل العناصر .

ليس هناك عمل متصل بمجتمعه ويخلو من الهدف ٠٠ هذا مستحيل ، لكننا ظلمنا كلمة الهدف حين وضعنا فى أذهاننا مقدماً أن الهدف أهم من العمل الفنى وبذلك خلا كثير من الأعمال من تأثيره الفنى ففشل فى توصيل الهدف ، فالعمل الفنى الناجح هو الذى ينجح فى توصيل الهدف بواسطة سحر الفن .

قلت لأديب البحيرة :

— وما رأيك فيما يصدر عن القصاصين الناشئين من قصص المراهقة التى تسىء إلى المكتبة بصفة عامة ٠٠ والشباب بصفة خاصة ؟

— رأيى أن عملية الجنس — كما يستطيع أن يؤديها أى حيوان — فالكتابة الرخيصة

عن الجنس يستطيع أن يكتبها أى إنسان •• واعتقد أن المسئولية فى هــذه الحالة موزعة بين المؤلف والناشر والقارىء .

قلت :

— ألا ترى معى أن الوقت قد حان لتشكيل لجان من المتخصصين يعهد إليها بمراجعة ما يخرج من المطابع من مثل هذه القصص التافهة قبل أن تصل إلى أيدى القراء ، أسوة بما يتبع فى لجان القراءة فى المسرح والرقابة فى أفلام السينما ؟

— انى أعتقد أن العمل التافه يحمل جزاءه معه ، ويحمل نهايته معه ، وهو إن سبب بعض الأضرار فذلك خير عندى من أن نصادر قصة قد تكون مصادرتها سبباً فى شهرة صاحبها وقد قالوا فى المثل كل ممنوع متبوع !

قلت :

ثبت — كما قال الأستاذ التابعى — مرة فى « آخر ساعة » إن كثيرا من القصص الجنسية الرخيصة لقيت جزاءها من الربح المادى قبــل أن يحمل مؤلفها جزاؤه من سخط الجماهير •• فما ذا تقول أنت ؟

— جوابى على هذا أن الرذيلة تذكر قبل أن تذكر الفضيلة •• وأن كلمة الفضيلة لم تولد إلا بعد كلمة الرذيلة .

قلت له :

هل قرأت للشاعر فؤاد بليبل قوله :

يا ابنة العــار والخنا والرذيلة   أنا لولاك ما عرفت الفضيلة

نعم ، وصدق الشاعر فيما قال .

وعقب قائلا :

وإن الدعوة إلى المثل العاليــة لا تنتشر بالسرعة التى تنتشر بها الدعــوة إلى شىء ردىء •• خذ مثلا : لقد اشتهرت كهوف سان جرمان عن الوجــودية أكثر مما اشتهرت به حقيقة الحرية التى دعا إليها سارتر •• فحقيقة الحرية عنده هى حرية وتحمل مسئولية •• لا حرية وتحلل كما. فعــل أبناء كهوف سان جرمان •• ولكن من أشهر من الآخر ؟ ...

وقطع حديثنا مكالمة تليفونية وكان على الجانب الآخر الدكتور عبد القادر القط . وبدأ الحديث يدور بين الأديبين .. لا حول آخر أنباء الإنتاج القصصي أو أحدث نظريات النقد .. ولكنه دار حول أمراض القولون .. والمعدة .. والحموضة التي يعاني منها الدكتور القط وعبد الحليم عبد الله ، والحموضة راحت يا دكتور . يا سلام . طيب كل مسلوق .. وريح معدتك .

وهكذا كشفت المحادثة العابرة كيف أن المرض القولوني والمعدي أصبح ظاهرة خطيرة بين الكثيرين من الكتاب وقد نصحته أن يرجع إلى خبير القولونات الأول .. والأطعمة المسلوقة .. والمنبهات والمنومات أنيس منصور فعنده الأدوية والتجارب المريرة التي تفوق بها على أبرع الأطباء ؟

أدباء العامية .

ويدور الحديث عن العامية في لغة القصة وكيف أن الكتاب الجدد الذين يعتمدون على الحوار باللغة العربية غير مقروئين في البلاد العربية ولهذا لا تروج القصص العامية في تلك البلاد . مع أن من أهم أسباب الحب الذي يربط أبناء الدول الشقيقة بالكتاب هو حرصهم على استعمال الفصحى .

ولهذا يشكو بعض هؤلاء الذين يكتبون بالعامية من عدم توزيع كتبهم ، في مصر والبلاد العربية .

إن الأرقام تقول إن أعلى مستوى وزعت به قصة هو ٤٠٠ نسخة في البلاد العربية وفي مصر وهذا راجع إلى انصراف القارئ العربي عن الكاتب الذي يتعمد أن يكتب باللغة العامية .

سألته :

— وقصصك كيف توزع . وكم تبلغ الأرقام؟

— ما يقرب من خمسة آلاف نسخة .

— ولماذا تقول الأرقام أحيانا إن ١٠٠ ألف نسخة وزعت من إحدى القصص ؟

— إذا كانت هناك قصـــة توزع ١٠٠ ألف نسخة فى السنة فلن تكون هذه القصة إلا من نوع « ليلة الزفاف » أو « فن الحب ! »

— يقول الناشرون إن قصصك من أوسع القصص انتشاراً فكم بلغ رصيدك فى البنوك ؟

— لا أنكر أنى من الكتاب المقروئين ، ولكن لا أدعى أن عدد النسخ التى توزع من كتاب قادر على أن يرفع مستواى المعيشى إلى القدر المطلوب .

— أتتعامل مع التلفزيون الآن ؟

— سأبدأ التعامل معه فى شهر مارس، لأننى أعتقد أن الأديب غير قادر على عرض نفسه على جهات الإعلام .. وعند ما دعيت إلى تقديم بعض أعمالى لبيت الدعوة فوراً حيث أقدم تمثيليتين لمدة نصف ساعة مرتين فى الشهر .. وقد تذاع لى إحدى رواياتى مسلسلة .

— كم تكسب من قصصك . . ؟

— ما يكفينى لأعيش .. ومع أسرتى . كل ما يعطيه لى الناشر هو ٢٠ ٪ من ثمن بيع النسخة من كل قصة .

رأى فى الآخرين :

قلت له :

— هل تكتب لتكسب ، أم تكسب لأنك تكتب ؟

فقال :

— هل تأكل لتعيش .. أو تعيش لتأكل ؟

ومضى يقول وهو يضحك :

— الذى لا شك فيه أن كل إنسان يأمل أو يحب أن يكون من طائفة الذين يأكلون ليعيشوا لا العكس فأنا من طائفة الذين يكسبون لأنهم كتبوا، لا من طائفة الذين يكتبون لكى يكسبوا ،لأن الحاجة الأخيرة تكلف الكاتب أن يرى فى السوق عملا فى قرارة نفسه غير راض عنه . إنها ستكون بمرور الزمن حين تتراكم بين أيدى القراء مثل

الذنوب ، والديون التى تكسر ظهر صاحبها ! ولكن الحاجة تدعو أكثر المشتغلين فى الأعمال الفنية والأدبية إلى أن يعملوا ليعيشوا .. أنا بلا رصيد .. بلا بيوت .. بلا عقار .. ولا حتى مسكن لا يدفع عنه إيجاراً .

— وما هو رأيك فى إحسان عبد القدوس ؟

— أحبه كقصاص .. وأعتقد أنه أول كاتب قصة استطاع أن يعالج كثيراً من الأمور والأوساط التى تحرج عنها سابقوه بجرأة ومهارة فنية يستحق عليها النجاح والحسد .

— هل ترى أن إنتاجه يدخل فى نطاق الأدب الجنسى المكروه ؟

قال :

— كل أديب من أدبائنا له عيوب ظاهرة . فهل يعنى ذلك أننا لا نقرأ أدبه ؟ وبهذه المناسبة أقرر أن كثيراً من السمات أو الصفات العامة التى تشيع عن كاتب معين إنما تردد بين الناس بطريقة التقليد الصرف على أن يهتف بها واحد فقط فترد عليه المجموعة .. فى حين أنه يجب على كل فرد من أفراد هذه المجموعة أن يكون رأيه الخاص ببحثه الشخصى فعندما قال النقاد عن احسان إنه كاتب جنس . رددها كثير من النقاد .. وعلى مختلف درجاتهم دون أن يكلفوا أنفسهم عناء البحث عن لباب فنه .

سألته :

— ما الفرق بينك وبين نجيب محفوظ ؟

ومط شفتيه وهو يجيب :

— لا تسألنى هذا السؤال ؟

— وأحسن خمسة قصاصين من هم ؟

قال :

— نجيب محفوظ . إحسان . يوسف السباعى . الشرقاوى . البدوى .

— وأنت ؟

— لا أستطيع أن أضع نفسى فى الطابور .

قلت له :

— قصصك اشترتها شركات السينما فكيف لم تجمع منها ما يمكنك من شراء سيارة وأنت تتعامل مع النجوم ؟

— كل ميسر لما خلق له ، فهناك أناس يبذلون أموالهم فى القمار وآخرون يدخرونها ويحرمون أنفسهم منها، وكل هؤلاء يتلذذون بأعمالهم وأنا أيضاً تلذذت بما عملت فأنا مختار لا مجبر . .

الناقد غلطان .

— والدراما فى الأغنية ما رأيك فيهـا بعد ما سبق أن قلت عنها فى اذاعة صوت العرب ؟

— أنا عند رأيى فى أن الأغنية العاطفية يجب ألا يطبق عليها قواعد الدراما لأن الأغنية العاطفية من أبسط أنواع الأغانى، وهى تثير فى النفس مشـــاعر جميلة تغمرها بالبهجة ويكون أثر ذلك فى صفاء النفس، وحبها للحياة، وإقدامها على العمل . وأنا حين أقول دراما فأنا أقصد أعلى درجات الدراما لا القدر الضرورى الذى يجب أن يتوافر فى كل عمل فنى كما يرى أحد النقاد .

— من هو الكاتب العربى الذى تأثرت به ؟

— جبران خليل جبران . فى الأجنحة المتكسرة، أذكر أنه كان يصف فيهـا أحد مشاهد الطبيعة واذكر أن اليوم كان شتوياً دافئاً . وإننى كنت جالسا فى الحقل

وفى السماء سحاب أبيض فحينما كنت أقرأ هـذه القطعة خيل إلى أنه يصف المشهد الذى يطلع أمام عينى وقتها ولذلك جئت إلى القاهرة وأنا ابن ١٤ سنة لألتقى بمؤلفاته فى دار الكتب .

وكان من حسن حظى أن أسكن فى باب الخلق ، فقرأت جبران وطه حسين والمنفلوطى . . وعلى ذكر المنفلوطى لى كلمة هامة أريد أن أقولها :

— بعض النقاد كانوا يقولون إن عبد الحليم عبد الله تطور جديد للمنفلوطى . . ولعل أهم ما كتب فى هـذا الموضوع هو ما نشره دكتور مندور على صفحات الجمهورية :

— إن المنفلوطى كاتب اشتراكى مبكر دافع عن الفقراء والمظلومين .

— ومثلك الأعلى بين الكتاب الأجانب من هو ؟

— بلزاك .

هل تقرؤه بالفرنسية ؟ .

— أقرأ كتبه المترجمة ، وأنا أعرف الفرنسية فعلا ولكنى لا أستطيع هضمها بقوة

— ومن الكتاب الإنجليز ؟

— جراهام جرين . وتوماس هاردى .

بقى آخر ما يجب أن تعرفه . . إن عبد الحليم عبد الله أنجب حتى الآن طفلتين وولداً واحداً . . وانه يعتبر الرجل الإدارى الرابع فى مجمع الخالدين . . وأنه لم يدخل التليفون بيته حتى الآن .

محمد مظهر سعيد
«ونظله الحكيم»



دويتو سعيد

يعيش مع زوجته منذ ربع قرن بلا أولاد ! .. لم تعرف الدموع طريقها إلى عيونهما أبداً لأنهما كما يقولان يعيشان دائماً فى عز الشباب بالرغم من وقوفهما على أبواب الستين ربيعاً [1] ! وقبل أن يتزوجها كان أستاذاً لعلم النفس فى معهد التربية العالى للمعلمين ، وكانت تشاركه نفس المهنة .

لم يكن كل منهما يتصور أنه سيطبق نظريات علم النفس على زميله .. فيحنو عليه من إرهاق المحاضرات .. وشيطنة التلاميذ .. ومضايقاتهم .

ولم يكن مظهر سعيد يظن أن مثل عاطفة الحنو ستتطور بسبب وجوده فى المعهد مع نظلة الحكيم .. وتصبح انفعالا ثابتاً ينتقل إلى عاطفة حب كاملة كما يقول علماء النفس .

ولقد تعلمت أن تناقشه مناقشة الند للند .. وتعلم أن يحترم آراءها ويصغى إليها كلما وقفت تحاضر الرجال .. أو النساء .. ولما طلب يدها كانت هى أسبق من أهلها إلى قبول العرض . .

وخرجا معاً إلى الدنيا الصاخبة .. قلباً واحداً .. والأمل ثالثهما .

سر السعادة

كيف احتفظ هذان الزوجان بحيوية الشباب وهما فى الستين . ؟

ويجيب د . مظهر على ذلك بقوله :

— يرجع ذلك أولا — من ناحية أسلوب الحياة — إلى التنظيم ، ومن الناحية الوجدانية وهى أهم ناحية :

---

(١) فبراير ١٩٥٧ .

وفجأة تقاطعه نظلة بقولها : إن الفضل يرجع لى وحدى .. غير أنه يستمر قائلا :
— أنا لا أحمل فى نفسى ضغينة ولا حسداً لأى إنسان،وأعتبر أن كل من يخطىء معى ، إما مريض على أن أعالجه ، وإما جاهل ، وعلى أن أعلمه .

— وما هو دستورك فى الحياة ؟

— قلت فى ذلك قصيدة منها :

سعيد من يقول بملء فيه أعيش اليوم فى أوج الحياة
وأترك ما مضى يذوى بعيداً ليدفن فى قبور الذكريات

والتفت إلى نظله أسألها :

— وما هى طريقتك المحافظة على شباب الدكتور مظهر ؟

— أهم حاجة عدم الاهتمام بالتوافه .. والتفاهم على خط السير فى حياتنا من حيث عملنا وترفيهنا ، بحيث يكون جزء منه ثقافياً واجتماعياً .. ولذلك وضعنا ميزانسين للكتب والمجلات والاستماع للمحاضرات .. والاشتراك فيهما ، والجزء الاجتماعى يشمل اجتماعنا الأسبوعى فى ندوة يوم الأربعاء . ويدخلها تنظيم الضيافة . والاتصال بالأقارب والأصدقاء بصورة منتظمة موزعة توزيعاً عادلا على أشهر السنة .. وناحية إدخال السرور على النفس وزيادة الثقافة عن طريق المسرح والسينما والمعارض والرحلات .

— ومن الذى يستقبل ضيوفكما ؟

— نحن الاثنين .

— ألم يفرض عليك الحجاب ؟

— ليست لديه هذه الفكرة حتى الآن .

— وكيف تحتفظين بقلبه . ؟

— حبي له لا تدخله تجارة التجزئة ، بل تجارة الجملة فهو عندى أخ ، وزميل ، وحبيب ، وزوج .. يعنى أتعامل معه بطريق الجملة .

— ما هى أفضل سن للزواج ؟ .

وقال دكتور مظهر :

— بالنسبة للرجل من ٢٨ — ٣٢ .

وأسرعت نظلة الحكيم تقاطعه : لأ ،من ٢٨— ٣٤ والفتاة سن ٢٢ — ٢٦ .

— وهل تزوجتما فى هذه السن ؟

— نعم ، بعد عودتنا من البعثة ، وكان العمر فوق الثلاثين .

— وما الذى تحبه فى نظلة الحكيم ؟

— أعتبرها مرآتى .. أطالع فيها أحسن ما فى نفسى .. فنحن متفقان اتفاقاً يكاد يكون تاماً ، فى العلم والعمل والثقافة والاتجاه،والخدمة العامة والميول الفنية .. بل أن خط سيرنا فى حيـــاة التعليم والوظائف ، وحتى الدرجات والمرتبات ، كان واحداً .. وطلبنا الإحالة إلى المعاش معاً .

باه وماه !

قلت للمجوزين الشابين :

— لماذا ينادى أحدكما الآخر باسمى « بابا » و « ماما » ؟

فأجابت نظلة الحكيم :

— بابا كلمة أساسها غربى .. ويرجع إلى أن الأم تقلد أبناءها فى تسمية

زوجها بابا . والأب يقلد الأولاد بقوله لها : ماما حتى يكون مقياساً صحيحاً في بيئة الأبوة والبنوة من تبادل الاحترام ، والاعتراف بهذه الصلة .

وقال مظهر :

— باه وماه من أقدم كلمات اللغة الإنســـانية .. وترجمان إلى الأصل السنسكريتي القديم .. « فبا » معناه الحامي والمدافع والـكفيل والمربي و « ما » معناها الحانية .. المغذية .. العطوف .. المنظمة . وأنا أرى في ناظلة هانم كل هذه الصفات .. فقلتها ابتداء فجارتني بالرد عليها « بيا » .

٨٠ مليون ولد وبنت :

وقلت للثنائي المنسجم :

— متى تنامان ؟..

وفي صوت واحد قالا :

— الساعة الواحدة بعد نصف الليل .

— ومن الذي يستيقظ أولا ؟ .

— ماما الساعة ٦ .

— أليس لـكما أولاد ؟ :

وقال « باه » .

— لم يرزقنا الله أولاداً من صلبنا ، ولـكننا نشعر بأن لنا ٨٠ مليون ولد وبنت .. برغم كبر سنهم ومقامهم — ونحن مسئولون عن تثقيفهم وتـكوينهم كمواطنين صالحين .

واستدركت نظلة الحـكيم قائلة :

— خلفنا و بنت راحت بدرى .

هل المرأة شجرة مانجو ؟

وقلت لمساه :

— هل تؤمنين بتحديد النسل ؟ .

— طبعاً .. دى عملية ظاهرة فى كل الكائنات . وتحديد النسل بالطريقة العلمية لا يتنافى مع الدين ، ولا مع الكرامة والإنسانية . . لأن الكمية التى تتلقح منها البويضة الواحدة تشتمل على آلاف الجراثيم التى كان يمكن أن تزيد من النسل ، وهى من الكثرة بحيث لا يمكن للمرأة أن تحتملها . . وأقرب تشبيه لهذا ما تحمله شجرة المانجو أو الرمان أو البرتقال من أزهار ، لو لقحت جميعها لناءت بحملها . . ولصار المحصول من أردأ الأنواع لعدم كفاية الغذاء والمرأة ليست شجرة مانجو !

سألته :

— لماذا احتفظت بزوجتك — طوال هذه المدة — رغم أنها لم تنجب لك أطفالا ؟ .

فأجاب شعراً :

— إذا كان ثوب الحب أبيض ناصعاً

ولحمته طهر وإخلاصه سدى

فأحرى بمن يهنا به أن يصونه

نقياً وإن يعطى الحياة له فدى

علم النفس فى الميزان :

— هل علم النفس تهريج كما يرى بعض الناس ؟ .

وثارت نظلة الحكيم بشدة وقالت :

— إذا كان الطب وإجراء العمليات مجرد تهريج . فكذلك يكون علم النفس .

وعن اللغات التى يجيدانها دار حديث عرفنا من خلاله أنهما يجيدان الانجليزية والفرنسية ؛ واليونانية ، والهندستانية ، ويقرءان الإيطالية والاسبانية .

وإن الدكتور مظهر ألف حتى الآن ٦٤ كتاباً ، وهناك أبحاث باللغة العربية والإنجليزية . . وديوان شعر لم يطبع بعد ، وست مسرحيات يقول عنها إنه لا يستطيع إخراجها إلا بعد سنوات حتى ينضج مستوى الجمهور . .

— وهل سجلت قصة حبك لنظلة الحكيم فى ديوان الشعر ؟

نعم ، وفى سلاسل ، منذ كنا نعلم الطلبة فى المعهد . .

— وأول كتاب تأثرت به ؟

— القرآن .

— كم يبلغ رصيدك من التأليف ؟

— صفر . . ما عدا (١٥٠ جنيه) من وزارة المعارف لتأليف الكتاب الأول والأخير لها .

— كم كتاباً عندك ؟

— لا أستطيع حصرها ، وفى كل عام أوزع ما بين ٤٠٠ و ٥٠٠ كتاب للجمعيات والهيئات . .

— ومصلحة الضرائب ماذا تفعل معك ؟

— ما زالت تطالبنى بـ ٢٥٠ جنيهاً ضرائب عن مقالات ومحاضرات ! .

— وكم رصيدك من التلاميذ ؟ . .

— صلتى لم تنقطع بتلاميذى من الصين إلى أمريكا ، ومن تلاميذى وأصدقائى فى الصين مستشار الدولة شاهكوجيم ، والزعيم الدينى ماتوسان ، ومحمد مكين عميد قسم اللغة العربية بجامعة بكين .

— كم رسالة تتلقاها من أصدقائك ؟

— ٥٠٠ رسالة فى العام .

— من أحب الأدباء المعاصرين إلى نفسك ؟

— فى الدراسات العميقة . . عباس العقاد ، وأمين الخولى ، والمرحوم هيكل . وفى الأدب . . طه حسين ، وتوفيق الحكيم ، وتيمور .

— ونازلة هانم ؟ .

— المرحوم هيكل بس ! .

— وما الفرق بين زوجك ، وبين توفيق الحكيم ؟ .

— الحكيم دأب على الإنتاج الأدبى وتفرغ له وصارت له هذه المؤلفات الكثيرة . . وأما مظهر فقد كانت رسالته التثقيف العام للجماهير ، فأخرج نشاطه عن طريق المحاضرات العامة والمقالات ، ومكافحة الأمية ! .

— من الذى يعد لكما الطعام ؟ .

— صحيح فيه طباخ ، ولكن كله من عمل إيدى . . حتى المربى والطرشى والروائح . . وعندى مفكرة ربة البيت التى سجلت كل ما يلزمه بها .

فى الليل لما خلى :

— هل تقضيان ساعات البحث والاطلاع معاً ؟ .

— كل منا له مكتبته الخاصة يطالع فيهما أو فى غيرها وقتما يشاء ، بل الواحد منا لا يطلع على مقالات الآخر إلا عندما يراها منشورة فى الصحف والمجلات ولا يعلم شيئاً عن محاضراته إلا عند ما يسمعها مع الجمهور .

— وما رأيك فى الإذاعة ؟

قالت :

— تحسنت عن ذى قبل ، واللى على البر عوام ! .

— وأهم ما يدعوك لفتح الراديو ؟

— روائع النغم . . وأحاديث الدكتور حزين .

— وما أقرب ألوان الموسيقى إلى سمعك ؟ .

— الموسيقى الكلاسيك ، وتستطيع أذنى أن تفصل صوت المغنى عن صوت الموسيقى فلا أسمع سواها .

— وأحب الأغانى إلى الدكتور مظهر ؟ .

— فى الليل لما خلى .. وفاكر لما كنت جنبى !.

— والأغانى الحماسية ؟.

— نشيد الله أكبر .. وإلى المعركة .

وانتقل الحديث إلى السينما والفراغ فى حياتهما .

فقال الدكتور مظهر : لدى مجموعات من المسرحيات والسينمائيات ولكنى لا أود أن أغامر بها فى الجو الفنى الحاضر .. والأمور مرهونة بأوقاتها .

— وما هى أسعد أيام الدكتور ؟

— يومان .. أولها الجمعة حيث أخلو بزوجتى عن الناس .. ويوم الأربعاء حين أخلو عن نفسى إلى أصدقائى وأحبائى !

نصائح العمر :

وإلى السعادة انتقل الحديث فقال د . مظهر :

لعل تعريف الروائيين لها هو أصدق تعريف « أن تضيق دائرة الكماليات حتى تنطبق على الضروريات وإذا لم يكن ما تريد فأرد ما يكون » .

وقالت « ماه » وهى تحاول إسكات زوجها :

— فى رأيى أن السعادة حالة إيجابية من الاطمئنان .

قلت لها :

— وما هى النصيحة التى تقدمينها للأديبات الصغيرات ؟.

— الاعتماد على النفس . . والاعتزاز بالشخصية عند الإنتاج ، و « شمخة »

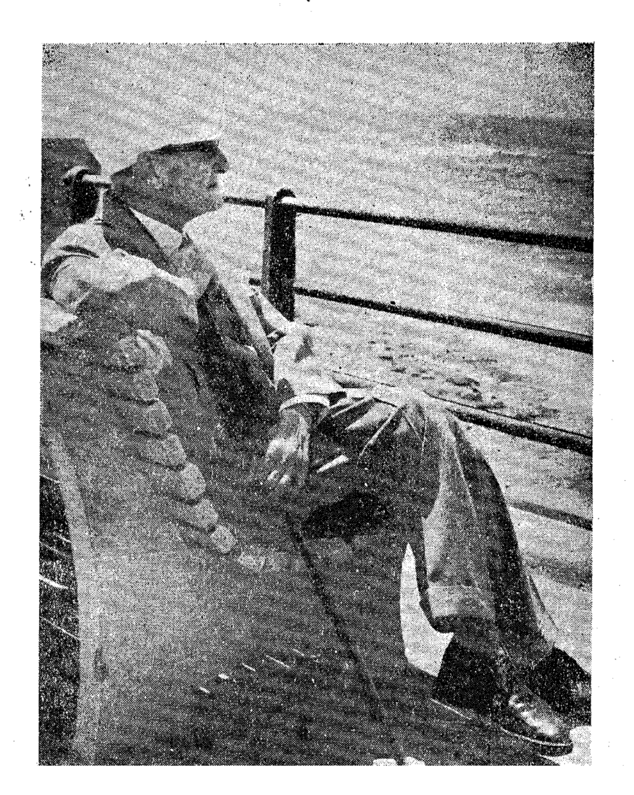
الشخصية الفذة تحقق مجال النجاح .. أما أن تصعد الأديبة على أكتاف غيرها ، فهذا ليس من الأمانة العلمية فى شىء ؟ .

— وما هى النصيحة التى يقدمها « بابا » لأدباء الشباب ؟ .

— الأدب يقوم على أربعة أركان :

التعبير اللغوى .. والإحساس الصادق .. والدراسة العميقة للنفس البشرية والمجتمع ، والصبر على الإنتاج .. فلا بد من اتقان اللغة وأساليبها . ودراسة علوم النفس والاجتماع .. وتكرار المحاولة والصبر على الفشل !

محمود تيمور



مع ربع مليون من المصيفين ذهب إلى الإسكندرية ولكنه لم ينزل إلى البحر ..

وفى البيت العتيق الذى يشبه دوار العمدة ،والذى يعتبره قطعة غالية من تاريخ أسرته، يعتكف طوال أشهر الصيف والخريف . . وقبل مجىء الشتاء يعود إلى القاهرة ليمارس نشاطه فى معجم الحضارة وتأليف القصص . والحكم على إنتاج الآخرين من الأدباء! وهكذا يمر العام على محمود تيمور « ٧٢ سنة » الأديب الذى ولد وفى فمه ملعقة من ذهب — كما يقولون — ولكنه رماها بعد أن أصبح شاباً .. وعرف معنى المساواة والعدالة .

وليس هذا الوصف من عندى ولكنه من إحدى رسائله قبل أربعين عاما عقب زيارته لضيعة أبيه ، وجاء فيها :

« يا لنقمة الطبيعة ويا لظلم الإنسان .. ألم يصبح تولستوى عندما وزع ثروته على الفلاحين ولكنى غير تولستوى . . ويستحيل أن أفعل ما فعل إلا إذا وصلت لدرجة إيمانه بمبادىء العدل والمساواة ! »

— وكيف ترى الدنيا من حولك الآن بعد أن دارت عجلة الأيام . . وتحققت الأحلام . . وأصبحت الأرض لمن يزرعها بزوال الإقطاع ؟

وفى نبرة عذبة واطمئنان وإيمان يظلل وجهه قال :

— لقد تغيرت الدنيا تماما بالقياس إلى ما كانت عليه قبل الثورة . .

نحن حتى الآن نسير فى الطريق الصحيح .. الطبقات تقترب بسرعة .. أعرف كثيرين من العمال والخدم وسائقى السيارات الذين كانوا فيما مضى لا يستطيعون امتلاك الضروريات أو مجرد زيارة الاسكندرية وقد ارتفع دخلهم حتى تحولوا إلى أصحاب جراجات . . وشاليهات .. الطبقة الفقيرة ترتفع إلى الطبقة المتوسطة فعلا ..

وهذا في رأيي هو العلاج الحاسم للقضاء على الفوارق الطبقية ..

أين نحن من الشتاء ؟

وكنت في أثناء حديثه الحلو أطيل النظر إلى بدلته الصوفية الثقيلة التي يرتديها .. والصديري القطيفة .. والكوفية التي تعانق رقبته والبرنيطة الجوخ فوق رأسه وأتساءل :

— ألسنا نجلس في حديقة المنزل والجو حار فلماذا كل هذه الملابس يا ترى ؟

ويخرج صوته هادئاً :

— الاحتياط أحسن على كل حال .. والجو في الإسكندرية الآن متقلب .. وأنا من الذين يعنيهم الشاعر الذي قال :

إذا جاء الشتاء فأدفئوني   فإن الشيخ يهرمه الشتاء !

— ولكن أين نحن من الشتاء يا أستاذ تيمور .. نحن الآن في سبتمبر وبيننا وبين الشتاء مسافة طويلة تسمح لك بزيارة البلاج مرة كل يوم فهل تفعل ؟

وفي ذعر وخوف سمعته يقول :

— البلاج ؟ .. لا أستطيع زيارته أبداً فأنا في الثانية والسبعين الآن .. وصحتي تضمحل يوماً بعد يوم .. وفي حاجة إلى الراحة فأنا لم أقابل أحداً منذ جئت إلى الإسكندرية .. حتى نادي القصة الذي كنت أتردد عليه قاطعته في هذا العام وظللت معتكفاً هنا .. في البيت .

— ومن الذي يؤنس وحدتك هنا ؟

— أعيش هنا مع زوجتي .. وسيد علي السفرجي .. ومحي الدين الطباخ .

ويشير تيمور إلى أولهما وهو قادم يحمل القهوة ويسأله :

— عمرك كام الوقت يا سيد ؟

ويبتسم الرجل النوبى فى وداعه. وهو يجيب :

— ٧٢ سنة تقريبا .

ومن الحديث بينهما أعرف أنه التحق بخدمته قبل أربعين عاماً عندما ولدت أولى بناته .

سر شبابى :

يسكت تيمور لحظات ثم يستأنف حديثه :

— أنا لم أفتح بابى لزائر غريب أو قريب طوال أشهر الصيف لأن عينى قد ضعفتا كثيرا عن العام الماضى .

— والعملية التى أجريت لك فى أسبانيا ألم تتم بنجاح ؟

— الحقيقة العملية نجحت .. لكن ضعف صحتى وعدم مقدرتى على مقاومة الشيخوخة من العوامل التى تزيد من ضعف إبصارى . وأنا مولود فى يونيه ١٨٩٤ .

— يقال إن للوهم أخطر الآثار فى حياة المفكرين ويبدو أنه قد تطرق إلى نفسك بينما صديق طفولتك زكى طليمات ما يزال يمرح فى الصيف بالقميص الملون والبنطلون القصير وكأنه فى الثلاثين .

— زكى عوده طبيعى ، واللى نفعه أنه التفت للألعاب الرياضية .. أما أنا — فمع البلاوى وأمراض المعدة والقولون — أعتقد أن الألعاب الرياضية وحبى للكرة فى شبابى هو الذى حفظ لى بعض النشاط البدنى .. أنا كنت لعيب كبير ومن الأشياء التى ساعدتنى أيضاً أن عندى عملا باستمرار .. العمل يغسل الحياة ويصلح الصحة .

متى دخلت المسرح ؟

ويدور حديثنا حول العمل . . وأراه ينهض من مجلسه إلى داخل البيت المغلق النوافذ من كل جهة ليعود بكشكول وكتاب . . يجمع أحدث ما أنتجه من ألفاظ الحضارة ، التى تخصص فى تقديمها لمجمع الخالدين فى كل عام .. والتى بلغت حتى الآن

أكثر من ثلاثة آلاف كلمة ضمنها معجم الحضارة الذى صـدر له أخيرا . . والثانى « خطوات على الشلال » .

وقد حرصت أخيراً على تقسيم معجم الحضارة بحسب المواضيع . . ولهـذا فأنا أعيد تنظيم هذا المعجم على هذا الأساس .

— وماذا عن كتب المسرح ؟

— آخر ماصدر لى من الكتب التى تعالج قضايا المسرح هو كتاب « طلائع المسرح ».

وهو يتضمن ذكرياتى عن المسرح ابتداء من أول رواية شهدتها وعمرى ٧ سنوات وكانت رواية « توسكا » التى كانت تمثلها جمعية خيرية بطلها اسماعيل عاصم الذى قدم للمسرح روايات الشيخ سلامه حجازى فى مطلع هذا القرن .

— وماذا فى الطريق إلى المطبعة ؟

— قصة اسمها « معبود من طين » وقد عرضتها على بعض أصدقائى مثل ثروت أباظة . . وقد ضمنتها آراء فلسفية نقدية اجتماعية .

الحرب والسلام :

وانتقل الحديث إلى دور الأدباء والكتاب فى تناول مشكلات الساعة والتنديد بالحرب والدعوة للسلام ودور تيمور بالقياس إلى بعض الأدباء العالميين مثل « راسل » و « سارتر » .

قلت لتيمور :

— وماذا تظن أنك أضفت إلى الأدب العربى ؟

قال وابتسامته تداعب شفتيه :

— أنا أدع غيرى يجيب عن هذا السؤال .. ومع ذلك فأنا أفخر بأنى من الدعاة الأوائل الذين نهضوا بالقصة العربية . . وتابعوا العمل فيها بنجاح حتى اليوم .

قلت له : ولكنك لم تندد فى قصصك بالحروب كما فعل أدباء آخرون من الأجانب .

فقال تيمور :

— هذه الاتجاهات تستطيع أن تلمس بعض مظاهرها فى روايات يعالجها الإنسان .. ولكن الحقيقة هذا الموضوع لم أعالجه بعد . . كموضوع كلى ، وإن كنت قد ناقشته إلى حد ما فى « المصابيح الزرق » وهى تتناول جانبا من الحياة فى ظل الاحتلال الانجليزى . . كما أنى آخذ من الحياة ومن مشاكلها مادة قصصى أردت أو لم أرد .. وهناك بعض القصص الهادفة مثل مسرحية «المزيفون» التى تتناول الأحزاب السياسية فى الماضى . . وقد أعددتها قبل الثورة . . ولم تر النور إلا بعد الثورة وفيها فصول كثيرة هادفة ، وفى قصة أخرى من الأدب الملتزم تكلمت عن الفلاحين فى العهد الحاضر بالقياس إلى قرنائهم فى الماضى وفيها ما يؤكد أن العهد الجديد بلا شك أحسن من العهد القديم .

هنا عرفت زوجتى :

وبعد ساعتين من الحديث مع تيمور تواعدنا على اللقاء على الشاطىء فى اليوم التالى بشرط أن يكون الجو حاراً والشمس ساطعة .

وعلى الشاطىء — وفى مكان اختاره هو بنفسه — جلس تيمور يتطلع إلى البحر ولم يغير من ملابسه الثقيلة سوى القبعة التى استبدلها بقبعة بيضاء . .

قلت له :

— وبماذا توحى إليك هذه الجلسة أمام البحر به ؟

قال : جنب البحر عرفت زوجتى وهى حبي الأول والأخير .. وهذه الجلسة تذكرنى برحلاتى إلى الخارج عبر البحر .

— ألا ترى أنك الآن فى غاية النشاط والصحة وهواء البحر قد جعلك أكثر نضارة وشبابا ؟

— نعم ، البحر بما فى هوائه من يود يصلح عينى اللتين أعتمد عليهما فى القراءة .

— وماذا عليك لو استعنت بمن يقرأ لك ؟

— لا أقبل هـذا الوضع أبداً . . فأنا أقرأ بعض الوقت وعندما أشعر بالتعب أستريح قليلا . . ثم أستأنف القراءة .. وهكذا.. والموسم قادم ولا أدرى كيف أواجه العمل والاطلاع فى أكثر من مكان . . فهناك عمل المجمع اللغوى . . وآخر فى مجلس الآداب والفنون ، وثالث فى نادى القصة ، ووزارة الثقافة ، وفحص إنتاج الآخرين فى المسابقة ، ومجلة القصة التى ستظهر فى ثوب جديد .

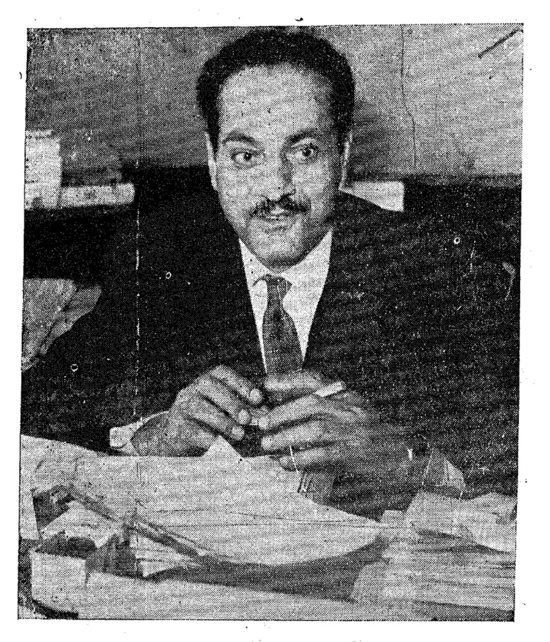
وعن المقـويات التى كان تيمور يتناولهـا كحقن الفيتامينات والاقراص ودار حديث سريع ..

— إن حقن فيتامين «ب» المركب كادت تقتلنى إنها سببت لى حساسية شديدة ولهذا امتنعت عنها . . وأكتفى الآن بالطعام المسلوق والراحة والهـــواء النقى . . وهكذا أعالج نفسى بالطرق الطبيعية ، والاعتكاف عن الناس .

أليس هذا أفضل ؟

— ما رأى الدكاترة ؟

محمود حسن اسماعيل



شاعر الـكادحين فى الأرض الطيبة

قلّ أن تجد شاعراً في مثل رقته وخوفه من المجهول ، في مثل حنينه وحبه للريف ، ورغبته في العزلة عن الناس !

إنه محمود حسن اسماعيل الذى انحدر من أسرة متواضعة تعيش فى إحدى قرى محافظة أسيوط .

ورث من الصعيد الصلابة فى الحق ، ومن الفقر الذى عاشته قريته حب الثورة على الظلم والظالمين !

وعند ما صدر ديوانه الأول « أغانى الكوخ » أثار لواعج الأسى فى قلوب أبناء الريف الذين يعيشون فى المدن ، وسخط أبناء الذوات الذين لم يروا الريف من قبل .

ومن خلاله أدرك أولئك وهؤلاء أنهم يمتصون دماء الفلاحين ويعيشون من خيرهم بلا حق ، أو سند شرعى .

وعند ما تنظر إلى عينى محمود حسن اسماعيل ، أو تتحدث إليه تشعر فى الحال أنه يبدو خائفاً ، وحريصاً — فى نفس الوقت — أن يباعد بين نفسه وبينك .. أو أنه ينتظر عرائس الإلهام فى مكان سحيق !

وتشعر بالقلق على محمود حسن اسماعيل وأنت تراه يمشى فى خطى بطيئة ، بشعره المنكوش وقامته التى تشبه القوس[1] . فهناك شيء يريد أن ينطلق .. إنها أفكار جديدة يريد أن يرسلها إلى الناس وليست عملية انطواء على النفس كما يظن الكثيرون .

---

(١) لعله كان يعنى نفسه فى قوله فى احدى قصائده : وزمان أحدب الخطوة من عض السلاسل ..

ولقد منحته الدولة جائزتها التشجيعية فى الشعر [1] لقاء ما بذل من جهد وعرق . وما قدم لقراء العربية من ثروة جديدة . وكانت الجائزة بمثابة كلمة تقدير له وشكر من الدولة .. كانت إعلانا صريحا بأن الباب مفتوح لكل عبقرية جديدة !

ابن النجيلة :

إن قصة حياته يجب أن تروى .. يجب أن يعرفها الجيل الجديد فى القرى والمدن لتكون حافزا ومعينا لكل من يريد بلوغ القمة .

قبل أكثر من خمسين عاما ، ولد فى قرية النجيلة وأقول أكثر من خمسين عاما لأنه يرفض باستمرار أن يصرح بحقيقة عمره ويقول لمن يسأله عن ذلك :

«إننى أعيش فى مسطحات زمنية ، وأعتبر كل سنة جديدة من عمرى إيذانا بأمل جديد وعمر جديد » .

وفى النجيلة تفتحت عيناه — لأول مرة — على الحطب الجاف الذى يغطى كوخه بالقرب من قصر الأمير السابق يوسف كمال ، وما إن انطلق يحبو على الأرض الجافة من حول الكوخ حتى توقفت أذناه على نواح عبيد الأرض الكادحين وهم يهرقون بسرعة إلى العمل فى إقطاع أمراء الأسرة المالكة .

وإلى القاهرة رحل الفتى الأسمر النحيل الجسم ليبدأ حياة جديدة فى دور العلم ، ويسجل عام ١٩٣٢ ، أنه التحق بدار العلوم وهو يحمل على كتفيه أثقال ماضيه الحزين ، وفى رأسه ثورة ، وعلى شفتيه يتردد كلام خطير فى صورة شعر :

وطف حوالى ركنه والشمس   نور الهدى والرشد يا حائر

هنا خلايا النفس مطمورة   غشى عليها الزمن الجائر

وتتردد بعض أغانى الكوخ ، وأغان أخرى يسجلها فى دواوينه الكثيرة التى منها « هكذا أغنى » و « أين المفر » و «نار وأصفاد» و« قاب قوسين » الذى فاز

---

(١) فى ديسمبر ١٩٦٥ نال الجائزة عن ديوانه الجديد «قاب قوسين» وهو يشغل وظيفة مراقب عام البرامج الثقافيه بالإذاعه .

بتشجيع الدولة ثم « رياح المغيب » وأخيراً « لابد !. »

وكل ديوان يدور فى فلك مستقر .

ولكن جميع الدواوين يربطها — كما قال لى — ارتجاف فى نفسه عميق هو رفض الرق الانسانى .

وعند ما تزوره فى مكتبه بالاذاعة تراه — كأى فنان — لا يعرف إلى النظام سبيلا . الكتب أكوام فوق المكتب . أعقاب السجائر تزاحم الأقلام .

وعند ما يدور الحديث حول حياته الخاصة تعرف أنه أنجب حتى الآن ستة من الأولاد والبنات، وأن نصف حياته فى المدينة يضيع فى الهواء ، وفى الخوف من ضوضاء « نفير » السيارات ، ونصفها الآخر مع القصائد .

— وما هى أهم قصيدة فى ديوانك الفائز بالجائزة ؟

— إنها القصيدة التى تحمل عنوان فارس الغيب .

— وماذا قلت فيها ؟

— قلت :

أنا ، والكوخ، والظلام ، وليل ... بجميع الأسوار مدت يداه . .

وربابى مدندن يشرب الليل ... ويسقى من كل لحن دجاه

وعزيف الرياح ، ركب غريب ... فى دروب الأيام تعوى خطاه

دس فى صدره زمان الحيارى ... والمساكين بين كفيه تاهوا

لا شعاع ، ولا ضمير ضياء ... من وراء السواد يرنو سناه

هلكت فى ترابه دعوة المظلوم ... واخضل من بكاها ثراه

إلى قولى :

والمظاليم حوله من بنى الفأس ... طواهم فى أسره . . من طواه

عبدوا الأرض من قديم . وغنت بهم الطهور ، والربى ، والمياه
وهم ضائعون فى كل حقل مركب للهوان يخزى رياه
ويد تحضن التراب لأخرى رزقها من ترابها منتهاه
تبذر الحب ، ثم تسقيه بالدمع وتبكى عروقها فى جناه

ويدور الحديث حول من يعنيه فى قصيدته ، وأعرف أنه كان يعنى الأمير السابق يوسف كمال الذى فرض على قريته الذل وسام أهلها سوء العذاب .

ضرب الرق فى الفضاء فلم يبق فضاء لكائن فى حماه
غير طاغ ، وظالم مستبد ورث الظلم جده وأباه
حسب الأرض ملكه وعباد الله رقا لكأسه وهواه

* * *

والملايين حوله تنفث الموت وتسقى براحتيها رواه . . . .
بالرق، والتمائم الزرق ، والأوهام تلهى مريضا عن أساه
قصة من عجائب الرق ، مرت حولى كوخى ... ولم يزل فى كراه
وإذا فارس من الغيب آت يذهل الشمس فى ضحاها لقاه
من عناد الأقدار من غضبة الأعصار اصراره وسر قواه
ومن النور، والكرامة ، والإيمان . . . والحب ، سلمه وصفاه
ومن الريف، والثرى الطاهر الحر ثرى مصر . . . . أرضعت راحتاه
فرمى . والسماء ترعاه فانشق دجى الليل فجأة عن ضحاه
ورمى ، والغيوب تحميه فانجاب عن النيل كربه وشجاه .

إلى آخر تلك القصيدة الطويلة التى تحكى قصة فارس الغيب ، وصراعه ضد الظلم والاقطاع[1] . . والقصة التى كان لنشرها الفضل فى الجائزة الكبرى والتى زادت — على حد قوله — تجاوبا وفاعلية مع الحياة التى يغنى فى شطها .

(١) المقصود بفارس الغيب هو الرئيس جمال عبدالناصر

صحراء العجائب :

وصحراء العجائب اسم قصيدة يكشف فيها الستار عن شخصية المنافق ، ويكاد يعريه من ملابسه تماما ليفضحه وليعرف الناس حقيقته .

اسمعه وفكر معه فى ضرورة تطويع الشعر لخدمة المجتمع .. وربطه بالقضايا المثيرة التى يضج منها الأحرار فى مجتمعنا الملىء بالغرائب والعجائب !

يقول فى قصيدته :

برت آية البهتان جلدة وجهه   مطايا رياء لا تضيق براكب

إذا قيل: هذا الصخر ماء .. رأيته   يردد للينبوع شوق السباسب

وإن قيل هذا الماء نار .. رأيته   عليها مجوسيا عريق المذاهب

وإن قيل : تلك النار فجر .. رأيته   أذان مصل هز سمع الكواكب

وإن قيل: هذا الفجر قبر .. رأيته   من الشكل يستجدى دموع النوادب

إلى أن يقول :

أمانك ربى منه . . . هذا منافق   أخف لقاء منه وجه المصائب

وهكذا تحس فى شعر محمود حسن اسماعيل أنه يدعوك إلى أن تمر بنفس التجربة التى مر بها . . تبكى لبكائه وتفرح لفرحه ، وتقتنع بما يؤمن به من مثل عليا فى الحياة .

وأخيراً ، فإن محمود حسن اسماعيل لا يرى أن هناك شاعراً أنجبته مصر بعد شوقى ، ولا الأمة العربية بعد المتنبى . . وأنه يتابع إنتاج الشعراء و« الشعارير » المحدثين فلا يجد من بينهم موهبة نادرة تثير إعجابه . . كما تثيرنا أغنيته التى يرددها المطرب محمد عبد الوهاب :

سقى الدهر من جامه فارتوى
وروى بخمرته الملهمين
وكبر فى شطه الكافر
ودان له السحر والساحر
ولما تهادت عليه الصبا
تصابى لحيا خطى العاشقين

وفى رأى كثير من الشعراء المحدثين — منهم أحمد كمال زكى بصفة خاصة — أن بداية التجديد فى قصيدة الشعر المرسل موجودة عند شاعرنا محمود . . سواء فى التكنيك — لأنه كان يحطم إطار القصيدة العمودية — أو فى المضمون .. ولا سيما فى اتجاهاته الصوفية التى مهدت لكثير من الشعراء لأن يتعمقوا ذواتهم ويخاطبوا وجدانهم .

وأما عن الصورة التى هو فارسها الأوحد فقد أصبحت الأداة الأساسية فى التعبير لدى الشعراء المحدثين بلا استثناء .

مراد كامل



واحد من الخالدين !

يسمونه فى المجمع اللغوى «فتى الخالدين» .. فهو فى السادسة والخمسين من عمره ، ولكنه بالنسبة لمتوسط أعمار أعضاء المجمع اللغوى . يعد شاباً يافعا !

وتلاميذه يتخذون من العشرين ألف كتاب التى جمعها فى مكتبته مرجعا لدراساتهم وأبحاثهم، أما زملاؤه الجامعيون ، والخالدون فيؤكدون أنهم لم يذوقوا أشهى من الأطعمة والفطائر التى يعدها لهم بيديه . !

والكثيرات يعرضن عليه الزواج ولكنه يرفض بحجة أنه لا يريد لكتبه امرأة الأب !

ومنذ أكثر من ثلاثين عاما تخرج فى الجامعة المصرية على يد طه حسين .. ومن ألمانيا حصل على الدكتوراه ، فالأستاذية وعاد لينشىء معهد اللغات الشرقية بالجامعة قبل ربع قرن .. وإلى الحبشة ذهب ليعلم أبناءها ، فوصل إلى درجة كبير العلماء أو « ليقا ماميران » كما يسمونه هناك . ومنها عاد لينشىء مدرسة الألسن وبين المدرسة والجامعة والمعاهد الأخرى ظل يعمل ويعلم الطلاب حتى لحق بأساتذته الخالدين فى مجمع اللغة العربية منذ عامين . [1]

وهناك اكتشفوا أنه أصغر الأعضاء سنا ، ولهذا لقبوه بالفتى الصغير !

بدأ يتحرك !

قلت لعضو الخالدين الفتى :

— ما هى آخر أخبار المجمع الموقر ؟

---

(١) رشح الدكتور مراد أكثر من مرة لجائزة الدولة التقديرية فى الآداب ، ولكن اللجنة التى يرأسها طه حسين رشحته للجائزة التقديرية فى العلوم الاجتماعية .

قال :

— بدأ يتحرك .. مسه تيار الثورة فى كل شىء .. حتى الأعضاء بدأوا يخرجون من أبراجهم العاجية ليروا الدنيا . . ومظاهر التطور فى بلادنا ! . .

قلت :

-- ماذا تعنى ؟

قال :

— القواميس التى كانت نائمة تحركت .. خرجت إلى النور .. البحوث الأخيرة التى تلقى فى المؤتمر تناولت النقوش الثمودية واللحيانية ، والصفوية ، وصلة لغة هذه النقوش باللغة العربية وتاريخها وقوميتها العريقة .. المناقشات يواظب عليها الأعضاء حتى أستاذ الجيل أصبح يحضر كل جلسه بانتظام !

قلت له :

— والأعضاء كيف تحركوا ؟

قال وابتسامة تتحرك على شفتيه

— طلبنا أن نرى الدنيا على الطبيعة ..مظاهر التطور التى شملت بلادنا.. ولأول مرة فى حياة الخالدين خرجوا .. زاروا مصانع الحديدوالصلب . مصانع المحلةالكبرى حتى المعمل الذرى فى أنشاص زاروه .

وفى الأسبوع القادم برج القاهرة .

سألته :

— وكيف كانت مشاعر الخالدين عندما زاروا المعمل الذرى فى إنشاص ؟

أجاب والابتسامة تزداد اتساعا :

— كانوا فرحين جـداً !
وسمعت بعدها ضحكة عالية :
سألته :
— ولماذا تضحك هكذا ؟
فأجاب قائلا :
— فى المعمل الذرى تقدم الخبراء والعمال الشبان يشرحون أسرار المفاعل الذرى للأدباء الشيوخ . . كان توفيق دياب فى المقدمة وكان يحرص على تسجيل كل صغيرة وكبيرة لأنه صحفى قديم كما تعلم .
قال للعالم الشاب :
— ماذا يعنى الإشعاع الذرى . . وما هى اخطاره ؟
وأجاب الخبير الذرى :
— من أخطاره أنه يفقد الرجال قواهم الجنسية !
وشد ما كانت دهشة خـبراء الذرة وهم يرون الخالدين يخرجون بسرعة يتقدمهم توفيق دياب وهو فى حالة رعب . . وفزع !
قلت لأستاذ اللغات السامية بالجامعة :
— ولـماذا يسمونك الفتى وأنت فى درجة أستاذ ورئيس قسم اللغات الشرقية ؟
قال :
— لأن عمرى ٥٦ سنة !(١)
قلت :
— والفتيان الآخرون كم عددهم فى المجمع ؟
قال :
— د . محمد الفاسى عضو المغرب ، وعمره تقريبا ٥٠ سنة ، وكذلك د . ابراهيم أنيس عميد دار العلوم !
قلت :

(١) صيف ١٩٦١ .

— والأعضاء الباقون كم يبلغ متوسط أعمارهم ؟

قال :

— ٨٠ سنة .

قلت :

— ومن هو رئيس السن ؟

قال :

— كان فارس نمر ١٢٥ سنة ؟ وحاليا أستاذ الجيل أصبح فى المائة !

قلت :

— هل عمره الآن مائة أم تسعون ؟

قال :

— امسك الخشب . . فيه فكه ضايعة فى السكة . . وتسعين دى من تسنين الأطباء . . حتى روح اسأله !

قلت :

— وهل يواظب على الحضور كأى فتى مثلك فى المجمع ؟

قال :

— نضبط ساعتنا على حضوره وهو آخر من يغادر الجلسات ، ربنا يديم عليه الصحة .

فى الطريق إلى النور :

وتعرف من حديث دكتور مراد أن نشاط بعض أعضاء المجمع اللغوى امتد إلى الخارج وأصبح الكثيرون منهم يواصلون العمل ليلا . . فى إعداد القواميس الجديدة التى تخرجها وزارة الثقافة والإرشاد القومى .

سألته :

— ولجان المعاجم فى الإرشاد ماذا صنعت حتى الآن ؟

أجاب :

— ستقدم المطبعة خـلال أيام معاجمها الخمسة : الرائد الـكبير ، الرائد الصغير الرائد المصور ، المترادف ، ثم تداعى المعانى :

قلت :

— وما الذى سيفيده القراء من هذه المعاجم الخمسة ؟

قال :

— الأول : أعـددناه على نمط « ويبستر » الانجليزى ، إنه يجمع المعانى مع تطورها إلى العصر الحاضر ، مع عدم الإخـلال بجميع ما يحتاج إليه الباحث فى الميادين الأخرى غير اللغوية .

والثانى : سيغنى البادئين، ويعين الطلبة على تعلم اللغة العربية ، كلماته أعدت حسب منطوقها . سيمهد للأجانب السبيل لتعلم اللغة العربية وهو أول معجم من نوعـه . أما الرائد المصور فسيجعل لغتنا تسير مع الركب ، ولا يشكو العجز القديم فى أسماء المسميات وسيعرض صور المسميات بأرقام أجزائها .

والمترادف ، سيجد فيه الـكاتب والصحفى مئونة دسمة من الألفاظ المترادفة ، لم تـكن معروفة من قبل .

وتداعى المعانى ، مهمته تتركز على تنمية الأساليب مع الفـكر حتى تتمشى اللغة والفـكر ويتقدما معا ..

وتعرف منه أيضاً أن بعض هذه القواميس سيوضع فى الجيب وهذه هى المرة الأولى فى تاريخ القواميس العربية .

٢٠ ألف كتاب :

وعنـد ما انتهى حـديث المعاجم بدأت أتناول حياته الخاصة .. أسـأله عن الأسباب التى دفعته إلى أن يعيش وحيداً .. التى جعلته يحول مسكنه — فى شارع ألفى — إلى متحف ومكتبة ضخمة .

لمـاذا استغنى عن الخدم والزوجة ؟. كيف جمع كل هذه التحف الأثرية التى يزين بها جدران مسكنه ؟ هواياته الخاصة .. أوقاته وكيف يوزعهـا ؟ التليفزيون والراديو ولمـا استغنى عنهما ؟ وا كتشفت حقائق مثيرة :

قال د . مراد كامل
— اعتقد أن الذي يعتبر كتبه كأبنائه لا يمكن أن يسيء إليهم كامرأة الأب[1].

بلا زوج . . ولا خدم :

قلت :

— ألم تفكر فى الزواج من قبل ؟

قال :

— لا وقت عندى للتفكير فى الزواج . ولأن الزواج مسئولية لأنه يوم تتزوج لا بد أن تتنازل عن بعض نواحى حريتك الشخصية وتكون مستعدا لتحمل مسئولية الزوجة والأولاد .

قلت له :

إلى هذا الحد تخاف من الزواج ؟

قال :

— الحقيقة أننى فقدت أبى وعندى سبع سنوات وأمى وعندى ١٤ سنة ، وكنت أكبر اخواتى .. تحملت مسئولية الأسرة وأنا صغير فى السن وأوجد ذلك عندى عكس ما يحدث لليتيم ..

أنا لا أقدر أن أرى أى طفل يبكى أو فيه عاهة ، ثم كان سفرى فى بعثة إلى ألمانيا وانشغالى بالدراسة والتحصيل العلمى ، دافعاً لخوفى من المسئولية ، وكما تقول كنت خائفاً ، إننى لو بدأت بأسرة فذلك سيعوق استمرارى فى الناحية التى وجدت فيها بغيتى.

قلت :

— ألم يخطر ببالك بعد فراغك من الدراسة أن تتزوج بألمانية أو أجنبية كما يفعل الكثيرون من المصريين ؟

قال :

---

(١) صدر له أخيرا كتاب اسرائيل فى التوراة والإنجيل وقد عرض فيه لإثبات من واقع النصوص من الكتاب المقدس بأن إسرائيل ليس لها حق من التوراة والإنجيل فى مجرد وجودها فى فلسطين . أو احتلال الأرض المقدسة ، وذلك بالإضافة إلى كتب أخرى فى قواعد اللغة العربية ، وتاريخ الحضارة المصرية

— اعتقادى أن الزواج بألمانية أو أجنبية بصفة عامة وفى أى بلد عادة يكون غير ناجح ، وبخاصة إذا كانت عادات الشعبين مختلفة ، فإن ذلك يحتاج أولا لتنازل كبير من جانب الزوج إذا كان لم ينجب أولاداً ، أما إذا أنجب أولاداً فإنهم يعانون الكثير من عقد نفسية !

قلت له .

— بمضى الزمن ستحتاج إلى بعض الخدمة الخاصة فى حالة الكبر . أو المرض . فماذا أنت صانع !

قال : والابتسامة تعود إلى شفتيه :

— لم أفكر فى هذا ، وأرى أن أترك ذلك للزمن . وإذا الزمن اضطرنى للزواج فسأتزوج .. والعرايس على قفا من يشيل !

قلت :

— ألم تحب كأى فتى ؟

قال والابتسامة تزداد اتساعاً :

— لا . . لم يكن عندى وقت للحب . كان الشعراء يغروننى بأن الحب سهر وعذاب ولكن كنت أحب أن أقنع نفسى بحب واحدة بعينها ثم ما ألبث أن أنسى هذه الفكرة .

سألته :

— وكيف تواجه القلق النفسى الذى كثيراً ما يتعرض له المشتغلون بالأعمال الفكرية والمرهفين حسياً ، وبالذات إذا عاشوا فى وحدة مثلك ؟

أجاب :

— أعالج القلق إما بقراءة كتب فلسفية عميقة ، أو بكتاب فى النحو فى لغة لا أتقنها .

قلت :

— وكيف توفق بين مسئولياتك فى الجامعة والمجمع، ولجنة القواميس، وغير ذلك؟

قال :

— أنا قاضى ، لا شىء يمنعنى من ممارسة كل هذه المسئوليات مجتمعة . . مادمت بلا زوجة ، ولا أولاد !

طباخ ماهر :

قلت له :

— ومن الذى يعد لك الطعام . . وينظف مسكنك ؟

قال :

— هناك خادم يأتى فى الصباح لتنظيف المسكن ٣ أيام فى الأسبوع .

أما الطعام ، فأنا أعد طعامى بنفسى .. أحسن إعداد جميع الوجبات ، وألوان الأطعمة ، وأدعو الكثيرين من زملائى على وجبات من صنع يدى .

ورأيت د . مراد يفتح البوفيه ويخرج لى طبقاً كبيراً مليئاً بالكحك والغريبة وهو يشير إليه قائلا :

— حتى الكعك والحلويات أعدها بيدى . . وعندى الأجهزة اللازمة لكل ذلك . ومضى د . مراد إلى الثلاجة وكانت مفاجأة لى حينما رأيته قد نسقها وملأها بطواجن اللحم ، والرز وأطباق الحلوى كأى سيدة بيت منظم !

وأشار إلى ذلك قائلا :

— كل هذا صنع يدى ، أعد ما أريد من الطعام . . وبالكيفية التى أريد !

ومضى قائلا :

— زارنى شاعر ألمانى ، وأقام عندى أياما يأكل ما أطبخ . وكانت أفضل وجبة فى رأيه هى المسقعة .

قلت :

— وكيف تعلمت الطهى وإلى أى حد تجيده ؟

قال :

— هذه مسألة نسبية . . أنا آكل ما أطبخ وطابخ السم يدوقه . . والإنسان فى هذا القرن يجب أن يعتمد على نفسه ولا يكون أسيراً لخادم . أو شوفير . أو لعادة من العادات بقدر الإمكان . ومضى يقول :

— تعلمت الطبخ من دادة سودانية فى أثناء الصيف ، وقد مرضت بالعمى ، وبدأت وأنا صغير أتعلم الطبخ تحت إرشادها . وكانت تروى لى كل التفاصيل ، وفى ألمانيا كنت أطبخ للطلبة .. وكنت كلما أكلت وجبة ألمانية أتعلم كيف أعدها ؟

بقى أطرف ما ينبغى أن تعرفه عن عضو المجمع اللغوى :

* أنه يخشى أن يستحم فى البانيو حتى لا يتعرض للسقوط .. أو الإصابة وهو وحيد فى شقته !

* أنه لن يدخل الراديو ، ولا التليفزيون إلى الشقة لأنه يرى أن برامجهما أقل مما ينبغى أن تكون عليه وسائل الأعلام والتوجيه !

* أنه يغطى أرض الصالة وحجرة المكتب بفرو القرود !

* وأنه خصص حجرة لنومه ، وأخرى لضيوفه الأجانب الذين يزورونه فى المناسبات الأدبية .

نازك الملائكة



شاعرة كبيرة .. من الملائكة !

تابعت إنتاجها مدة طويلة ..

وحينما جاءت إلى القاهرة لأول مرة لتشترك فى مهرجان شوقى كنت حريصا على أن أسعى للقائها ، ولكنى أحسست من أول نظرة أن هذه الشاعرة تعيش داخل نفسها ، وأنها تحاول أن تبدو متعجرفة . وأنها تزن الكلمة قبل النطق بها ، فهى مرتبطة بأكثر من موعد .. وترى أن وقتها أضيق من أن يضيع فى حديث صحفى . ومع ذلك فهناك قليل من الوقت لحديث سريع .. ولهذا فلا داعى للهرب من التحدث إلى الصحافة .

وقبل أن تعود إلى بغداد أحست أن قلبها قد امتلأ بحب كل من يعيش على أرض النيل ، وأن كل شاعرة أو أديبه فى بلدنا كانت تتمنى أن تراها وتناقشها لتعرف إلى أى حد استحقت لقب أولى شاعرات العراق .. ولماذا تمثل القطر الشقيق فى كل مؤتمر أدبى أو شعرى دولى ؟

إنها : نازك الملائكة الذى سرى حب الشعر فى دمائها منذ كانت طفلة صغيرة .

ونازك التى أصبحت تقف على رأس قائمة شاعرات الشرق بلا منازع من أسرة الملائكة ، وفى آخر زيارة لها للقاهرة دار بيننا نقاش طويل لفت نظرى فى أثنائه أنها تستغرق وقتا طويلا فى التفكير قبل أن تجيب على أى سؤال ، بل إنها قالت لى مرة « إننى لا أستطيع أن أجارى الشاعرات الأخريات اللاتى يستهويهن الكلام والتحدث إلى الصحفيين » .

عاشقة الليل :

ونازك الملائكة لا تشعرك بجمالها بقدر ما تأسرك بقدرتها على صياغة الشعر الرصين . عيناها واسعتان تنمان عن مواهب فنية وراثية ..

وعندما سألتها عن حبها للشعر منذ الصغر قالت بعصبية وكبرياء :

— كيف ما بتعرف السر حتى اليوم ؟

الملائكة شعراء العراق .. وأنا مثل أسرتى ، وأبى وأمى عالجا الشعر منذ الطفولة .

قلت لها : ومن شاعرك العربى المفضل ؟

قالت . أنا لا أومن بالأفضلية فى الشعر .

— وشعر الغزل هل له نصيب من اهتماماتك

وبهدوء أجابت :

— بمعنى كلمة الغزل .. لا .

لقد عالجت كتابة الشعر ونقده .

قلت : أليس الغزل لونا من أحب ألوان الشعر إلى القلوب ؟

وفى ابتسامة بريئة .. ممزوجة بالاستنكار سمعتها تقول :

— اشطب والله هـذا السؤال .. وبلاش كلمات الغزل والحب هذه ! وبعدت بأسألتى عن كلمات الحب والغزل كما طلبت .. وانتقلت بالحديث إلى إنتاجها من دواوين ومؤلفات أدبية .

وأعرف منها أنها ألفت ثلاثة دواوين هى : عاشقة الليل ، وشظايا ورماد ثم قرارات الموجة ، وأن لها مقالات كثيرة فى النقد الأدبى والاجتماعى .

ومن خلال دراساتى لمؤلفاتها أعتقد أن قصيدتها « غسلا للعار » هى من أرق أشعارها وفيها تقول :

« أماه وحشرجة ودموع وسواد .

وانبجس الدم واختلج الجسم المطعون ،

والشعر المتموج عشش فيه الطين

أماه لم يسمعها إلا الجلاد .

وغداً سيجيء الفجر وتصحو الأوراد .

ويعجبني لنازك هذه الأبيات وهي من قصيدة النهر العاشق التي تقول فيها :

— أين نمضي ، إنه يعدو إلينا ،

راكضاً عبر حقول القمح لا يلوي خطاه .

باسطاً في لمعة الفجر ذراعيه إلينا .

طافراً كالريح نشوان يداه .

سوف تلقانا وتطوى خوفنا أنا مشينا .

إن في هـــذا الشعر رائحة زكية من الشعر المهموس .. الذى امتاز به شعراء المهجر .

لولا العزول :

إن ديـوان عاشقة الليل يـكشف سر كراهية من يسميه المحبون« بالعزول » وفي رأى نازك أنه هـو النمام أو الشخص الآخر . وتمثله في العراق أسطورة ساذجة .. ولـكنها أصبحت — كما قالت لى — تتصـل بحياة الـكثيرين ، وطالما ترددت في الأغاني العراقية التي يغنيها القرويون على شطآن دجـلة والفرات في جنوب العراق الشقيق .

وتتلخص في أن فتــاة التقت في طريقها بأمير نائم نوماً دائماً ، وقد حـكم عليه غيب مقـدر ألا ينقذه من نومه إلا فتاة ترضى أن تواصل السهر عليه كل ليلة سبع

سنين ، تروح له خلالها بمروحة مسحورة ، وقد وقع الأمير من نفس الفتاة موقعاً طيباً ، فسهرت سبع سنين وروحت له حتى دنا موعد استفاقته، ولكن النعاس غلب الفتاة الساهرة فى الدقائق الأخيرة فأغفلت وإذ ذاك برزت غريمة سوداء مجهولة ، وانتزعت المروحة من يدها وروحت للأمير دقائق وعند ما استفاق ظن أنها هى التى أنقذته فتزوج بها ، وأفاقت المنقذة الحقيقية فاذا كل مجهوداتها قد ضاعت وهكذا تبرق عينا الغريمة السوداء خلف الأغانى التى يشكو فيها المحب العراقى من أهله ، الذين يتدخلون فى شئونه العاطفية ويحولون بينه وبين حبيبته .

وحينما أسألها عن مطلع الأغنية الشائعة تقول :

« هلى يا ظلام هلى »

وإذا أردت أن تعرف كيف تبدو شخصية المحب فى أغانى العراق تقول لك نازك :

إن المحب فى أغانينا شخصية ضعيفة تكثر الشكوى من العزول ويدحرها الحساد والوشاة انهم دائماً «الآخرون» هؤلاء الآخرون حالوا دون أن يحقق أحلامه. لقد كاد يصل لولا العزول المغرض .

إن أغانينا تناجى من يشعر بسطوة آخرين وبخطرهم على حياته بطريقة لا مثيل لها فى الشعوب الأخرى .

وإذا سألتها عن العزول ، وهل يصبح سعيدا بعد أن يحقق أغراضه تقول :
— لو كان سعيدا لانشغل بأفراحه ولم يجد وقتاً يجمع فيه العبرات من أعين المحبين !

— وإلى أى المذاهب الأدبية المعاصرة ينحاز إنتاجك فى الأدب عامة والشعر خاصة ؟

وبنفس الابتسامة الرقيقة التى بدأت بها الحديث قالت :

— المذاهب الأدبية هى أحكام لا ديانات تتبع وأنا لا أنحاز إلى أى مذهب أو اتجاه أدبى معاصر ..

ولا يصح لأى أديب أن ينحاز لأى مذهب ، وإنما عليه أن يعبر عن نفسه لإبراز شخصيته .

قلت لها : هذه آراء ناضجة تكشف عن تجارب طويلة ، وعن شخصية مارست فنون الأدب منذ زمن بعيد ، فكم يبلغ عمرك الآن ؟

وفى هدوء قالت :

— لا أجيب عن هذا السؤال !

إن تاريخ نازك الملائكة فى الأدب يؤكد أنها ورثت حب الأدب عن جدها الكبير الذى يعتبر من أشهر شعراء العراق ، وأنها مثلت العراق فى مؤتمرات كثيرة فى مختلف الدول العربية ومن أحب الآغانى إلى أذنيها : أغنية الكرنك لعبدالوهاب .

وأخيرا . . لمعلوماتك الخاصة :

— أن شاعرة العراق الأولى تعمل أستاذة للنقد الأدبى بدار المعلمين العالية فى بغداد .

— وأن شاعرات مصر وأديباتها يعتبرن زيارتها للقاهرة عيداً لهن .

— وأن الأمل معقود على أن ننشط أديباتنا ويقمن برحلات إلى العراق .. وإلى غيرها من الدول الشقيقة بدلا من الاكتفاء بالمناسبات والندوات الأدبية التى تعقد فى فترات متباعدة . فهل تسمع أديباتنا ؟

كلمات لها :

« حين نمتلك شيئاً من السعادة ، ما أعمق الفرحة التى ترقص فى داخل أنفسنا . إننا نمتلك حماسة وروحا وتتدفق غناء ونرقص مع النسيم ونود لو منحنا بأنفسنا كلها

للحياة الواسعة الكريمة فى سخاء لا يعادله شىء. إن الفرح يحملنا ننبثق بكل ما نملك إنسانيتنا من جمال وحب وخير واتساع.

إننا نمد أيدينا ونصافح المتألمين ونحن نصنع هذا أكثر وأكثر كلما زدنا فرحا. نحن نصبح ملكا للوجود كله، إنها أغنيتنا السعيدة. لقد كنا ونحن متألمون نساعد المتألمين والمحرومين ونغمرها بحناننا، لقد سقينا الأزهار العطشى عندما كنا نحن ظماء نحيا فى الجفاف، فماذا نصنع الآن ونحن نملك أنهارا مترعة وأعنابا؟

* * *

« نريد أن تضحك الحياة فينا لا أن يضحك جزء صغير ضيق فى قلوبنا، ذلك الجزء الذى دغدغته الحياة لحظة. إن ما ينبغى أن يضحك فينا هو قدرتنا على الحيــاة وإحساسنا بعذوبة الدم الجارى فى شرايينا، وبالنسيم الذى يصفع أوجهنا و « يداهر » خصلات شعرنا، بحبنا للحركة، للغناء للآخرين بإنسانيتنا كلها ».

* * *

« الضحك هو الجزء الأعلى من الأخلاق ومن الجمال ومن الحق. لأن الضحك هو الارتخاء الكامل، والارتخاء مطلب الحياة الأعلى. إن الجسم المرتخى جسم كامل لا ينقصه شىء فهو فى انسجام تام مع الحياة ومع نفسه، ومن مثل هذا الجسم يمكن أن ننتظر خلقاً كاملا وجمالا كاملا وقدرة على تمييز الحق من الباطل.

الارتخاء هو الحالة الملائمة للأخلاق، لأن اللحظة التى « نتوتر » فيها هى اللحظة التى يبدأ فيها « تخلفنا ».

إذ ذاك لا تكون أخلاقنا عملية عفوية وإنما تصبح « كفاحاً » وحين ننشغل بهذا الكفاح ننسى الأخلاق نفسها وننسى الضحك وننسى الارتخاء...

* * *

شكوت أحد المواقف إلى صديقتي « والى » فقالت لى :

« نازك ، ماذا تظنين نفسك ؟ هل أنت هذه الشجرة التى تقوم عند حافة البحيرة وتمد فروعها فى وداعة فى الهواء ؟ إن من الممكن أن يذهب أى إنسان وينزع غصنا من هذه الشجرة دون أن تستطيع الدفاع عن نفسها !

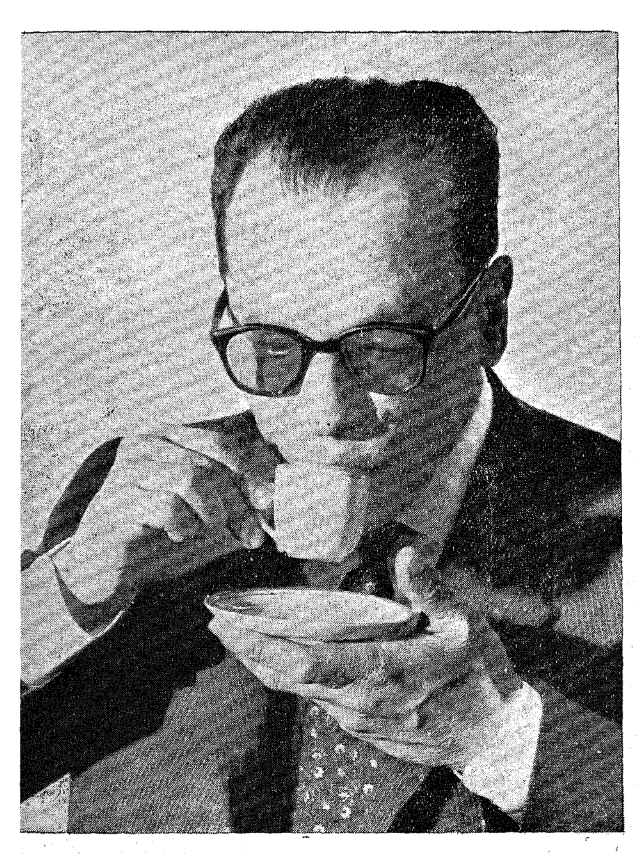
إن من الممكن أن يقصها إنسان آخر ، فهل أنت هذه الشجرة ؟ هل تظنين أن من الممكن أن يأتى شخص ويحدث ثقباً فى ذراعك وأنت صامدة كالشجرة ؟

وعندما أحببت تشبيهها وضحكت منه قالت لى مواصلة حديثها : « أنت إنسانة. إن لك ذهناً وذراعين وقدمين . إنك تستطيعين أن تفكرى وتوجهى الضربات وتغيظى الناس . وعليك أن تدركى هذا » .

ثم قالت والى العزيزة :

إن على أن أبنى حول نفسى جداراً من حديد فلا أبقى هشة لينة يخدشنى الوجود كل لحظة .

نجيب محفوظ



أبو الجوائز.. فى القصة المصرية

استغرق حديثي معه ساعتين . . وفي قراءة قصصه وما كتب عنه في الصحف أمضيت أياماً سعيدة ، وخرجت من كل ذلك بحقائق مثيرة ليس من بينها أنه يقف على القمة بين كتاب القصة في بلدنا ، وفي الشرق العربي كله . وليس من أهمها أنه امتاز بأسلوب ساحر نماه عمله في السيناريو ، ولا من بينها أيضاً أن إنتاجه تتخاطفه الدول الأجنبية وتترجمه إلى لغاتها الأصلية كما فعلت انجلترا ، وروسيا واسبانيا ، إذ ترجمت له الأولى «زقاق المدق» والثانية «السمان والخريف ، واللص والكلاب» ، والثالثة «قصر الشوق» و «بين القصرين» و«السكرية» .

ولكني خرجت من هذه الحقائق المثيرة بقصة بطل مكافح فيه أصالة شعبه . . وفيه عمق تفكيره وماضيه العريق . ذلك هو نجيب محفوظ ، ونجيب اسمه بالكامل نجيب محفوظ عبد العزيز . . متوسط القامة قمحي اللون ، لا هو بالنحيف ولا بالثمين ، شعره غزاه الشيب ، يلبس نظارة سوداء إذا ما رفعها عن عينيه تلمح فيهما ذكاء وقلقاً ، وشبه خوف من شيء مجهول . وإذا عرفت أنه يذهب إلى مكتبه مبكرا فلا تعجب لأنه تعود على ذلك منذ بدأ حياته العملية في الحكومة . وإن رأيته يطلب من ساعي مكتبه كوب الماء في فترات متقاربة فلأنه يشكو من مرض السكر ، وإذا ما سألته عن سر ملازمة النظارة السوداء لعينيه عرفت أنها تساعده على مقاومة الرمد الربيعي الذي أصيب به منذ سنوات طوال . وعند ما يضحك يبعث السرور في نفوس من يتحدثون إليه . وإذا حاولت أن تكشف عن أسرار حياته الخاصة وقصة حبه وزواجه باءت كل محاولاتك بالفشل ، فهو ممن يؤمنون بمبدأ الحياة الخاصة يجب أن تظل ملكا لصاحبها وحده !

ونجيب محفوظ يتكلم الفرنسية والانجليزية ويقرأ بهما لكتاب الغرب ، وكان في فجر حياته يتمنى أن يكون مهندساً أو طبيباً ، ولكن الفلسفة استأثرت به !

ولقد فاز بجائزة الدولة مرتين ، الأولى: مشاركة مع الدكتور محمد كامل حسين عن رواية « قرية ظالمة » والثانية : عن ثلاثيته المشهورة التى تعتبر من أهم قصصه العشرين حتى الآن .

سألت نجيب محفوظ : ... وشهد حى الجمالية الشعبي مولدك كما هو واضح فى قصصك ؟

فأجاب : نعم ، فى حى الجمالية فى ١١ ديسمبر سنة ١٩١٣ وقد عشت فترة طفولتى فى هذا الحى الشعبي ، وكلما عدت بخيالى إلى أيام طفولتى وتلمذتى تذكرت كل بيت فيه .

ولمحت على شفتيه تكشيرة خفيفة وهو يتحدث عن ماضيه البعيد :

— كان أبى واحدا من الموظفين الذين يعملون بالابتدائية فى وزارة المعارف ، وكان عليه أن يقوم بمطالب أسرتنا المؤلفة من أمى ومنى ومن أخوين ، أحدهما يعمل الآن ضابطاً ، والثانى فى ديوان المحاسبات ، وأربع أخوات . وكان عليه أن يعلمنا تعليماً عالياً ، ويوفر لنا كل مطالبنا .

ثم يسكت نجيب محفوظ قليلا ، ليتناول فنجان القهوة . أما أنا فاستعرض بسرعة فى خيالى بقية القصة ، قبل أن نستأنف حديثنا الذى بدأ من غير موعد سابق .

ويلتحق نجيب محفوظ بكتاب سيدنا فى نفس الحى ، ومنه يخرج إلى المدرسة الابتدائية بالحسينية فالمدرسة الثانوية ، ثم إلى قسم الفلسفة بكلية آداب جامعة القاهرة ، حيث يقضى فترة الدراسة ، وإلى بيته يعود بعد هذه الرحلة وفى حقيبته شهادة الليسانس سنة ١٩٣٤ ، وفى رأسه آمال كبار وأفكار ذكية ، تريد أن تخرج إلى النور فيحجبها روتين الوظائف التى عمل بها فى الجامعة وفى وزارة الأوقاف[١]،

---

(١) عين نجيب محفوظ بإدارة الجامعة فى نفس العام الذى تخرج فيه ، ثم نقل إلى وزارة الأوقاف سنة ١٩٣٩ بمكتب الوزير ، ثم إلى مصلحة الفنون فى وزارة الإرشاد القومى ١٩٥٣ مديراً للرقابة الفنية ثم مديراً لمؤسسة دعم السينما ، فرئيساً لمجلس إدارة المؤسسة .

ويقف دونها إهمال الناشرين لهـذه الأفكار التى سجلها فى صورة قصص ، ثم حبسها فى مكتبه أكثر من سبعة أعوام . كان نجيب يتطلع حوله فلا يجـد من يضىء له الطريق بنشر إنتاجـه . كانت صعوبة النشر وصـلافة الناشرين هما الصخرة التى تتحطم عليها آماله الشابة . . هى الريح العاتية التى تطفىء نور الشموع التى توشك أن تضىء ! إلى أن ابتسم له القـدر لأول مرة ونشرت له أقصوصة بعنوان « ملوك تحت الأرض » وكان موضوعهـا يدور حول فئة من المشردين يأوون إلى ماسورة مهجورة فى صحراء العباسية .

ويسجـل عام ١٩٣٩ بداية سعيدة لحيـاته الأدبية حينما نشرت روايته الأولى « عبث الأقدار » وبعدها بأربع سنوات انتهت الأزمة مع بداية نشاط لجنة النشر للجامعيين ، التى رحبت بإنتاجه ، ومنـذ ذلك التاريخ لم بعد النشر مشكلة بالنسبة له . فلقد أصبح اسمه يتردد على ألسنة الناشرين والقـراء كنجم جديد ظهر فى سماء الأدب .

ويكون للتاريخ نصيب الأسد من قصص المرحـلة الأدبية الأولى حيث بدت اهتماماته بالتاريخ الفرعونى فى «رادوبيس» و« كفاح طيبة »، وبتاريخ الثورة الوطنية من خلال قصصه التى سجلت الأزمات الحزبية الأولى والثانية فى مصر .

وكان لهذا الاتجاه ما يبرره ، فوطنه مغلوب على أمره أيا مئذ . وتصبـح الثلاثية المعروفة امتداداً طبيعياً لرادوبيس وإن كانت على مستوى عصرى إلا أن دافعه إليها هو نفسه الدافع الوطنى.

وليس حتما أن يكون نجيب محفوظ قد عاش أحـداث الفترة الزمنية الأولى التى وقعت وهو ما يزال صغير السن ، وليس حتما أيضاً أن تـكون الأحداث التى سجلها والشخصيات التى رسمها واقعية — عاشها أو عاصرها — فيـكفى أن يتصور جوها ويغذيه من خياله بما هو أقرب إلى الصورة المنشودة .

وعدت أقول له :

— لماذا وقع اختيارك على القصة ، دون بقية فنون الأدب للتعبير عن مشاعرك وعمن حولك من الناس ؟

فقال :

— من الصعب تحديد الإجابة عن هذا السؤال ، ولكن أعتقد أن اختيارى لهذا اللون من فنون الأدب قد جاء نتيجة للاستعداد والثقافة ، وظروف البيئة التى أحاطت بى منذ صغرى ، بمعنى أننى لو نشأت فى بيئة مسرحية لاتجهت للمسرح .

ابن الحكيم :

وقلت له وكأننى اكتشفت سرا خطيرا .

— لعلنى أكون صادقا إذ قلت إن هناك أوجه شبه كثيرة بين بعض أبطال قصصك وأبطال قصص توفيق الحكيم ، كما فى رواية الشحاذ ، فبطلها عمر الحمزاوى صورة من شهريار بطل شهرزاد للحكيم ، كلاهما يحاول اكتشاف المجهول ، والبحث عن « الحقيقة والمعرفة » فما رأيك ؟

فقال مبتسما وكأنه يؤكد حقيقة هذا الكشف :

— أنا الابن الروحى لتوفيق الحكيم ، وأنا فى غاية السعادة إذ أسمع هذا الرأى لأول مرة ، وأن يكون بطل من أبطالى ابناً لبطل من أبطال توفيق الحكيم فهذا شىء طبيعى .

سؤال أيضاً ، بمناسبة ذكر كلمة السعادة ، هل لك أن تحدد لى مفهوم السعادة ، ومتى تشعر بها ؟

جواب :

يخيل لى أن السعادة هى نوع من التوازن من حيث الفرد بين نفسه وجسده .

وفى المجتمع من حيث نظامه العام وما يهيئه للمجموع من تقـدم ، يعنى توازن عام فى نفسك ، وفيمن حولك ، وإذا تحقق لى ذلك أشعر بالسعادة .

آمنت بالله:

وسألته : هل تستطيع أن تحدد مدى إيمانك بالله ، وكيف كان هذا الإيمان فى بداية شبابك ؟

فأجاب : لقد مررت بفترة شك وأنا فى المرحلة الثانوية ، وفى أوائل عهـدى بالجامعة ، وكان سببها ما صدمت به فى قراءاتى فى تلك الأيام ، وبعـدها عدت إلى إيمانى المطلق بالله وقدرته وعدالته .

قلت له : هل أفهم من ذلك أنك سعيد بإيمانك العميق بالله ورسله ؟

فأجاب : نعم !

ودفعنى هذا الجواب إلى سؤال آخر :

— أستاذ نجيب هل كنت تريد أن تضع تفسيرا معينـاً لموقف الأنبياء من الأديان فى رواية أولاد حارتنـا ؟

واندهش نجيب محفوظ لهذا السؤال وبسرعة سمعته يقول :

— أبدا . أنا أحكى فى هذه الرواية محاولة لتصوير الخير ، والصراع بينه وبين الشر لا أكثر ولا أقل .

وبدأ يتلفت حوله لينادى ساعى مكتبه ليقدم له الفنجـان الثانى من القهوة . ومع تناول فنجان القهوة عدت بسرعة أستعرض أسماء رواياته التى مثلت على المسرح والشاشة ، وعاد هو ليلبس نظارته السوداء بعد أن كان قد خلعها فى أول الحديث .

سؤال كان ينبغى أن أبدأ به :

— مررت بفترة ضياع فى مطلع حياتك الأدبية بسبب حبس انتاجك فى الأدراج كمعظم أدبائنا ، وقيل إنك كنت تخاف من الظهور أمام القراء بمؤلفاتك ، فهل كان ذلك صحيحاً ؟

جواب، مع ابتسامة : أبداً ، لم أكن أخاف من ظهور إنتاجى وإنما السبب هو عدم وجود وسائل النشر فى تلك الفترة .

ومضيت إلى سؤال آخر :

— وما موقفك من هؤلاء الذين يقومون بمسرحة رواياتك وإخراجها بصورة تختلف مع النص أحياناً ؟

جواب: إن كل ما مسرح لى من قصص جعلنى أوافق على ما يطلبه منى رجال المسرح .

أما بالنسبة للمخرجين فإنهم كثيراً ما يبعدون عن الأصل بمقدار ما تقتضيه الرواية فى صورتها على الشاشة .

وأضاف قائلا : ليست هناك مسرحية تستطيع أن تقول كل ما تقوله الرواية ، واستقلال السينما فن خاص بذاته .

وعدت أقول :

— وموقفك ممن يسطون على رواياتك دون علمك ويمثلونها فى الإذاعة ، وكم سطوا وقع على إنتاجك ؟

فقال :

— أذكر أن إحدى رواياتى قدمها بعضهم للاذاعة دون علمى ، وأذيعت مسلسلة ، ولما طالبت بحقى أيامها قيل لى : إن حقك قد ضاع بانتهاء السنة المالية ! أما من يسرقون إنتاجى فى الخارج فالدولة كفيلة بهم .

وما الرواية التى نالت إعجابك بعد إخراجها على الشاشة أكثر من غيرها ،

ولماذا ؟

فقال : « السمان والخريف » ، وذلك للجاذبية التي تتمتع بها .

وبمناسبة السمان والخريف دار حديث حول أبطالها وهل حقيقة أن المرأتين اللتين عرفهما «عيسى» بطل السمان والخريف تمثلان صورتين من الحياة فى مصر ، الأولى: مصر الشابة، التى لوثتها الأقدار والظروف مع بقاء معدنها نقياً ، وانتظار مولودها رمز إلى المستقبل . والثانية : مصر الكهلة التي لن تلد سوى البوار ، وهل كانت الطفلة رمزاً للوطن الجديد والثورة الوليدة ؟

ولم أكد أنتهى من سؤالى حتى بدت علامات الدهشة على وجهه وهو يقول :

ــ دلالات التجربة يخلقها النقاد أو القراء ، وأنا أقدم الرواية ، وأنت تستطيع أن تستنتج منها ما تشاء .

قلت : كثيرون من النقاد تناولوا بالتحليل والدراسة معظم قصصك فمن منهم الذى أثار إعجابك أكثر من غيره ، وكان نقده منزهاً عن كل غرض ؟

فقال : أغلب من كتبوا عنى كانوا منزهين عن الغرض ، وكانوا يستحقون كل شكرى وإعجابى .

وأسأله : كان بعض النقاد يزعم أنك من رواد مدرسة الأديب الفرنسى إميل زولا مؤسس المدرسة الطبيعية فى القصة أو مدرسة القصة التجريبية ، وقد كانت هذه المدرسة ثورة على من سبقها من المدارس ، وبالذات المدرسة الواقعية . . فماذا ترى ؟

فيجيب :

الطبيعية هى التطرف الأخير للواقعية ، وأنا لا أعتقد أدبى يميل إلى المدرسة الطبيعية .

الروتين والإعلام :

والذى يراقب نجيب محفوظ وهو فى مكتبه بمؤسسة السينما يشعر أنه فى صراع متصل مع الروتين . . يريد أن يخلو إلى نفسه قليلا ولكن الروتين يطارده .. يشده الكرسى الذى يجلس عليه ، ولذلك تراه قلقاً فى أثناء العمل الرسمى . لقد جنت عليه الوظيفة ولكنها شر لابد منه من أجل لقمة العيش ، كما يبدو عليه . إذن كيف يواصل إنتاجه القصصى ؟

— هنا لا أستطيع أن أكتب شيئاً ، أما عندما أترك العمل الرسمى وأريد الكتابة فنى حجرة مكتبى فى البيت وليس فيها ضوضاء ، ولكن أين الوقت والعمر يجرى بسرعة ؟

سؤال : وماذا صنعت للسينما من خلال عملك الرسمى . . هل وضعت تخطيطاً سينمائياً يكفل تنفيذ برنامج معين للنهوض بمستوى الفرد ، والأسرة ، والمجتمع عن طريق الأفلام الهادفة التى ترقى بمستوى أخلاق الجماهير ، بعد أن ضجت وشكت من أنه لا يوجد تخطيط لما يجب أن يشاهد أو يقرأ أو يسمع ؟

جواب : توجد خطة عامة للتوافق بين الفرد ومضامين مجتمعه ، ولكنها تسير ببطء لأننا نضع الخطة ولكن لا نخلق القصص التى تنفذ أوتكون سياستنا على الأقل ألا نسمح بموضوع يحدث شقاقاً بين الفرد والمجتمع .

ومضى يتساءل : كيف أخلق الموضوعات المطلوبة من المؤلفين لا من المؤسسة ، ودور المؤسسة حمايتها والترحيب بها !

الذئب والحمل :

وهذا سؤال يهم المرأة العاملة فى المجتمع الجديد أن تسمع الإجابة عنه من نجيب محفوظ . . لأن له رأياً سبق أن أدلى به فى مناسبة ما ، وقال فيه : إن المرأة

ضحية لمرحلة الانتقال فى أى مجتمع ، فالرجـــل يستقبل خروجها للحياة العامة بنظرة الذئب الذى سعى إليه الحمـــل بقدميه . . ترى ما هى الصورة التى يتخيلها للحياة الزوجية فى ظل مجتمعنا الجديد بعد عشر سنوات ؟

— فى فترات الانتقال يصحبها عادة الاضطرابات المـادية والاجتماعية ، ثم يعقبها الاستقرار والنضج . وبعـد عشر سنوات يكون الرجل قد هضم حرية المرأة ومشاركتها له فى الحياة على قدم المساواة وهذا يبشر باستقرار الحياة الزوجية والتقليل من حالات الطلاق ، أو تعدد الأزواج .

إن من يقرأ قصص نجيب محفوظ يراه — إلى جانب تناوله بالتحليـل قطاعات من الحيـاة — يركز الضوء على نقط الضعف فى المجتمع الذى يريد أن يصوره ، والفوارق الطبقية وتأثيرها فى حياة أبطاله ، يتضح ذلك فى « بين القصرين » وليس هذا على سبيل التحـديد ، وإنما على سبيل المثال ، فهل استطاع المخرج السينمائى أن يعكس كل ما كان يريد أن يقوله الأستاذ نجيب ؟

وفى رقة أجاب :

— لم يخلق بعد المخرج الذى يستطيع أن يكشف عن كل ما تريد الرواية أن تقوله.

وأسأله : ترى كم استنفدت الثـلاثية من وقتك وهى كما ظهرت أخيراً استغرقت ألفى صفحة ؟

واسمعه يجيب :

— كتبتها فى مدى خمس سنوات ، تخللها تعطـل فى العمل ، وانتهيت منها فى أبريل ١٩٥٢ .

وانتقلت بنا المناقشة إلى رواية « ميرامار » أحـدث ما أنتج رائد القصة المصرية الصميمة .

قلت له : فى رأيى أنك كتبت « ميرامار » بطريقة السيناريو ، ومع ذلك فإن من تناولوها بالدراسة والتحليل لم يشيروا إلى هذا اللون الجديد من الكتابة .

فقال : وابتسامة تداعب شفتيه :

— أعتقد ذلك ، ولعل السبب يرجع إلى عملى فى السيناريو[1]

وأقول له : وماذا بعد « ميرامار » ؟

ورأيته يشير إلى المكتب فى شبه ضيق ويقول :

— وكل آت قريب !

سؤال أخير : هل كنت حريصاً على أن تسجل الأحداث كما عشتها بحقائقها ؟

جواب فى سؤال مع نفس الابتسامة :

— وهل هناك أدب يخلو من الحقيقة ؟

ونهضت لأصافح يداً كانت قد أخذت تقلب الأوراق المعروضة عليه كموظف كبير يشرف على النهضة السينمائية ويوجهها لخدمة الملايين . . والفن . . والأخلاق فى بلدنا .

---

(١) بدأ نجيب محفوظ يشترك فى كتابة السيناريو للقصص فى سنة ١٩٤٨ . ومن أهم أعماله فى هذا الفن فيلم « ريا وسكينة » ، وفيلم « فتوات الحسينية » ، و « لك يوم يا ظالم » .

فهرس

صفحات من حياتهم

صفحة

صفحة

صفحة

كتب للمؤلف

---

١ — فى ميدان خدمة الشباب . ١٩٥٣

٢ — أعياد الشباب (مصور) . ١٩٥٥

٣ — معسكرات كتائب الشباب . ١٩٥٥

٤ — الصحافة المدرسية . ١٩٥٦

٥ — دنشواى والصحافة . ١٩٥٧

(الكتاب الفائز بجائزة مسابقة التأليف الكبرى بوزارة التربية والتعليم) .

٦ — أدباء فى صور صحفية . ١٩٦٥

(صدر عن وزارة الثقافة والإرشاد القومى ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والأنباء والنشر) .

وقد تقرر على مدارس الجمهورية (المرحلة الثانوية)

٧ — صحافة الملايين . ١٩٦٥

(الناشر مكتبة الأنجلو المصرية) .

وقد تقرر على المدارس الثانوية والإعدادية ودور المعلمين والمعلمات .

٨ — صفحات من حياتهم . ١٩٦٨

كتب تحت الطبع

* الثورات الوطنية والصحافة .
* لغز الأرواح .
* ناس عرفتهم .

١٩٦٨ م — ١٣٨٧ هـ

دار الطباعة الحديثة
٧ كنيسة الأرمن - أول شارع الجيش
ت ٩٠٨٣١٠ - ص.ب. ت ٨٩٦٩١

